الدكتور علي عبد المنعم شعيب

مطالب جبل عامل

الوحدة
المساواة في لبنان الكبير
١٩٠٠ - ١٩٣٦

Bibliotheca Alexandrina
0030040

مطالب جبل عامل

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

- بيروت - الحمراء - شارع اميل اده - بناية سلام
هاتف : ٨٠٢٤٢٨ - ٨٠٢٤٠٧ - ٨٠٢٢٩٦
- بيروت - المصيطبة - بناية طاهر هاتف : ٣٠١٠٣٠ - ٣١١٣١٠
ص . ب : ٦٣١١ / ١١٣ تلكس : LE ٢٠٦٦٥ - ٢٠٦٨٠ لبنان

الدكتور علي عبد المنعم شعيب

مطالب جبل عامل

الوحدة
المساواة في لبنان الكبير
١٩٠٠ - ١٩٣٦

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع

الاهداء

إلى والديّ أهدي أعز ثمرة أملكها بفضلهما :
كتاباً يتحدث عن مآسي ونضال شعبي .

مقدمة

في خضم الحرب الأهلية الدائرة اليوم والتي اختلطت صورتها لدى الكثيرين من اللبنانيين من حيث توجهها ومفاهيمها فضلاً عن رسم حدود جغرافية للطوائف الدينية بعد الفرز السكاني نشطت الأبحاث والدراسات التي تتناول مناطق أخذت أسماء كبيرة إبان العهد التركي (جبل لبنان ـ . . .) سيما لجهة إعادة كتابة التاريخ الخاص لتلك المناطق وكأنها وحدات سياسية .

بخلاف ذلك يأتي هذا البحث لتوضيح حقيقة أساسية لمنطقة لم يتناولها المؤرخون في كتاباتهم لتاريخ لبنان الحديث إلا بقدر ما تخدم التوجه العام للنظام السياسي الطائفي في أحداث جبل لبنان وبقدر ما همش النظام اللبناني المناطق التي ألحقت بهذا الجبل عام ١٩٢٠ كان تهميش تاريخها . إذن ما نتوخى في هذا البحث الولوج الى الخلفية الحقيقية لحالة الاستنهاض العام الثوري في جبل عامل اليوم ضد الاسرائيلي .

في الواقع ان نضال جبل عامل ضد الغزاة شكل الخبز اليومي لسكانه منذ القدم حتى اليوم . ففي كل مرة كان لقادة الرأي فيه دور طليعي على كل الأصعدة لمواجهة مستلزمات المرحلة . ومهما قيل في الخلفية المحركة لانتفاضة العامليين ضد المحتل الاسرائيلي اليوم تبقى مندرجة في السياق

العام للتراث العاملي ولحركة التحرر العربية المناهضة للامبريالية . من الصعب فهم طبيعة منطلقات المواجهة ضد الأجنبي عند كل شعب منقطعة الجذور عن تراثه وان اختلفت طبيعة المرحلة وثقافتها التي تحدد وعي الناس .

إن نهج التصدي للمحتل ليس قالباً جامداً تحتكره فئة من الشعوب دون أخرى ومن لم يأخذ بها يهزم في نضاله . فكل شعب يملك من مقومات النضال ضد السيطرة عليه تراثاً يستثمر لصالح المصالح العليا للشعب . وفي تاريخ الشعوب آلاف الشواهد على ذلك .

إن اقتران الاسلام كمحرك أساسي في الماضي ضد الغزاة واليوم في التصدي للعدو الاسرائيلي في جبل عامل لا يعني أن الديانات الأخرى لا تحمل في مضامينها أساساً لمواجهة المحتلين والمستغلين . فإذا سلمنا بهذا السياق من الكلام نكون قد انتقصنا من شمولية هذه الديانات في الدفاع عن حقوق المستضعفين وأفقدنا الاسلام أحد مقوماته التي في أسسها إكمال ما سبقه من رسالات سماوية . لذلك فإن المشكلة ليست في التعاليم السماوية بل في القيمين عليها وفي مدى استخدامها لصالح الأكثرية من الناس . ما يحدد اقتران الاسلام كقوة فاعلة في مقارعة المحتل في جبل عامل عاملان :

١ ـ منذ القدم ـ وهذا ما سنحاول الاشارة اليه في سياق البحث ـ كان سكان جبل عامل مغلوبين على أمرهم يُستغلون لصالح قوى خارجية مما أوجد حركة مقاومة دائمة أخذت تنمو مع تبدل المرحلة وتنامي الثقافة حتى شكلت تراثاً غنياً يستثمر في كل تحرك سياسيّ أو مطلبي .

٢ ـ بما أن الأكثرية من العامليين هم من المسلمين فبديهي أثناء مناهضة الأجنبي أن يركز قادة الرأي فيه ولأي فكر سياسي انتموا على الهوية العاملية التي يدخل الاسلام فيها كعنصر ضمن مشروع وطني

متكامل . في فترة الصراع مع الانتداب الفرنسي عطل الاجماع الوطني العاملي من قبل الأقلية المسيحية فيه الذين وجدوا في كل أجنبي نصيراً لهم ضد المسلمين بعدما صور لهم الغربي أن حسم الأمـور في الدولـة العثمانية وفي لبنان لاحقاً لا يتم إلا بالارتباط به بعدما غذى الصراعات الطائفية في الشرق . وقد ساهم في ترسيـخ هذا الفهم بعض قـادتهم وهم خـريجي البعثات التبشيـرية الأجنبيـة الـذين لعبـوا دور قنـاصـل للمؤسسات التجارية الغربية . إن هذا الإرتهان للأجنبي قد أجهض جزءاً من تعاليم المسيحية دون إبطال الديانة بالمطلق في المساهمة بمشروع وطني وفي مناصرة المستضعفين .

إن نفرد بحثنا لمـواقف العامليـين من الوحـدة والمساواة بـين ١٩٠٠ - ١٩٣٦ لإبـراز كم كانت هـذه المطالب محـرك لهم في مقـاومـة العثمـانيـين والانتداب الفرنسي والنهج الطائفي للنظام السياسي في لبنان . كذلك للرد على بعض وسائل الاعلام المختلفـة التي تنسب المواقف المشـرفة للعـامليين اليوم في التصدي للمحتل الاسرائيلي بأنها ظاهرة حركتها الثورة الاسلاميـة في إيـران . بينما الـواقع أن الثـورة الايرانيـة هي محط اعجاب العـامليـين وتأييدهم ، لكن ما يجري على أرض جبل عامل في هـذه الفترة مـا هو إلا إستمرار للتراث العاملي الذي يشكل الاسلام فيه رافداً كبيراً .

يـأتي هذا البحث مستنـداً على أدبيـات العامليـين وخاصـة الصحافـة العـاملية وعـلى أرشيف عصبة الأمم في جنيف والمصـادر الأخرى العـربيـة والأجنبية والتي ساهم بعض محرريها في صنع الأحداث في بلاد الشام .

الفصل الأول

الحالة الاقتصادية والعلمية في جبل عامل

حالة الزراعة :

شكلت الزراعة الركيزة الاقتصادية الاساسية في جبل عامل مع أن استغلال الأرض استمر بالوسائل البدائية . وقد ساهمت ظروف عديدة خلال فترة السيطرة العثمانية وولادة الدولة اللبنانية لاحقاً دون تطوير الزراعة بل زادت من نسبة الأراضي البور . ويمكن تلخيص هذه الظروف بالتالي :

● وقوع الفلاح العاملي تحت هيمنة اقطاعية مستمرة مما فاقم من استغلاله بحيث لم يبقى له من الانتاج سوى جزء من الكفاف الضروري لعيشه واستمرار دورة الانتاج . وإن كان قد حصل بعض التبدل في شكل استخلاص الريع العقاري من الفلاحين العامليين خلال فترة الانتداب الفرنسي لكن لم يحدث نفس التغيير في جوهر العلاقة بين الاقطاعي والفلاح العاملي .

● ندرة الأموال ومن كان متمولاً لم يستثمر أمواله في الزراعة لارتباط الإنتاج بتقلب الأحوال الجوية وهذه غير مضمونة النتائج . في حين أن السياسة الرسمية للدول المتعاقبة على حكم جبل عامل غيبت بشكل كلي كل

اهتمام بالريف . وإذا كان هناك من استثناء فالاهتمام والتسليف لا يطال الا كبار الملاكين .

- فقدان الأمن وكثرة المشاحنات بين العائلات لاسباب متعددة مما نفّر الفلاحين من الزراعة .

لكن في مطلع القرن التاسع عشر وأثناء حكم إبراهيم باشا شهدت زراعة التبغ في جبل عامل مردوداً مادياً عندما تأمن لها أن تصدّر من مرفأ صور الى دمياط في مصر فضلاً عن إباحة حرية الزراعة . وبات التبغ العاملي يشكل حيزاً مهماً من اقتصاد جبل عامل حتى سنة ١٨٨٣ . في هذه السنة منحت الدولة العثمانية احتكار التبغ لشركة فرنسية في الولايات الخاضعة لسيطرتها باستثناء جبل لبنان عملاً ببنود بروتوكول ١٨٦٤ .

حصرت شركة الريجي زراعة التبغ في مناطق معينة في جبل عامل وذلك ليتسنى لها حصر الانتاج تسهيلاً لمراقبته ولمكافحة زراعة المساحات من الأراضي غير المحددة في الترخيص لكل مزارع . وأمسى كل فلاح يود زراعة التبغ مطالباً بالحصول على إذن من الشركة . وهذا ليس أمراً سهلاً . فلكي يحصل المزارع على الإذن كان يُطلب منه أن يقدم استدعاء بإمضائه مصادقاً عليه من مختار المحلة ويُرفع الى القائمقامية الذي تحيله لقلم النفوس ومنها للطابو والويركو . وحسب نظام الشركة لعام ١٩٠٤ توجب على طالب الإذن أن يكون بتصرفه أرض لا تقل مساحتها عن نصف دونم وأن تكون محاطة بسياج وأن تكون هذه الأرض صالحة لزراعة التبغ .

هذه الشروط مجتمعة في منطقة كجبل عامل تسوده الملكية الكبيرة والمتوسطة وتقل الملكية الصغيرة التي غالباً ما تقل عن الحد المطلوب للترخيص تشكل عائقاً كبيراً أمام أعداد كبيرة من الفلاحين العاملين . وتشير جريدة جبل عامل عام ١٩١٢ الى مثال من هذه العوائق ، « ان سندات الطابو لا يمكن تطبيقها على حالة الحقول المذكورة بها إلا مجلسياً

ومحلياً ، فهناك حالة يحصل الإلتباس فلا يقدر المأمور أن يجيب لا سلباً ولا إيجاباً ويجب حينئذٍ التحقق محلياً وقبض رشوة وتطول فترة الحصول على الجواب النهائي » . يضاف الى ذلك أن فقدان الأكثرية من العامليين الى المساحة المطلوبة من الأرض للحصول على الترخيص تجعله يلجأ الى استئجار أرض إضافية وبأسعار عالية وأن يستدين ليبني السياج ، وأن أصحاب العلاقة في الشركة ليقرروا أرضه صالحة لزراعة التبغ .

ما يقال عن قوانين تعسفية للشركة كانت لا تطال الا صغار المزارعين . أما كبار الملاكين والمتنفذين عند النظام كانت لهم حظوة عند الشركة في كل شيء فضلاً عن أن التوظيف في الشركة كان حكراً على أبناء وأزلام هؤلاء المحظوظين ليكونوا مراقبين والأداة التنفيذية بيد الشركة في استثمار الفلاحين .

بالمقابل تضمن نظام إدارة حصر التبغ بعض المواد لصالح المزارع مثل :

المادة الثانية : إن إدارة الحصر ملزمة بإعطاء سلفيات من نصف ليرة إلى خمس ليرات عن كل دونم أرض لأجل مساعدة المزارع .

المادة ٢٦ الفقرة الثانية : إن شركة الحصر تُجبَر على شراء الدخان بالسعر الذي يتفق عليه مخمنان منتخب أحدهما من طرف الادارة والآخر من طرف صاحب التبغ وإذا لم يتفق هذان المخمنان يعين من الطرفين مخمن ثالث[١] .

على أرض الواقع لم يحصل صغار المزارعين أي شيء من حسنات هذه المواد . فأسبابها تعود لجهل المزارع لحقيقة نظام الشركة ومنها عائد الى حالة

١ - جريدة جبل عامل : ٢٥ نيسان ١٩١٢ .

التفكك في صفوف المزارعين والخوف الدائم عندهم من انتقام الشركة ومناصريها من كبار الملاكين .

إذن ما أن وقعت الدولة العثمانية شروط حصر التبغ مع إدارة الريجي حتى وضعت العقبات أمام زراعة التبغ وبيعه . فيما راحت مصر تفرض الرسوم الباهظة على دخول التبغ العاملي مما سمح بمزاحمة كبيرة لصالح التبغ اليوناني وغيره . كذلك بات من الصعب على المزارع العاملي أن يجد مشتري يقدم على شراء تبغه خوفاً من مصادرة إدارة الريجي له . والشركة لا تشتري التبغ من المزارع الا بأسعار بخسة لا تسمح للفلاح بتعويض تعبه أو تؤمن حد أدنى من العيش له ولعائلته ، لهذا أصبح أسيراً للمرابين الذين يطلبون فوائد كبيرة على قروض يعطونها للمزارع لحين بيع موسم تبغه ، وتحت أعباء تلك الديون اضطر كثيراً من العامليين لبيع أراضيهم لذوي الثراء من تجار المدن وأصبح المزارع بالتالي يعمل ويشقى لمالك الأرض . أما الحكومة العثمانية فلم تقدم على مساعدة العامليين بل لم توفرهم من مغارمها وأزلامها .

إن التغيير الذي أعقب الحرب العالمية الأولى من انتقال السلطة من العثمانيين الى الانتداب الفرنسي وضم جبل عامل الى لبنان الكبير عام ١٩٢٠ لم يغير من طبيعة العلاقة بين إدارة حصر التبغ والعامليين . فقد تضمنت معاهدة لوزان بنوداً تقضي بتقييد البلدان المنفصلة عن الدولة العثمانية بالاتفاقات والالتزامات التي أخذتها هذه الدولة على عاتقها قبل تشرين الأول ١٩١٨ . ولكن امتياز الريجي الذي بدأ عام ١٨٨٣ وانتهى عام ١٩١٣ اتفق على تجديده خمسة عشر سنة دون أن يحظى هذا التجديد بالتوقيع النهائي من الدولة العثمانية . لكن بعد دخول الجيش الفرنسي بلاد المشرق اعتبر المندوب السامي هذا التجديد مبرماً حكماً . وقبل أن يحين وعد إنتهاء أمد التمديد قامت في لبنان حملة واسعة لإنقاذ البلاد من تعسف إدارة حصر التبغ ، مطالبة بعدم تجديد الامتياز عند انتهائه . فقد طالب النائب

يوسف سالم بالتخلص من تعسف شركة الريجي وعدم تجديد الامتياز « فإن لم نتقي اليوم الشر وقعنا في المكيدة ، وكانت النتيجة قتل الفلاح المسكين الذي ينحت الصخر ليعيش ، وفي قتله قتل لبنان وأبر أبنائه وأغنى موارده »[٢] .

فيما قدم يوسف الزين مشروعاً جديداً يحل محل الريجي باعتبار « أن الاحتكار موت اقتصادي محقق » وان مصلحة زراعة التبغ لا تتفق مع الاحتكار بل بحرية الزراعة[٣] . كان لتمديد المفوض السامي لادارة الحصر على أساس شروطها السابقة أن سبب اندلاع نقمة المزارعين ضد الشركة حتى بلغت من الخطورة حداً اضطرت المفوض السامي الى عدم تجديد الامتياز للريجي واستبدل نظام الحصر بنظام البندرول وفقاً للقرار المتخذ في ٣٠ أيار ١٩٣٠ .

أباح النظام الجديد حرية زراعة التبغ وصناعته وتجارته لكن طلب من المزارع باعلام السلطات خطياً عن نوع التبغ الذي يريد زراعته ومكان زراعته ومساحتها ، التي لا ينبغي أن تقل عن خمسماية متر مربع .

وعليه قبل تشرين الأول من كل عام أن يُعلم السلطة عن مقدار محصوله بالكيلغرام ، وأباح للسلطة ، متى تشاء ، أن تتأكد من ذلك ولا يحق للفلاح نقل محصوله قبل اطلاع مندوب الشركة على وضع التبغ ، وتسليمه بياناً رسمياً بمحصوله يُسمح له فيما بعد ببيعه للتجار . في حين خفضت المفوضية الفرنسية الرسوم على الدخان الأجنبي على حساب الانتاج الوطني . وبعدها راحت المفوضية تقطع الطريق على وحدة الموقف بين

٢ ـ د. بدر الدين السباعي : أضواء على الرسمال الأجنبي في سوريا ١٨٥٠ ـ ١٩٥٨ . دار الجماهير دمشق ١٩٦٧ ص ١٨٩ .
٣ ـ جريدة المرج (مرجعيون) ١٧ آب ١٩٢٩ .

أصحاب مصانع الدخان اللبنانية وأصحاب مصانع الدخان السورية عبر وضع ضريبة بندرول متفاوتة بين الانتاج اللبناني والانتاج السوري ، فرضت ضريبة ٥٠٪ على الاصناف الأكثر إستهلاكاً و٤٠٪ على الاصناف الوسطى للانتاج السوري بينما كانت الضريبة على الانتاج اللبناني ٢٥٪ على عموم الأصناف . بسبب هذا التفاوت نشط التهريب من انتاج المعامل اللبنانية الى الأراضي السورية لأنها أرخص ثمناً وبهذه الحالة تلهى المنتجون اللبنانيون والسوريون في تسوية الوضع القائم دون النظر الى نظام الريجي واصلاحه[4] .

استغلت المفوضية الفرنسية المساوىء الناجمة عن الزراعة غير المقيدة والأسواق المتخمة بالتبغ بنتيجة الفوضى في تصريف الانتاج وخاصة عند صغار المزارعين الذين يستعجلون في بيع مواسمهم بأي ثمن لتفادي فوائد المرابين حتى قررت العودة الى نظام الحصر .

وفي ١٩ شباط ١٩٣٥ صدر قرار رقم L.R. ٣٨ بتعيين صاحب الامتياز باحتكار التبغ والتنباك لغاية ١٩٦٠ ، على الشكل التالي :

« مادة أولى : قد عُينت الهيئة المؤلفة كما يلي صاحبة لامتياز احتكار التبغ والتنباك في سوريا ولبنان :

١ ـ شركة الدخان اللبنانية السورية .
٢ ـ السيد عثمان شرباتي في دمشق .
٣ ـ السادة جان قاصوف وأخوانه في بيروت .
٤ ـ السادة س. صوايا وأولاده في بيروت .
٥ ـ منيب السكري في دمشق .

المادة الثانية : أمين السر العام مكلف بتنفيذ هذا القرار .

---

٤ ـ جريدة القبس . ١٧ تشرين الثاني ١٩٣٢ دمشق .

أمين السر : لاغارد المفوض السامي : دي مارتيل[٥] .

مُنحت الهيئة صاحبة الإمتياز صلاحية الاشراف الكامل على زراعة وصناعة وتجارة التبغ والتنباك . فهي تمنح رخص مساحة الزراعة وتشكيل لجان لشراء التبغ مع تحديد سعر الشراء من المزارع وكذلك تحديد سعر البيع للمستهلك . ولم يكد يذاع بيان العودة الى نظام الحصر حتى اندلعت الاضطرابات فشملت بيروت ـ دمشق ـ بكفيا ـ جبيل ـ البترون وجبل عامل . فيما تصدر البطريرك الماروني قيادة المعارضة فأبرق الى وزارة الخارجية الفرنسية يشكو الحالة الاقتصادية المتردية وعلى السلطات القائمة آنذاك ومحتجاً بنوع خاص على نظام المونوبول . في ظل هذه الموجة من الاستنكار حصل في أول نيسان ١٩٣٦ اصطدام بين أهالي بنت جبيل ورجال الدرك قتل فيها ثلاثة من الأهالي إثنان من عيناتا وواحد من بنت جبيل . وقد اعتقل على أثرها كثير من شباب البلدة منهم الدكتور أنيس إيراني ، الحاج علي بيضون ، موسى الزين شرارة ، الصحفي سليم أبو جمرة وأحمد بزي . أما ردة الفعل على هذه الصدامات كان بالدعوة لعقد مؤتمر في الطيبة حيث وجد المجتمعون أن الاصرار على طلب الوحدة السورية وطرد المستعمر الفرنسي هو المدخل لانقاذهم من براثن شركة الريجي . في حين أحيت النبطية أسبوع شهداء بنت جبيل الذي تكلم فيه عادل عسيران مهاجماً سياسة الانتداب الفرنسي القمعية مما أدى الى اعتقاله في نفس اليوم[٦] .

في وقت كان الانقسام على أشده بين اللبنانيين من مسألة الكيان اللبناني

---

٥ ـ عبد الرحمن الكيالي : مراحل الانتداب الفرنسي ونضالنا الوطني ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ سوريا ١٩٦٠ ، ص ٩٥ .

٦ ـ نزار الزين : جبل عامل في ربع قرن ١٩١٣ ـ ١٩٣٨ مطبعة العرفان صيدا ١٩٣٨ ص ٨٨ و٨٩ .

أدى استغلال شركة الريجي للمزارعين العاملين دون تفريق بين طوائفهم الى أن يلتقوا على التنديد بسياسة الشركة . ففي ٢٥ أيار ١٩٣٧ تلقت المفوضية الفرنسية من رؤساء الأديان في جبل عامل ببرقية يحتجون فيها على إدارة الحصر وقد جاء فيها « نظم احتكار التبغ بواسطة الرأسماليين الفرنسيين وفرض على لبنان بواسطة عملاء مستفيدين من الانتداب . فانتزع من الشعب آخر مورد له مما دفع لليأس والانتفاضة، باسم رعيتنا كبار المنتجين واسمنا نطالب بالغائه » .

الموقعون هم :

- المطران الماروني بولس المعوشي مطران صور .
- ميشال نوفل كاهن ارثوذكسي .
- يوحنا زوروب رئيس الديانة البروتستانتية .

أما عن رجال الدين الشيعة فقد وقع البرقية : حسين نور الدين، عبد المطلب مرتضى ، محسن علي شرارة ، هاشم شرف الدين ، جعفر الحكيم ، محمد شرارة ، علي بزي ، صدر الدين الحسيني(٧) .

ردت المفوضية الفرنسية على مطالب مزارعي التبغ وأنصار الوحدة السورية في جبل عامل بتعيين ضابط في صيدا « بتشكوف » للضرب بعنف على يد كل المطالبين بالغاء امتياز إدارة الريجي والمعارضين لسياسة الانتداب .

وأخيراً بقي امتياز الحصر كما أقره المندوب السامي الفرنسي عام ١٩٣٥ وبقيت معانات صغار المزارعين مع هذه الشركة . أما كبار الملاكين فلم يكن يشعرون بتعسف إدارة الريجي لأنها كانت ترخص لهم بمساحات كما يرغبون

٧ـ Comité permanant du Mandat (C.P.M.) - 1959- le 24 Mai 1937, Societé des Nations (S.D.N.) Geneve.

وعند تسليم الانتاج يعطون أسعار معروفة سلفاً مهما كانت رديئة نوعية تبغهم . عدا ذلك ، كان المزارع الكبير يستغل في جني محصوله اعداداً كبيرة من العمال ابتداءً من الأولاد البالغين العاشرة من العمر وكل قادر على العمل من الذكور والإناث وذلك بأجور بخسة . وقد حُدد دوام العمل يومياً من شروق الشمس الى مغيبها أثناء مرحلة الزراعة ومرحلة التوضيب . أما توقيت العمل أثناء القطاف فيبدأ من منتصف الليل حتى مغيب الشمس .

هذا الوضع من العمل الذي يقارب السخرة كان يجري في ظل غياب كامل للتنظيم النقابي أو رقابة حكومية على ممارسات الشركة ومن ثم على كبار المزارعين . بهذا كانت إدارة الريجي دولة ضمن دولة وسلطتها على الفلاح العامل وفي ميدانها أعظم شأناً من أية سلطة أخرى .

في الواقع إن غياب التخطيط الزراعي من قبل المسؤولين في الدولة اللبنانية يدل على نهج يرتكز على إهمال الريف اللبناني ومزارعيه وتركه يواجه مصيره بنفسه عبر النزوح والهجرة أو الصمود في الأرض يواجه القهر والجوع والمرض .

إن القروض التي سلفها البنك الزراعي اللبناني لم تساهم في تنشيط الزراعة في الريف لأنها صرفت تلك التسليفات على مشاريع لا تمت الى الزراعة بصلة ونال كبار الملاكين الجزء الأكبر منها فاستغلوها بمشاريع أخرى . وأما عن القروض المعطاة للفلاحين ومدى تأثيرها في مساعدة الفلاح قال فيها نائب الجنوب فضل الفضل « إن المبلغ الذي وزع من المال على الفلاحين في جميع مناطق الجمهورية اللبنانية ليس شيئاً يذكر بالنسبة لحاجة الفلاح الشديدة . فقد وزع المال عندنا في الجنوب واستطيع أن أؤكد لحضراتكم أن قرى كثيرة بل قرى تؤلف أكثرية جبل عامل الساحقة لم يصلها من المال سوى ليرات سورية لا تتجاوز الثلاثين ، فإذا تعدتها فإلى

الخمسين . وأنتم تتفقون معي أن مبلغاً طفيفاً كهذا ليس من شأنه أن يسد فاقة أو يشتري بذاراً ، فضلاً عن أن يحسب مساعدة الحكومة للفلاحين المعوزين »[٨] . إلى جانب هذا فقد ترتب على الأزمة الاقتصادية العالمية عام ١٩٢٩ ان رمت بثقلها على كاهل الفلاح العاملي بسبب انقطاع موردهم الاقتصادي الذي كان يردهم من المهاجرين في أمريكا ، وبالتالي كان لسلخ بعض المساحات الواسعة من أراضي جبل عامل والواقعة في خراج منطقة الحولة الى حكومة فلسطين أن أوقعت ملاّكيها في منطقة مرجعيون في حاجة ماسة للمساعدة . وتشير جريدة « القلم الصريح » المرجعيونية « عن مظاهرات احتجاج لأهالي بلدة الخربة وسواها أمام دار الحكومة في مرجعيون معلنين استنكارهم لضروب الارهاق التي يصيبهم بها الجباة إذ يحجزون على البيادر غلالهم وحبوبهم وتبن دوابهم ، ولا يبقون لهم شيئاً . ولقد هاجمت فرقة المتظاهرين دار الحكومة مطالبة بتعجيل رفع الحجز محتجة على عدم سماع صدى شكواهم في العرائض الكثيرة التي كانت قدمتها بهذا الخصوص للمراجع العليا والى الجرائد في بيروت »[٩] .

في الحقيقة استطاعت السلطة العثمانية وبعدها اللبنانية أن تلتف على حركة النضال المطلبي في جبل عامل واجهاضها وقمعها . وما ساهم في نجاح السلطتين في سياستها القمعية مجموعة عوامل موضوعية وذاتية تتمثل بظروف حياة الفلاحين العامليين وبالتالي صعوبة تنظيمهم ، وبسيادة الأفكار والتقاليد القديمة ، العائلية والعشائرية والطائفية . إن حركة الفلاحين العامليين لم تستطع أن تتحرر من نفوذ رجال الدين القوي ولا أن تضع نفسها خارج دائرة الصراع العائلي الاقطاعي ضد بعضها وضد السلطة المركزية أحياناً .

---

٨ ـ مسعود ضاهر : الجذور التاريخية للمسألة الزراعية . ١٩٠٠ ـ ١٩٥٠ منشورات الجامعة اللبنانية ١٩٨٣ ص ٧٢ و٧٣ .

٩ ـ جريدة القلم الصريح (مرجعيون) ١٠ آب ١٩٣٥ .

حالة الصناعة

لم يعرف جبل عامل الصناعة بقصد التصدير بقدر ما كانت تلبية لحاجات محلية تفرضها الضرورة الملحة . فأكثر ما اشتهر في جبل عامل كثرة الأنوال التي كانت تصنع الديما وأنواع الأقمشة للقمصان وبيوت الفرش وغيرها . ومثلاً في بلدة شحور التي يبلغ عدد سكانها ألف نفس كان يوجد ماية نول للحياكة تحوك الأقمشة القطنية على أنواعها(١٠) .

مع دخول البضائع الأجنبية الرخيصة الى أسواق بلاد الشام وجبل عامل زاحمت البضائع الوطنية التي كانت تقل جودة ومع هذا بقيت غالية الثمن بالنسبة الى تلك مما قضى عليها . ومن أهم الصناعات العاملية أيضاً كانت صناعة الأحذية وآلات الفلاحة : المحراث ـ النير ـ المورج ـ المنجل ـ المعول ـ المطرقة ـ وسكة الفلاحة . كما اختصت هونين وعديسة بصناعة الحصر والبابير .

عام ١٩١١ شجع قائمقام صيدا سعيد بك الوجهاء من أبناء صيدا وجبل عامل على تأسيس معمل للسجاد فوضع له برنامجاً من ١٦ مادة واختار له هيئة إدارية تقوم بشؤونه مؤلفة من التالية أسماءهم :

الحاج ابراهيم عسيران (صيدا)
الشيخ أحمد رضا (النبطية)
أحمد عارف الزين (صيدا)
بهاء الدين الزين (مفتي صيدا)
حسين المجذوب (صيدا)
الحاج حسن رضا زنتوت (صيدا)

---

١٠ ـ جريدة جبل عامل ١ و٨ و١٥ شباط ١٩١٢ .

الحاج رشيد قطب (صيدا)
الحاج سعيد البزري (صيدا)
عبد اللطيف لطفي (صيدا)
محمود الحسن (النبطية)
مصطفى لطفي (صيدا) .

اتخذ مركز إدارة المعمل في صيدا على أن يكون له فروع في كل مكان من الولايات العثمانية . وحدد مبلغ ألف ليرة ذهب كرأسمال للمعمل على أن تضاعف عند اللزوم . وقد قسمت أسهماً للبيع وبأن يكون كل سهم بليرة عثمانية .

بدأ العمل عند التأسيس بإحدى عشر نولاً وما يقرب من ثلاثين فتاة يشتغلن في حياكة السجاد . وقد أنجز خلال سنة صنع ١٥ سجادة . وبهدف إنشاء فروع للمعمل في أقضية جبل عامل قدم سعيد بك يصحبه بعض الأعيان الى النبطية واستدعى اليه بعض وجهاء الجبل ومختاري القرى وأخذ يحثهم على مساعدة المعمل في صيدا مع الوعد بإنشاء فرع في النبطية . وتقول جريدة جبل عامل « بأن دعوة سعيد بك لم تلاق تجاوباً لأن أكثرية المدعوين عاتبون على القائمقام لأنه أفرد صيدا بمشاريعه الكثيرة وصرف جل اهتمامه لاصلاح أحوالها بوجه خاص مع أن الأموال التي جمعت لهذه الغاية إنما دفع معظمها العامليون فمن العدل إذن أن ينالهم بعض النفع على أنهم أحوج من سواهم لها »[١١] .

خلال ثلث قرن على ولادة لبنان الكبير لم يصب جبل عامل النمو التي شهدته الصناعة في لبنان (١٩٢٦ ـ ١٩٤٠) نتيجة توظيف رساميل عديدة في مجال الصناعة المختلفة . بل أقفل معمل السجاد ولم يبق الا الصناعات

---

١١ ـ نفس المصدر ، ٤ كانون الثاني ١٩١٢ .

الحرفية التي اقتصر انتاجها على احتياجات العاملي . ويعـود السبب الى أن الدولة اللبنانية أبقت جبل عامل خاضع للتسلط الاقطاعي الذي كان قائم زمن الدولة العثمانية ، يحرم من مغانم الدولة بينما يستوفي منه الضرائب على اختلافها .

حالة التجارة

خلال فترات متقطعة عـرف جبل عـامل قسـطاً من النمو عـلى صعيد التجارة بين مناطقه . وساعد وفرة الانتاج لدى أبنائه وكثرت حـاجاتهم ان قامت في جبل عامل أسواق أسبوعية يجتمع اليها الأهلون بمنتوجاتهم يبيعونها ويشترون ما يحتاجون . وقد استغرقت هذه الأسواق أكثر الأسبوع فـلا يمر يوم الا وله في إحدى مناطق جبل عامل (معرض) زراعي تجاري صغير . وحافظت هذه الأسواق على استمراريتها وقت الحرب والسلم . وكان أكثر هذه الأسواق اجتماعاً وأكثرها تجـارة السوق الـذي يقام في النبـطية يـومي الأحد والاثنين من كل أسبوع لأنها تشكـل نقطة الاتصـال بين مـرجعيون وصيدا وأقضية أخرى . وتدليلاً على أهمية هذه السوق لكثرة ما كان يؤمـه من ولاية بيروت وجبل لبنان وأطـراف ولاية سـورية . من هنـا كاد مـورد ارتزاق أهالي النبطية والقرى المجاورة لها تنحصر بهـذا السوق . في مـطلع القرن العشرين أخذت تتراجع حركة البيع في سوق النبطية . وتعزو جريدة « المرج » المرجعيونية السبب الى كثرة الضرائب وطريقة جبايتها التي أثقلت كاهل البائعين في هذا السوق مع أنها لم تكن مسجلة في قانون أو شارك فيها سوق النبطية أحد الأسواق . وهذه الضرائب كانت كالتالي[١٢] :

١ ـ يؤخذ عشرون بارة من باعة الخضر والليمون والتين وما شاكله عن كل

---

١٢ ـ جريدة المرج ١٠ و٢٥ شباط ١٩٠٩ .

فردة ـ أو سلة ولو حوت ما لا يباع بأكثر من الضريبة ـ

٢ ـ من باعة الفخار يؤخذ جرة = صحيحة = على كل حمل من الجرار والأباريق وما أشبهها ولا نعلم ماذا تكون الضريبة على حمل الخوابي أو حمل الأباريق إذا كان خالياً من الجرار .

٣ ـ يؤخذ من المكارية الذين هم من غير القضاء ويفدون للسوق عن الحمار عشر بارات ـ وعن الفرس عشرون بارة ومثل ذلك عن البغل وعن الجمل غرش .

٤ ـ يؤخذ عن كل جرة أو ظرف أو عن كل طنجرة « صغيرة كانت أو كبيرة » من الزيت والدبس غرش واحد .

٥ ـ يؤخذ من الاسكافية إن كانوا من داخل القضاء عشر بارات ومن خارجه عشرون بارة .

٦ ـ من باعة الذراع عن كل دكان من أهل القضاء عشر بارات وللخارجين عشرون .

٧ ـ من باعة الحصر والبابير عن كل حمل غرش واحد .

٨ ـ يؤخذ عن كل لوح أو مورج للدراسة يرد من الجبل لسوق النبطية عشر بارات والخارج عشرون بارة .

٩ ـ يؤخذ من المكارية الذين يربطون دوابهم في أرض السوق عن الجمل والبغل والفرس عشرون بارة .

١٠ ـ يؤخذ من الكراد تجار الغنم عند مرورهم بالنبطية عن كل قطيع رأس غنم واحد ان باعوا أو لم يبيعوا وإذا باعوا أخذ منهم علاوة عن كل غرش بارة واحدة .

إلى جانب هذه الضرائب التي يمكن تسميتها « بضريبة سوق النبطية » عرف جبل عامل ضريبة طالت بشكل رئيسي البدو الرحّل وتسمى برسم « القشلاقية » وهي ضريبة تؤخذ من هؤلاء مقابل ثلاث أشهر الشتاء التي يقضونها في بعض الوديان . وكانت الحكومة العثمانية تضمن هذه الرسوم

الى ملتزمين يستبدون ويتصرفون حسب أهوائهم ، فيأخذون رسماً عن بيت الشعر أربع أو خمسة ريالات مجيدي ، ورسماً على المواشي التي يكـونوا قـد أحصوها ودفعوا عن عدد الرؤوس لصندوق الدولة[١٣] . أما على صعيـد تجارة جبل عامل بالخارج فمنذ القدم اشتهر مرفأي صور وصيدا بتجارتها مع مرافىء بلدان البحر المتوسط . وبعد فتح إبراهيم باشا لبلاد الشام واستتباب الأمن فيها ازدهرت حركة تصدير التبغ وقليل من القطن والفحم والحطب من مرفأ صور الى دمياط في مصر . وفي حين كان التبادل التجاري على أشده مع أسواق المدن الفلسطينية والداخل السوري حالت ظروف متعـددة دون تطوير التجارة بين جبل عامل ومحيطه :

● بسبب منح الدولة العثمانية الرأسمـال الفرنسي احتكـار التبغ توقفت تجـارة هذه المـادة مع مصـر . وتراجعت تجـارة مواد السلع الأخـرى نتيجة الأعباء الضريبية الباهـظة لتموين الحـروب المتتاليـة للدولة العثمـانية عـلى حدودها .

● جاء إلحاق جبل عامل بدولة لبنان الكبير عام ١٩٢٠ ليمركز كل نشاط تجاري وصناعي بالسوق المركزي في بيروت وبمرفئها . عندها أضحى مرفأي صـور وصيدا مـرافىء ثانـوية يستعمـلان لصيد الأسمـاك . وبالتـالي كـان لانفصال جبل عامل عن سورية أن ارتبطت التجارة بينهما بالحالة السياسية بين دولتي سوريا ولبنان والتي شهدت فترات من الحرب الجمركيـة أدت في النهاية الى قطيعة اقتصـادية عـام ١٩٥٠ . كان لـظهور حـركة الاستيـطان اليهودي في فلسطين ووضع بريطانيا الحواجز الجمركية بينها وبين دولة لبنان أن أضعفت من حركة التبادل التجاري بين الدولتين والى أن انقطعت نهائياً عام ١٩٤٨ . وقد أصاب العامليون بشكل رئيسي خسارة كبيرة نتيجـة ما

---

١٣ ـ نفس المصدر ٧ نيسان ١٩٠٩ .

حل بفلسطين نظراً للعلائق الوثيقة على كل الأصعدة التي تربط جبل عامل بأسواقها .

الحالة العلمية

إن جبل عامل على ضيق رقعته وقلة ساكنيه كان له سالف مجيد في العلم برز فيه مشاهير في التصنيف والتأليف وفي تأسيس المعاهد العلمية التي تخرج منها العديد من رجال العلم والدين وتوافد اليها الطلاب من كل ناحية .

إن فترة النهضة العلمية في جبل عامل هي فترة الشهيد الأول ٧٨٦ هـ - ١٣٨٤م وما يليه وفترة الشهيد الثاني وما سبقه وتأخر عنه حتى القرن الثاني عشر الهجري ، بعدها أخذ العلم يتراجع نتيجة لسياسة التعسف وفقدان الأمن . أخذ الولاة يضربون السكان بعضهم ببعض لضمان سيطرتهم على مبدأ « فرِّق تسُد » . وبما أن مراكز العلم تنتشر أينما يسود الأمن والطمأنينة ، وجبل عامل لم يكن على شيء من ذلك ولمدة قرنين كان يتراوح وضعه بين أهواء مطامع الحكام والانتفاضات الأهلية ضد الولاة وخاصة أيام الجزار الذي شرد كثيراً من أهل العلم فيه ونهب كتبهم وأحرقها وما تبقى منها دفنت في طي التراب إخفاءً لها عن عيون أتباعه .

لم تمر أعوام على حملة الجزار وبزوال حكمه حتى أخذ جبل عامل يستعيد بعض نهضته العلمية وانتشرت فيه المدارس التي اكتظت بالطلاب وكان أشهرها مدرسة جبع للشيخ عبد الله نعمة ومدرسة حنوية لمؤسسها الشيخ محمد علي عز الدين . ومن وقتها أخذت تظهر بيوت العلم ولكن لم تعمر طويلاً فكانت كلما ظهرت مدرسة أقفلت أخرى . فأسست في آجال متقاربة مدارس بنت جبيل والنبطية الفوقا وأنصار والنميرية والنبطية وحنويه

وشقرا وعيناتا والخيام . ولم يطل على ظهور هذه المدارس فترة حتى راحت تقفل الواحدة تلو الأخرى[١٤] .

لم يكن رواد النهضة العلمية في جبل عامل من المنغلقين في منطقتهم بل كانوا منطلقين على محيطهم وخاصة دمشق التي كانت من ديار العلم المهمة التي قدم اليها العامليون . وإن كان من الصعب تحديد ما لهذه الصلة العلمية من أثر في دمشق وجبل عامل ، لكن يذكر أن الشهيد الأول هو أول من عرف بهجرته الى دمشق وأول عامل على تحقيق هذه الصلة . إن أثر هذه الصلات كانت أبين ظهوراً في جبل عامل منه في دمشق ، وبتأثير صلة الشهيد الأول بدمشق قامت مدرسة جزين مسقط رأسه بتعليم منتظم مطبوع بطابع المدارس الدمشقية وأمها وفود من كل حدب وصوب وكانت مبدأ النهضة العلمية العاملية وقام على أمثالها مدارس كثيرة في كل المناطق العاملية . وسار الشهيد الثاني وبعض بنيه وكثيرون من جبل عامل على طريقة الشهيد الأول في تجديد عهد تلك الصلة فأخذوا عن شيوخ دمشق مختلف العلوم وما كانت لهذه الصلة لتتوتر لولا تراجع العلم في البلاد وتوافر الفتن[١٥] .

عام ١٩٠٣ ، أسس السيد محسن الأمين في دمشق المدرسة العلوية الاسلامية من تبرعات المغتربين اللبنانيين والسوريين في المهجر(*) واستمر لبعد وفاته[١٦] .

ان الدرجة من التبحر في العلوم الدينية التي بلغها رجال الدين في جبل عامل جعلتهم محط أنظار كل من يريد معرفة المذهب الشيعي . فعند

١٤ ـ جريدة جبل عامل ، ٢٨ كانون الأول ١٩١٢ .

١٥ ـ سليمان ظاهر : صلة العلم بين دمشق وجبل عامل . مجلة المجمع العلمي في دمشق ١٩٢٨ مجلد ٩ جزء ٥ و٦ ص ٣٥٣ و ٣٥٤ .

١٦ ـ بيان أعمال جمعية المدرسة العلوية الاسلامية ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ . مطبعة زيدان دمشق .

منصرم القرن السادس عشر جعل الشاه اسماعيل الصفوي في إيران دين الدولة الرسمي المذهب الشيعي ، لكنه وجد من العسير أن يوفر للناس أئمة يعلمون الناس حقيقة المعتقد في وقت تندر فيه الكتب عن ذلك . عندها عمد الى ملء الفراغ باستحضار رجال الدين من جبل عامل . وقد غادر الجبل عدد من هؤلاء منهم حسين العاملي وابنه بهاء الدين العاملي ١٥٤٦ - ١٦٢٢ الذي فاق أباه علماً وشهرة وكان الفرس يعرفونه « بشيخ بهائي » وقد رفع الى رتبة شيخ الاسلام في أصفهان حيث كان من ألمع الشخصيات في بلاط الشاه عباس(١٧) .

بعد هذه الفترة ، زاد عدد الوافدين من رجال الدين الى إيران بدون دعوة لتلقي العلم . رغم المستوى العلمي الذي بلغه رجال الدين في جبل عامل بقيت الحوزات العلمية في كربلاء والنجف مراكز يأتي إليها طلاب العلوم الدينية العاملية ليتفقهوا بالفقه الجعفري وذلك لإفتقار المناطق العاملية الى من يمد رجال الدين فيها بالمال لتأسيس الحوزات كما هي في العراق . « من هنا كان السر في انحصار التقليد في علماء العراق لأنهم أعلم علماء الشيعة غالباً لأنهم يصرفون أعمارهم جميعاً في التدريس وهذا لا يتيسر لغيرهم في سائر البلاد »(١٨) .

مع مطلع القرن العشرين أخذت تتعزز العلاقة العلمية بين أهل الرأي

= المتبرعون الأوائل في هذه الجمعية : محسن الأمين ـ الحاج عباس رضا ـ الحاج يوسف بيضون ـ الحاج سليم الفضل ـ الحاج مصطفى والحاج محمد علي الصوان ـ الحاج عبد الله وأخوه الحاج حمزة الروماني .

١٧ ـ فيليب حتي : لبنان في التاريخ . ترجمة د. أنيس فريحة راجعه د. نقولا زيادة دار الثقافة بيروت ص ٤٩٨ ـ ٤٩٩ ـ ١٩٥٩ .

١٨ ـ الشيعة والمنار (كراس) ملحق بالجزء السابع من مجلة العرفان ـ المطبعة العصرية بيروت عام ١٣٢٨ هـ ص ١٤ و١٥ .

في جبل عامل ومصر عبر مجلة « المنار » في نشر للمقالات وتبادل الرسائل مع صاحب المنار . ومع سيطرة الانتداب الفرنسي على لبنان وما أعقبه من ملاحقة للوطنيين في جبل عامل ، لجأ السيد عبد الحسين شرف الدين الى مصر وكان محط رحال المحافل العلمية والسياسية فيها .

لم تستمر لفترة طويلة حالة النهوض العلمي في جبل عامل حتى عادت الى الأفول في أواخر القرن التاسع عشر تحت تأثير معطيات جديدة لم يكن أكثرية مفكري جبل عامل ليدركوا ظروف هذه المرحلة وهي :

١ ـ تغيير برامج التعليم في كثير من بلاد الشام نحو الأخذ بالعلوم الحديثة لأن متطلبات مرحلة القرن العشرين تجاوزت بكثير الميراث القديم في التعليم الذي كان يقتصر على ما يقدم في الجامع أو الزاوية أو بين العلماء وأنسبائهم وأبناء بعض الوجهاء الطامحين . ذلك ما أثر على جبل عامل حيث كانت المدارس في أواخر أدوارها أشبه بمدارس تحضيرية يتلقى الطالب فيها مبادىء العلوم الدينية والأدبية من صرف ونحو ، ومن كان ميسور الحال يرتحل الى مدارس النجف الكبرى في العراق . لكن في فترة لاحقة تحول عدد كبير من هؤلاء الميسورين الى مدارس الارساليات الأجنبية من أجل تولي وظائف في الدولة اللبنانية .

٢ ـ كان للادارة العثمانية اليد الطولى في تراجع العلم في جبل عامل لأنها لم تعمد الى فتح مدارس فيه ولأنها أبطلت مفعول قرار ينص على إعفاء طلاب العلم من الخدمة العسكرية وذلك بعد إجراء امتحان لهم أمام لجنة خاصة مما كان يجبر العديدين لطلب العلم .

إن التأخر الثقافي المشار اليه لم يكن لينطبق إلا على حالة المسلمين في جبل عامل . أما المسيحيون فإنخرطوا باكراً في مدارس الارساليات الأجنبية سواء من الذكور أو الإناث . وقد اشتهر في مرجعيون مدرستان هما : مدرسة المرج العالية ومدرسة الروم . وفي صيدا اشتهرت مدرسة الفنون

الانجيلية الوطنية التي أسست عام ١٨٨٢ ، وقد أشار عدنان الأمين الى هذا التفاوت في صيدا « أما التعليم الاسلامي المحلي فلم يكن حتى نهاية القرن التاسع عشر قد خطا أية خطوات نوعية من أجل التكيف مع المعطيات الجديدة وأن مقارنة الأرقام تدل دلالة واضحة على التفاوت بين حجم التعليم المسيحي الأجنبي وحجم التعليم المسلم . وإذا كان نصف سكان صيدا من المسلمين فإن ٩٪ فقط من المدارس كانت إسلامية . والأرجح أن بعض وجهاء المدينة كانوا يرسلون أبناءهم الى المدارس الأجنبية في تلك الفترة »(١٩) .

في ظل إهمال أمر العلم في جبل عامل من قبل الدولة العثمانية ارتفعت المناشدة للمتمولين فيه للمساعدة لفتح مدارس في منطقتهم . وقد حصل أكثر من اجتماع في سبيل هذه الغاية . عام ١٨٨٤ أسس رضا الصلح أول مدرسة أهلية في النبطية بمنهج دراسي متطور . فدرّس فيها علوم النحو والصرف والاجتماعيات الى جانب اللغة التركية ، لغة الدولة الرسمية . فيما أشارت جريدة جبل عامل عام١٩١٢الى محاولة قام بها خليل بك الأسعد منذ ١٩ سنة في إشادة مدرسة عالية أهلية تُجمع أموال بنائها ونفقات التعليم من تبرعات الأهالي . فدعا الى عقد اجتماع عام في دار آل الفضل في النبطية وضم صفوة رجال أقضية صيدا ، صور ، ومرجعيون . لكن فشل المشروع وطويت صفحته زهاء ١٦ سنة ولم يفكر فيه غير نجله كامل الأسعد منذ ثلاث سنوات فعقد اجتماع بهذا الخصوص في الطيبة . افتتح الاكتتاب للمشروع فبلغ ٨٠٠ ليرة ، ولم يمض زمن يسير على ذلك الاجتماع حتى بردت الهمم . وعقد اجتماع ثان في النبطية في دار آل الفضل لكن أخفق المشروع . لذلك انصرف الجهد الى تعزيز جمعية المقاصد في النبطية(٢٠) .

---

١٩ ـ عدنان الأمين : التعليم والتفاوت الاجتماعي في صيدا ـ ١٩٨١ ـ ص ٢٣ .

٢٠ ـ جريدة جبل عامل ، ٢٥ كانون الثاني ١٩١٢ .

استمرت الجهود المبذولة لأهل الرأي في جبل عامل للتصدي لسياسة التجهيل لابناء جيلهم باعتباره عقبة كأداء أمام تقدمهم في ظل الحالة الاقتصادية والاجتماعية المتدهورة . فأنشأوا مدارس مع أنه ليس لها أوقاف الا نادراً كما هو الحال في أكثر بلاد الاسلام . ارتكزت الجهود لإنشاء مدارس على المبادرة الفردية خاصة إذا ما وجدنا أن المدارس الابتدائية المجانية في جبل عامل أسست في بداية العمل بالدستور العثماني سنة ١٩٠٨ . وإذا ما عرفنا عن مستوى التعليم في هذه المدارس نقلاً عن جريدة جبل عامل « عندما افتتحت الدولة العثمانية بعض المدارس الابتدائية في بعض أقضية جبل عامل فإنها عينت مدرس دون بناء وبلغ عدد التلاميذ حوالي ٢٠٠ من قانا وجوارها لاستاذ واحد هو عبد الرضا شعيتاني »(٢١) .

ولهذا أخذت الجمعيات العلمية تظهر في مناطق مختلفة من جبل عامل وتنكب على فتح مدارس والاهتمام بكل ما يتعلق بالشؤون الثقافية والوطنية وتنميتها . واستمر ظهور هذه الجمعيات أثناء مرحلة الانتداب الفرنسي .

١ ـ جمعية المقاصد الخيرية في صيدا :(٢٢)

أسست هذه الجمعية في ٢٦ ربيع الثاني ١٢٢٦ هـ وهذا ما كتب في ابتداء تأسيسها :

« إنه بعد الاتكال على الله سبحانه وتعالى والاستمداد من فيوض روحانية صاحب الرسالة العظمى (ع) قد تعاهد واتفق كل من الموقعين فيه على أن يكون كل منهم عضواً واحداً متناصرين لمنافع الوطن العمومي والعزب عن مضاره بكل اقدام بما في الوسع والامكان والله المستعان حررت

---

٢١ ـ جريدة جبل عامل ٢٨ ـ آذار ١٩١٢ .

٢٢ ـ أحمد عارف الزين : تاريخ صيدا مطبعة العرفان صيدا ١٩١٣ م ـ ١٣٣١ هـ ص ١١٠ و١١١ .

وثيقة المعاهـدة الأعضاء : عبـد الله لطفي ، محمـد محي الدين حشيشـو ، محمد كامل المغربي ، محمد فريد خورشيد ، ناصيف الأسعد ، محمد منح الصلح ، عمر نحولي ، محمد منيب الصلح ، عبد السلام زنتوت ، محمد عبد الهادي زنتوت ، محمـد النعماني ، محي الـدين الجـوهـري ، حسن الجوهري ، عبد اللطيف لطفي ، حسين الجوهـري » . ومن الأعمال التي قامت بها هذه الجمعية ، افتتاح المكتب الخيري للذكـور في ٢٥ جماد الأول سنة ١٢٩٦ وقد بنت ثمانية دكاكين وأربعة مخازن وخان واحد وقهوة علوية « القهـوة الخيريـة » وذلـك في محلة الفـاخـورة . وأمـام ضغط ولاة العهـد الحميدي ، اضطرت الجمعية لتغيير اسمها عدة مـرات فقد ابتـدأت باسم جمعية المقاصد الخيرية ثم دعيت جمعية المعارف الخيرية ثم شعبة المعارف . وعند إعلان الدستور سنة ١٣٢٤ ، أعادت اسمها الأول وأصبحت تدعى جمعية المقاصـد الخيريـة الاسلاميـة . ويبدو أن هـذه الجمعية هـدفت أثناء المرحلة التأسيسية والتي امتدت طيلة نصف قرن ١٨٧٧ ـ ١٩٣٦ الى تعليم أولاد الفقراء المسلمين في جبل عامل إضافة الى بث روح القوميـة العربيـة التي كانت رياحها قد بدأت تهب في أكثر من مكان من الوطن العربي عبر جمعيات سرية وجمعيات تربوية .

٢ ـ جمعية المقاصد الخيرية في النبطية :[٢٣]

أسست هذه الجمعية عام ١٣٢٧ هـ ١٩١٠ م . بهدف « تعضيد العلم في جبل عامل عامة وفي النبطية خاصة بفتح مدارس ، وإغاثة طالبي العلم من الذكور والأناث على وجه يحفظون دينهم ودنياهم » وحسب العلم والخبر الصادر عن السلطات العثمانيـة في ١٥ تشرين الثـاني ١٣٢٦ هـ . تألفت الجمعية من ثمانية عشر عضواً ورئيس وهم الذين يتولون إدارتها ويقومون

٢٣ ـ القانون الأساسي المعدل لجمعية المقاصد الخيرية في النبطية مطبعة العرفان ص ٥ .

بتصريف أعمالها . أما أعضاء الهيئة التأسيسية فتشكلت على الوجه التالي :

الرئيس العلامة الشيخ أحمد رضا ، نائب الرئيس الشيخ سليمان ضاهر والأعضاء محمد جابر آل صفا ، الحاج محمد رضا ، علي صباح ، الحاج محمد أحمد موسى ، محمد ياسين ، علي أحمد سليمان . افتتحت جمعية المقاصد مدرستين للذكور والأناث في عهد رئيسها فضل الحسن . وقد لاقت مبادرتها كل تشجيع وخاصة من الشبيبة العاملية في بيروت التي بعثت برسالة الى الهيئة الادارية تحثها على التنوع في البرامج بمعنى « تفقيه الناشئة في أمورها الدينية والمدنية لا بتخويفها من النار وتشويقها الى الجنة فقط بل بما يأمرنا به الدين من الأفعال والأعمال والاطوار التي تبين لهذا العالم أن الدين لا يمنع الترقي »(٢٤) .

٣ ـ جمعية نشر العلم :(٢٥)

ولدت هذه الجمعية في صيدا بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٢ . وحُددت غايتها في المادة الثانية من قانونها الأساسي بالتالي : « ترقية المدارس الأهلية على نفقتها الى دار المعلمين ليقفوا على أحدث أصول في التربية والتعليم ومساعدة التلامذة المتوسطي الحال على إكمال تحصيلها الدراسي » . وقد ساهم في تأسيس هذه الجمعية : أحمد عارف الزين رئيساً ، أحمد اسماعيل القطب المدير المسؤول ، توفيق البساط ، أحمد عمر حلاق ، محمد علي حشيشو ، محمد سعيد أبو ظهر ، عبد الغني عبد السلام الساعاتي .

---

٢٤ ـ جريدة جبل عامل ٧ حزيران ١٩١٢ .

٢٥ ـ نفس المصدر ، ٢٨ تشرين الثاني ١٩١٢ .

٤ ـ الجمعية الخيرية العاملية في صيدا :(٢٦)

عام ١٩١٧ ، تشاور بعض المهتمين بالقضايا التعليمية في جبل عامل بتأسيس الجمعية الخيرية العاملية بهدف المحافظة على الإخاء والإلفة بين طوائف البلاد العاملية . وبقي الأمر فترة حتى عام ١٩٢٢ عندما وضع للجمعية قانون ونظام داخلي واتخذ لها مركز رئيسي في صيدا . أخذت هذه الجمعية على عاتقها مهمة إنشاء مدارس ونشر العلم في جبل عامل . وأجازت الجمعية بتأسيس فروع لها في جميع أنحاء مناطق عاملة على نسق الجمعية المركزية وبرخصة منها بشرط أن تكون مربوطة فيها وتابعة لها . وتألفت الهيئة الادارية من : الدكتور شريف عسيران مديراً مسؤولاً ، حسين عسيران أميناً للصندوق ، الشيخ أحمد عارف الزين محاسباً ، أديب فرحات كاتباً وحسن عميس معاوناً للكاتب .

٥ ـ جمعية النهضة العاملية :

بمبادرة من بعض المثقفين في النبطية ظهرت هذه الجمعية الى العلن عام ١٩٢٧ وغايتها نشر العلم وتهذيب الأخلاق في النبطية وجبل عامل .

سميت هيئة الجمعية على الشكل التالي : الدكتور بهجت ميرزا مديراً مسؤولاً ، المحاسب السيد محمد بدر الدين ، الكاتب زين العابدين نصار ، أمين الصندوق عبد الحليم جابر . أعضاء : ابراهيم حمدان ، حسين حامد ، رشيد حيدر جابر ، رشيد شاهين ، الدكتور علي جواد

---

٢٦ ـ قانون الجمعية الخيرية العاملية مطبعة العرفان صيدة ١٣٤١ هجرية .

ـ أعضاء الجمعية ثلاث أقسام : مؤسسون ـ مشتركون ـ فخريون . المؤسسون هم : حسن الزين ـ الشيخ أحمد عارف الزين ـ الشيخ مصطفى الحر ـ الحاج خليل عسيران ـ الحاج مصطفى خليفة ـ الحاج عبد المنعم عسيران ـ الحاج منيف عسيران ـ محمد جميل مروة ـ يوسف الحناوي ـ حسين مصطفى عسيران ـ حسن عميس ـ عبد الله رشيد عسيران ـ أحمد محمد البغدادي ـ علي وهاشم الشامي .

غنـدور ، حيدر جـابر ، محمـد صباح ، جـواد عيسى اسماعيـل ، نجيب جابر[٢٧] .

٦ ـ جمعية العلماء العاملية :

حسب القانون الأساسي لهذه الجمعية لعام ١٣٤٨ هـ ١٩٣٠ م ورد في المادة الأولى : تدعى هذه الجمعية باسم جمعية العلماء العاملية .

المـادة الثانيـة : مركـزها الأصـلي طير دبـة من أعمال صـور ، ويجـوز اجتماعها في غيرها من بلدان العلماء الداخلين في سلكها .

المادة الثالثة : غايتها :

١ ـ العناية بنشر العلم والتعليم في جبل عامل وتسهيل أسبابه .

٢ ـ فتح معهد علمي في جبل عامل لنشر العلم النافع في الدين والدنيا وبث روح التربية الصحيحة الدينية والاجتماعية .

٣ ـ العمل بما يعود على الطائفة بالنفع في دينها ودنياها من لمْ شعثها واصلاح ذات بينها وسائر وجوه الخير والنفع العام الراجع اليها .

المادة الرابعة : لا يتدخل أعضاء الجمعية في السياسـة باسم الجمعيـة سواء أكان ذلك بأنفسهم أو بالواسطة داخل الجمعية أو خارجها ومن تدخل في السيـاسة بـاسمها لـذلك عُـد مفصولاً عنهـا والبت في ذلـك راجـع الى الجمعية .

أشرف على سير العمل في الجمعيـة هيئتان : أعضـاء اللجنة الـدائمة وأعضاء الهيئة العامة .

أعضاء اللجنة الدائمة لسنـة ١٣٤٩ هـ هم : الشيخ حسـين مغنية ، الشيـخ منير عسيـران ، الشيخ عبـد الكريـم الـزين ، الشيخ حسـين نـور

٢٧ ـ جريدة المرج ، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٢٧ .

الدين ، الشيخ محمد يحيى صفي الدين ، الشيخ علي حلاوة ، الشيخ محمد الحر ، الشيخ أحمد رضا ، الشيخ سليمان ظاهر ، السيد محسن الأمين ، السيد محمد ابراهيم ، السيد عبد الحسين نور الدين ، السيد يوسف الفقيه ، السيد علي فحص ، السيد أمين علي أحمد الحسن .

أما الهيئة العامة فقد ضمت الى جانب أعضاء اللجنة الدائمة العلماء السادة : أسد الله صفا ، أمين علي أحمد الحسني ، جواد كوثراني ، حسن شمس الدين ، عبد الحسين زين ، عبد الكريم مغنية ، عبد الله حب الله ، عبد الله الحر ، محمد أمين شمس الدين ، محمد بسمة، محمد حسين فضل الله ، محمد علي نعمة ، محمد قاسم عز الدين ، مهدي ابراهيم ، موسى قبلان[٢٨] .

الوضع التعليمي في جبل عامل خلال فترة الانتداب الفرنسي :

ككل مستعمر اتبع الفرنسيون سياسة التجهيل في المناطق الخاضعة لسيطرتهم كمقدمة لاستمرار هيمنتهم . فلم يحدثوا تحولاً نوعياً على حال التعليم في جبل عامل وإن زادوا في اعداد المدارس الرسمية ذات المستوى المتدني جداً . بالمقابل عززت المفوضية الفرنسية مدارس البعثات التبشيرية التي لفرنسا فيها الحصة الكبرى . شكل العرب المسيحيون أوائل طلاب هذه المدارس في حين استنكف المسلمون عنها لأنها بإشراف أجانب . وقد وصفها السيد عبد الحسين شرف الدين بقوله : « فالجهل أقل ضرراً من هذه المعارف الموبوءة . . . وفي الحق خدعتنا أمتنا بأوهام من الغرور باطلة حيث أرادت استرجاع مجدها بتعليم ناشئتها فدفعتهم الى أحضان هذه المدارس وأضاعت مجدها على وجه آخر ، هو أتقن وأبرع وأشد وأفظع ، إذ تخرج جنوداً علينا ، وعلى مقدسات مبادئنا . . »[٢٩] .

---

٢٨ ـ قانون جمعية العلماء العاملية الأساسي صيدا ١٩٣٠ مطبعة العرفان .

٢٩ ـ أنظر الملحق رقم ١ .

الواضح أن فرنسا أبقت على سياسة تعليمية ترتكز على تلزيم أبناء لبنان لمدارس طوائفها مع أعطاء أفضلية لمدارس الارساليات لاعداد كوادر للمؤسسات الرسمية اللبنانية وللشركات الفرنسية وفروعها في الشرق . عام ١٩٢٩ وضع المستشار الثقافي في المفوضية الفرنسية في بيروت دراسة عن الوضع التعليمي في دول المشرق ورد فيه : « كانت المدارس الدينية الحرة تطابق بشكل جيد البنية الاجتماعية للبلد وتقاليده . إن التعليم الخاص وخاصة في لبنان يحتل المكان الأول سواء بالنسبة لعدد التلاميذ أو بالنسبة لنوعية الدراسة . إن مدارس البعثات الأجنبية ، الكليات الخاصة ، المدارس المحلية في الجوامع أو التابعة للسلطات الكنسية تكتسب أهمية لأن كل الشخصيات التي تحتل اليوم مراكز عالية في بلاد المشرق مُدينة بثقافتها لها »[٣٠] .

وفي تقرير رفعته المفوضية الفرنسية في بيروت الى عصبة الأمم في جنيف عن نسبة الأميين في لبنان خلال احصاء جرى عام ١٩٣٣ بلغ نسبة الأميين فيه ٤٥٪ بين البالغين بينهم ٣٨٪ عند الذكور مقابل ٧١٪ عند الأناث . وقد توزعت النسبة على الطوائف على الشكل التالي : ٨٣٪ عند الشيعة ، ٦٦٪ عند السُنّة ، ٤٨٪ عند الموارنة و٣٩٪ عند الروم الكاثوليك ، مع الملاحظة أن أغلبية مسيحيي جبل لبنان تشمل أقل نسبة من الأميين[٣١] .

وجاء في تقرير أعده فريق من الباحثين عام ١٩٤١ جاء فيه : « يتلقى معظم الأولاد (لبنان) العلم في المدارس الدينية وأن أكثرية المدارس الرسمية من المسلمين والدروز ويمثلون أكثر من ثلثي التلامذة من هذه الطوائف »[٣٢] .

---

٣٠ _ Gabriel Bounoure.«l'œuvre intellectuelle et sociale»dans«L'Europe nouvelle» 16 Mars N° sur «L'œuvre française en Syrie». 1927.

٣١ _ Rapport à la S.P.N. N° 1934 sur l'année 1933 p. 137.

٣٢ _ Deuxieme semaine sociale de Beyrouth: L'école et l'éducation nationale 27 =

مما تقدم ، إن نسبة الأميين بين الطوائف الاسلامية وبالتحديد الشيعة تعطي الصورة الواضحة عن تقصير الدولة اللبنانية في حق العامليين . عدا عن أن الطبقة الفقيرة من كل الطوائف تزداد عندها نسبة الأميين لأن تلقي العلم كان يقتصر على ميسوري الحال وخاصة في مدارس الارساليات . أما من تسنى له العلم من الطبقة الفقيرة في المدارس الحكومية يمكن القول بأنها كانت تغنيه عن أن يكون أمياً . فوجود المدارس الحكومية في الأرياف اللبنانية وفي معظم مناطق جبل عامل ما هو إلا اسماً دون المضمون . ففتح مدرسة رسمية في أكثر من قرية في جبل عامل كان يحصل بتعيين مدرس واحد لا يحسن إلا القليل من القراءة والكتابة في اللغة العربية بينما يكاد يجهل تماماً الالمام باللغات الأجنبية . أما قضية تعيين المدرس لا تتم على أساس الكفاءة بل نتيجة تدخلات سياسية . فضلاً عن ذلك إن الأكثرية الساحقة من المدارس كانت عبارة عن منزل للسكن يستأجره سكان القرية فيضم كل صفوف المرحلة الابتدائية أحياناً وبإشراف مدرس واحد ، عدا عن أن التفتيش التربوي كان مشلولاً .

لم تحاول الحكومات اللبنانية المتعاقبة خلال فترة الانتداب على ردم الهوة القائمة على الصعيد التعليمي بين اللبنانيين إن من حيث فتح مدارس أو رفع المستوى التعليمي . بل أمعن الفريق الحاكم في لبنان في تعميق الهوة دون النظر في عواقبها على بلورة شعور وطني سليم يجمع كل اللبنانيين . في مطلع عام ١٩٣٠ أعلن سكرتير الدولة اميل اده عن عزمه على إقفال أعداد كبيرة من المدارس الرسمية في القرى والمدن . بحجة الوصول الى اصلاحات ضرورية متقدمة في الجهاز التعليمي وخاصة في القرى التي لا يرى في وجود بعض المدارس فيها أي فائدة . طال قرار اميل اده الغاء ١١١ مدرسة و١٧١ معلماً جلهم من المسلمين ، وقد أصاب جبل عامل إلغاء ٤٥ مدرسة

Avril- 3.Mai 1941. imprimerie catholique. Beyrouth.

مع أنه محتاج إلى أكثر منها . من هذه المدارس الملغاة : مدرسة قانا ، جويا ، شحور ، الطيبة ، حاروف ، كفرحتى . أما مدارس الأناث الملغاة فكانت : مدرسة النبطية ، الغازية ، جباع ، صور[٣٣] لاقت سياسة اده التعليمية معارضة قوية وخاصة من المسلمين لأنهم أكثر ضرراً ولأن نيات اده تجاه التعليم الرسمي لم تكن صادقة بل كان همه تلزيم التعليم في لبنان للمؤسسات التعليمية الأجنبية وبما يهدف لخدمة سياسته القائمة على عزل لبنان عن محيطه العربي . عملياً ، ما تبقى من المدارس الرسمية كانت في حالة شلل عندما استنكف عن تطويرها في كل النواحي من حيث الجهاز التعليمي والبناء ، ومما ساعد على إبقاء الفوارق في مضمون البرامج التعليمية بين المدرسة الرسمية والخاصة . لهذا ، تعمق التفاوت الثقافي بين اللبنانيين وأضحت الأكثرية منهم تتلقى ثقافة تتعارض والثقافة الوطنية . ذلك ما سينعكس سلباً على بلورة شعور وطني سليم يعزز بنيان الوطن اللبناني الذي حاول الانتداب الفرنسي إقامته على أساس طائفي .

بالمقابل ، خصصت فرنسا العديد من المنح المدرسية لأبناء الطائفة المارونية دون غيرهم . عام ١٩١٩ ، كتبت مجلة « صدى لبنان » « يقولون أن فرنسا هي أكثر فضلاً على الطائفة المارونية من سواها وهي حقيقة لا ننكرها على أحد لأنها حق موروث . كما تقدم وبقوة هذا الفضل تقرر لطلبة الموارنة سنوياً الكراسي الآتية مجاناً :

٨ ـ في مدرسة سن سولبيس في باريس .
٣٠ ـ الآباء اليسوعيين في بيروت .
٣٠ ـ العازريين في عينطورة .
١٥ ـ الحكمة المارونية في بيروت .

---

٣٣ ـ مجلة العرفان جزء ١ مجلد ١٩ ، ١٩٣٠ ص ٧٠ .

١٥ ـ مار يوسف في غزير كسروان .
١٥ ـ مار يوحنا مارون في كفرحي البترون .
٤ ـ بوردو وروان في فرنسا .
٨٥ ـ مدارس عديدة بواسطة المعتمد البطريركي » [٣٤] .

إلى جانب هذا التمييز الذي خصت به فرنسا الموارنة ، استأثرت المدارس الدينية المسيحية بالجزء الأكبر من المساعدات الحكومية[٣٥] بينما لم تنل المدارس الخاصة في جبل عامل إلا النذر اليسير . في ١٠ آب ١٩٣٥ ، نشرت جريدة « القلم الصريح » المرجعيونية انتقاداً للشيخ سليمان ظاهر بخصوص المساعدات الحكومية للمدارس الطائفية على حساب المعاهد العلمية العلمانية ، فطالب بإلغاء هذه المساعدات وتحويلها الى الأعمال العمرانية . واعتبر الابقاء عليها هدراً لمالية الدولة ما دامت لا تخدم مصلحة اللبنانيين جميعاً[٣٦] .

وهكذا بقي جبل عامل يصارع بقواه الذاتية المتواضعة حالة التخلف على كل الأصعدة معتمداً على مبادرة بعض قادته لتشق له الطريق في خضم المصاعب الكبيرة . وقد تلازمت الجهود لفتح مدارس لتعليم أبناء جبل عامل مع جهود أخرى لتعميم الوعي وذلك بإصدار جرائد ومجلات واستقدام مطابع وتأسيس مكتبات .

في ٢٥ كانون الثاني ، ١٩٠٩ ، أصدر الدكتور أسعد رحال جريدة المرج في جديدة مرجعيون وذلك على مطبعة الترقي التي اشتراها لهذه الغاية ، وقد وضع للجريدة هدفاً « الوطنية الصحيحة مناها وخدمة الحقيقة » . عام ١٩٢٧ أشرف على الجريدة أديب رحال بعد وفاة والده..

---

٣٤ ـ مجلة صدى لبنان ، حزيران ١٩١٩ جونية .
٣٥ ـ انظر الملحق رقم ٢ .
٣٦ ـ جريدة القلم الصريح ، ١٠ آب ١٩٣٥ .

في ٥ شباط ١٩٠٩ أصدر أحمد عارف الزين مجلة « العرفان » . طبعت أولاً في بيروت ثم صارت تصدر في صيدا بعد إنشاء مطبعة العرفان سُنة ١٩١٠ . عنيت مجلة العرفان بنشر الفكر والأدب والتاريخ وخصوصاً ما يتعلق بتراث جبل عامل . وقد ساهم بتحريرها أكثر الأقلام الشابة العاملية مما ساهم في بعث النهضة الفكرية في جبل عامل .

وفي ٢٨ كانون الأول ١٩١١ أصدر أحمد عارف الزين جريدة « جبل عامل » التي حدد خطتها ومبادئها في العدد الأول « لا تتبع الجريدة خطة ملتوية ومبدأ متغيراً وإنما تنطق بالحق في كل حال وتنطق بالصدق ولو أدى بها الى الاضمحلال . . . وستختار مكاتبين للجريدة ، ممن نعتقد بهم صدق اللهجة وعدم تحريف الكلم عن مواضعه كما اخترنا للكتابة والتحرير والترجمة فئة من أرقى طبقات الأمة فضلاً عن مؤازرينا في سوريا والعراق من العلماء والأدباء والكتاب والشعراء ، مما لا يتيسر لجريدة عربية غير جريدتنا كائنة ما كانت . . . مبدأ جريدتنا السعي الحثيث المتواصل ، في كل ما يؤول الى خير جبل عامل خاصة علمياً وأدبياً واقتصادياً وتجارياً وزراعياً فلذلك لا يخلو عدد من أعداد الجريدة من البحث في ذلك وسوف تستعمل الوسائط الفعالة بحول الله لدى الحكومة السنية بما يطلب منها في اصلاحه »[٣٧] .

ولكثرة تعطيل الجريدة من قبل السلطات العثمانية بسبب طروحاتها الاصلاحية اضطرت للتوقف عن الصدور في ١٥ كانون الأول ١٩١٢ . الى جانب جريدة « المرج » والعرفان صدرت عدة صحف في جبل عامل : النسر والنهضة المرجعيونية لمديرها فضل وهبة ـ القلم الصريح لألفرد أبو سمرا ـ وصدى الجنوب لراضي دخيل . عام ١٩٢٣ أصدر يوسف الزين

٣٧ ـ جريدة جبل عامل ، ٢٨ كانون الأول ١٩١١ .

والشيخ أحمد رضا « القاموس العام » . وفي عام ١٩٣٦ أصدر كاظم الحاج علي ومحمد بدير « مجلة النبطية » وكانت تصدر بخط اليد مقابل اشتراك خمس غروش وتتضمن مواضيع علمية وأدبية(٣٨) . في الواقع شكل رجال الدين العامليين طليعة القوى في إرساخ النهضة العلمية في جبل عامل وذلك بما قاموا به من فتح مدارس وبما ساهموا في إنشاء مكتبات حتى بات من النادر أن نجد رجل دين يفتقد الى مكتبة في بيته . وما زالت هذه المكتبات لليوم مصدر مهم للباحثين في تراث جبل عامل .

---

٣٨ ـ انظر الملحق رقم ٣ .

الفصل الثاني

جبل عامل : الموقع ـ الصلة التاريخية

يرجح الباحثون أن جبل عامل الذي تقدر مساحته بثلاثة آلاف كيلومتر مربع يحده جنوباً نهر القرن الجاري شمال ترشيحا من بلاد عكا وشرقاً أرض الخيط والأردن والحولة وقسم من جبل لبنان وشمالاً نهر الأولي وغرباً البحر المتوسط . عرف جبل عامل باسم بلاد بشارة نسبة الى أحد حكامه في العصور الوسطى وهو بشار بن مقبل القحطاني الذي اتخذ مركز إمارته في بلدة زبقين من أعمال صور . وكانت بلاد بشارة تقسم الى قسمين بشارة الشمالية ونهايتها في الشمال نهر الأولي ويفصلها عن الجنوبية نهر الليطاني . وبشارة الجنوبية ونهايتها في الجنوب نهر القرن . وكانت بلاد بشارة عموماً تقسم الى ثمان مقاطعات ، أربع في بشارة الجنوبية وهي : تبنين وهونين وقانا ومعركة وكان حكامها من آل علي الصغير . وثلاث في بشارة الشمالية وهي الشقيف والشومر والتفاح والمعروفة الآن بناحية جباع ، وحكام الأولى منها آل صعب وحكام الآخرين آل منكر . والثامنة مقاطعة جزين الداخلة في قضائها من جبل لبنان الآن وكان حكامها المقدمون المعروفون بمقدمي جزين[1] .

١ ـ جريدة المقتطف : الشيخ أحمد رضا : المتاولة أو الشيعة في جبل عامل مجلد ٣٧ ، سنة ١٩١٠ ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠ .

تشير جريدة جبل عامل سنة ١٩١١ ان جبل عامل هو عبارة عن أقضية صيدا ـ صور ومرجعيون وقاعدة الأقضية الثلاثة صيدا التي يتبعها ناحية النبطية ونحواً من مابة قرية ومزرعة وصور ويتبعها ناحية تبنين مع مابة وخمسة عشر قرية ومزرعة . . والجديدة ويتبعها نحواً من أربعة وخمسين قرية ومزرعة . . ويبلغ عدد نفوس الأقضية الثلاثة ما يفوق عن مابة ألف نفس »[٢] .

شكل المسلمون الشيعة الأكثرية السكانية لجبل عامل الى جانب المسلمين السنة والمسيحيين . وكانت الدول الأوروبية تختار من بين المسيحيين قناصل لها في المدن العاملية ، تجمع المصادر على الانسجام بين الطوائف الدينية في جبل عامل . فقد وجد ادوارد روبنصون ، الذي زار بلاد الشام لعام ١٨٣٨ والعام ١٨٥٢ ، عند مروره بالنبطية مجلس شورى للبلدة مؤلفاً من أعضاء ينتسبون الى مذاهب مختلفة[٣] . بالطبع يبقى هناك اختلاف بسيط في العادات والتقاليد تعود في معظمها إما للانتماء الديني أو للمستوى الاجتماعي والثقافي للفرد العاملي . هذا التنوع لم يؤدي الى تباعد وصراع بقدر ما كان يشكل تركيباً لمجتمع فرضه الظرف السياسي الذي كان يمر به العرب في ظل السيطرة العثمانية . وإن حصل من تباعد بين أبناء الطوائف في أعقاب الحرب الأولى لم يكن الا نتيجة التدخلات الخارجية . بينما أخذت تزداد اللحمة الوطنية بين مناطق جبل عامل وخاصة مع أبناء صيدا وهذا ما سيتضح بالشواهد التاريخية في سياق دراستنا .

لفترة ليست ببعيدة ، احتفظ قادة الرأي العامليون من سياسيين ورجال دين بتسيير أمور مجتمعهم اليومي وفي تقرير مستقبل منطقتهم الى جانب قوى

---

٢ ـ جريدة جبل عامل ، ٢٨ كانون الأول ١٩١١ .

٣ ـ إدوارد روبنصون : مباحثات أجنبية في تاريخ لبنان ترجمة أسد شيخاني الجزء الأول منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة ١٩٤٩ ـ ص ١٤٨ ـ ١٤٩ بيروت .

التغيير في بلاد الشام ضد الولاة المستبدين وفي مناهضة الغزوات المتتالية للأجنبي . هذا الوضع من الاستعداد الدائم للقتال كان للسياسيين فيه غلبة القرار السياسي على رجال الدين الذين حصر اهتمامهم بالشؤون الدينية اليومية ولعب دور القضاة في فض المنازعات للمجتمع العاملي فضلاً عن البحث الديني وتعليم من يرغب من أبناء عاملة .

لم يكن الفصل بين سلطة رجال الدين والسياسيين ليشمل القضايا المصيرية لجبل عامل بل كانت تتم المشورة بين الطرفين ويتخذ القرار الذي يجتمع الكل على تنفيذه بقيادة الزعيم السياسي ويصبح بالتالي دور رجال الدين كرقباء على السلطة المنفذة . وفي هذا يقول محمد جابر آل صفا : « كان الوفاق بين الزعماء عاماً والاتحاد محكماً وكل زعيم حر في مقاطعته يتصرف بشؤونها ويحمي حدودها ، ويحفظ كيانها لا سلطة فوق سلطته ولا رقيب على أعماله سوى سلطة العلماء »[٤] وفي هذا السياق رفع قائد جيوش الشرق الفرنسي تقريراً الى وزارة خارجية بلده بتاريخ ١٤ تشرين الثاني ١٩١٤ بداعي استخدامه « لأغراض مفيدة » « إن الاحترام الذي يكنه المتاولة لمجتهديهم كبير جداً فهم يطيعونهم بصورة عمياء رغم قوانين السلطات العثمانية التي أخضعت قضاياهم الى القاضي السني أو المحاكم المدنية ، وهم يحسمون دائماً خلافاتهم لدى المجتهد . . . فهم يعتبرون أن القضاة المعينين من قبل السلطان غير شرعيين . إن السلاطين اغتصبوا السلطة فقراراتهم غير معتبرة والحكم الشرعي لا يمكن أن يكون إلا من قبل مجتهد معروف ومزكى من زعيم علمائهم (المرجع الأعلى) »[٥] .

إن الوضع من التنسير الذاتي الذي فرض على العامليين كان من نتيجة

---

٤ ـ محمد جابر آل صفا : تاريخ جبل عامل دار النهار للنشر ١٩٨١ ص ١٠٤ .

٥ ـ نقلاً عن د. وجيه كوثراني : بلاد الشام . معهد الانماء العربي ١٩٨٠ ـ بيروت ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

السياسة العثمانية التي اعتبرت نفسها ممثلة لـلاسلام السنـة دون غيرهم . لهذا عاملوا الطوائف غير السنة معاملة قاسية عرفوا معها من أنواع التعسف ما لم تَعرفه أية طائفة من أهل الكتاب . من هنا أصبحت هذه الطوائف أداة تفجير في كل مناسبة داخل الدولة العثمانيـة ، في هذا نـال الشيعة الحصـة الكبرى من الاضطهاد العثماني في كل أماكن تواجدهم عنـد أول اصطدام مع ايران الشيعية . وأقسى ما واجه العامليون على يد الولاة العثمانيين كان في عهد الجزار ويروي إبراهيم العورة رئيس ديوان الايـالة آنـذاك عن هذا الاضطهاد : « كان الجزار مجرداً على المتاولة سيف الظلم ويأخذ رجالهم الى ورشـة عكا بـالسخرة ويعـاملهم مثل معـاملة فرعـون الظالم لبني اسـرائيل بالقساوة الشديدة . وكم من المئات منهم قتلوا في الطريق بالناقورة لما كـان يحشـرهم السائقـين لهم بسرعـة الجري ، فمن شـدة الضـرب كـان يحشر بعضهم بعضـاً وبسبب ضيق الطريق كانوا يسقطون في البحـر بـالخمسـين والستين وما يسأل ولا يرحمهم أحـد . وبوصـولهم الى ورشة عكـا ، كانـوا يستعملون معهم شدة القساوة وكم ماتوا من شدة القساوة . ومن ذلك أنه في أحد الأيام كانوا الوقافة على الورشة بأمر الجزار واضعين فلاحين من بلاد بشارة بمحل بين السورَيْن يشتغلون فيه بعضهم يحفرون الأساس وهم نحو مئتين وثلاثين نفرا والبقية يسحبون التراب بالحبال في القفف من الأساس . فاتَّفق أن انفلع القسم الأعلى من الأرض وصار الذين فوق يصيحون عـلى الذين في الأساس ليسـرعوا بـالخروج قبـل أن ينطبق عليهم التـراب . . . سمع الجزار الصيحة وعرف السبب إذ كان هناك انتهر الجميع ان يسكتـوا قائلا لهم : دعوهم إذا كان الله قتلهم مالكم ومالهم . ومنعهم أن يُخـرجوا أحداً منهم . وسقط حائط الأساس وانطبق على الجميع وقبرهم كلهم أحياء وما خرج أحد منهم »[٦] .

٦ ـ إبراهيم العورة : تاريخ ولاية سليمان باشا العادل نشره وعلق عليه قسطنطين الباشا المخلص ـ =

إن لجوء الجزار لكل أساليب الفتك بالعامليين لم تنهيهم عن مجابهته ، واستعملوا الطياحة وصار اسمهم طياح أي قطاع الطرقات واختبأوا وصاروا يطلبون من البلاد مال ميري وذخائر والقرية التي تقدم لهم مطلوبهم بالسهولة والكتمان بدون أن يعرف أحد بذلك تسلم من شرهم والتي تتردد عن إجابة طلبهم أو يعرِّف أحدهم عن محل وجودهم ومكمنهم ، ففي تلك الليلة يحضروا اليها وينهبوها ، ولبثوا هكذا كل مدة ولاية الجزار الذي وجه اليهم عساكر كثيرة كان يسميها السردلة .

كلفت الصدامات المتتالية بين الولاة العثمانيين والعامليين الخسائر الجسام على الصعيد البشري والاقتصادي الى جانب ماكانوا يدفعونه من مال ميري وذخائر للمقاومين للولاة . يضاف لهذا ما يترتب على الحروب المتتالية على أرض جبل عامل من اتلاف للمحاصيل في ظل فقدان القادرين على الانتاج وخاصة من الرجال إما بسبب استخدامهم في التجنيد الاجباري وإما بسبب هربهم من ظلم الوالي العثماني . إن ظاهرة السياسة التعسفية التي مورست على أرض جبل عامل أيام العثمانيين تندرج في السياق العام لأشكال الاستغلال الاقطاعي العثماني في أجزاء كثيرة من الامبراطورية . وقد أدرك قادة الرأي في جبل عامل لهذا الوضع ، من هنا انخرطوا في جمعيات عربية وليست مذهبية لمناهضة سياسة الاستبداد للسلاطين العثمانيين والدعوة لاصلاحات في المناطق العربية . هذا وان وجدت بعض الجمعيات على صعيد جبل عامل لم تكن جهودها الا لتصب في الخط العام للجمعيات العربية في بلاد الشام .

مما تقدم ، فقد شهد جبل عامل عبور أمم كثيرة على أرضه جاءت غازية الشرق من ناحية مصر الى بلاد الشام وبالعكس . وفي أكثر الأحيان ،

مطبعة دير المخلص صيدا لبنان ١٩٣٦ ص ٣٥ ـ ٣٦ .

كان يحصل الصدام بين الفاتحين والسكان المحليين لأن الهدف الأساسي لهؤلاء الفاتحين كان السيطرة والاستغلال . وفي تاريخنا المعاصر احتفظ موقع جبل عامل بأهميته الجغرافية وخاصة بعد عزم الصهيونية على إنشاء وطن قومي في فلسطين ولتطلعها للاستيلاء على جبل عامل بحجة تأمين مصادر المياه الضرورية لاستيعاب الهجرة اليهودية الى فلسطين ولاعتماد التخطيط الاقتصادي آنذاك اعتماداً أساسياً على الزراعة . وهكذا ، أصبح جبل عامل من مناطق التجاذب الرئيسية بين الاستعمار والصهيونية من جهة وحركة التحرر الوطني العربي من جهة أخرى وبالتالي اضطلع العامليون بدور أساسي في عملية المواجهة العربية ضد الهجمة الصهيونية إن كان من الناحية السياسية أم العسكرية .

الصراع الاستعماري على بلاد الشام وظهور حركة الوعي القومي العربي في جبل عامل :

في وقت كانت الدولة العثمانية تعيش حالة من التقهقر على كل الأصعدة في منتصف القرن التاسع عشر ، راح الغرب الأوروبي يتطلع للاستيلاء على أملاكها في المنطقة العربية عبر فئات محلية ارتبطت به اقتصادياً منذ ما عرف بعهد الامتيازات فضلاً عن عرقلة كل حركة اصلاحية فيها . وباكراً أخذت فرنسا تتطلع لجعل جبل عامل تحت نفوذها عبر الحاقه بجبل لبنان . عام ١٨٦٠ ، وضعت أركان حرب الجيش الفرنسي خارطة للبنان الكبير بما فيه جبل عامل كمرتكز لنشاطات فرنسا المختلفة في بلاد الشرق . وقد أبرزت الخارطة حدود لبنان الكبير بالتالي : « البحر المتوسط غرباً بما فيه جميع السواحل والثغور حتى سطح الجبل الشرقي وجوار دمشق شرقاً وبلاد الحصن وعكار حتى بحيرة حمص شمالاً وآخر بلاد بشارة حتى بركة حوله جنوباً »(٧) .

---

٧ ـ جريدة زحلة الفتاة ٩ أيلول ١٩٣٣ .

إن التغلغل الواسع النطاق للغرب للسيطرة على بلاد الشرق تلازم مع تبلور ظهور القومية العربية الحديثة وتقهقر الامبراطورية العثمانية وبروز القومية التركية والمصالح المشتركة للمثقفين العرب من الطبقة الوسطى ، والمسؤولين العسكريين التي التقت مع طموحات الملاكين العرب في بناء دولة عربية مستقلة أو على الأقل اعطاء المناطق العربية حكم ذاتي عن الدولة العثمانية . وجاء وقف العمل بالدستور أثناء فترة الحرب الروسية العثمانية ١٨٧٧ ـ ١٨٧٨ وبعدما احتل الجيش الروسي أدرنا واتجه صوب اسطنبول . أثار ذلك ذعراً في بعض الأوساط في بلاد الشام خوفاً من وقوع بلادهم تحت احتلال أجنبي . فقد عقدت عدة اجتماعات بين الوجهاء المسلمين من مختلف مناطق بلاد الشام ، شارك في الاجتماعات حوالي ثلاثين شخصاً من جبل عامل وبيروت ودمشق وحلب وجبل الدروز . وكان المحرك للدعوة لهذه الاجتماعات أحمد باشا الصلح وابنه مُنح . وتمثل جبل عامل في الاجتماعات بالسيد محمد الأمين ، الحاج علي عسيران ، الشيخ علي الحر الجبعي وشبيب باشا الأسعد الوائلي . اتجهت الحركة في البداية للدعوة الى استقلال سوريا في حال تعرض البلاد لخطر استيلاء أجنبي ورأت الحركة في الأمير عبد القادر الجزائري رئيساً للدولة الجديدة ، وقد قبل الأمير من حيث المبدأ ما طرحه المجتمعون ولكنه طلب التريث في بت الأمر لتتضح مسار الدولة العثمانية من الحرب التي تخوضها ، كما أن يوسف كرم الذي كان يعيش في أوروبة تبادل الرسائل مع الأمير عبد القادر حول مشروع سياسي يتلاءم مع ما طرحه المجتمعون المسلمون[٨] .

مع مطلع القرن العشرين ازدادت حدة المؤامرات الاستعمارية التي طالت الشرق وتعددت مراميها من احتلال عسكري لأجزاء كبيرة الى

٨ ـ د. عبد العزيز الدوري: التكوين التاريخي للأمة العربية دراسة في الهوية والوعي . مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ١٩٨٤ ـ ص ١٥٣ .

استيطان صهيوني في فلسطين . وافتعل الاستعمار الغربي على مسرح بلاد الشام قضية تأمين حقوق الأقليات الدينية فيها . وأخذت كل من فرنسا وبريطانيا تؤيد هذه الأقلية أو تلك .

سنة ١٨٩٧ عقدت الحركة الصهيونية مؤتمرها الأول في مدينة بال بسويسرا حيث وضعت توجهاً لجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود في العالم دون تحديد حدود هذا الوطن الذي سيلاحظ فيما بعد أنهم يتطلعون الى ضم جبل عامل الى هذا الوطن المزعوم . وسارعت بريطانيا لتتلقف هذه الحركة وترعاها لتلاقي أهدافها وسياستها في الشرق . على أثر إعلان نتائج المؤتمر تسارعت ردود الفعل العربية المناهضة له لكن ظل الاقطاع العربي وخاصة أغنياء بيروت وتجارها مثل عائلات بسترس وسرسق وتويني ومتى وفرح والخوري يشترون مساحات واسعة من الأراضي الفلسطينية مستغلين عدم قدرة الفلاحين الفلسطينيين على دفع الضرائب الفادحة ليعاد بيعها فيما بعد للحركة الصهيونية . في الحقيقة لم تكن المعارضة العربية بمستوى الخطر الصهيوني المنظم بل تمحورت حول بعض المثقفين وكبار الموظفين العرب في الدولة العثمانية .

عام ١٩٠٥ ، وضع نجيب عازوري كتاباً باللغة الفرنسية تحت عنوان « يقظة الأمة العربية في آسيا التركية » محذراً من مخاطر الحركة الصهيونية ، ودعا لمواجهته بضرورة وعي العرب لقوميتهم وبضرورة فصل الدين عن الدولة . وقد قال عازوري باستمرار المواجهة بين القومية العربية والحركة الصهيونية وأشار الى « ظاهرتان هامتان ، لهما نفس الطبيعة بيد أنهما متعارضتان لم تجذبا انتباه أحد حتى الآن في هذه الآونة في تركيا الآسيوية أعني يقظة الأمة العربية وجهود اليهود الخفي لإعادة تكوين مملكة اسرائيل القديمة على نطاق واسع ، مصير هاتين الحركتين هو أن تتعارضا باستمرار حتى تنتصر إحداهن على الأخرى . وبالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين

هـذين الشعبـين اللذين يمثلان بمـدأين متضـاربـين يتعلق مصـير العـالم بأجمعه »(٩) .

وأدرك عازوري أن أهداف الحركة الصهيونية لا تقتصر على فلسطين بل بإنشاء اسرائيل الكبرى ، فيشير الى حدودها كما ترغب الصهيونية « جبل حرمون الـذي يضم منابـع نهر الأردن ووادي نهر الليطاني في الشمـال مع الأراضي المحصورة بين راشيا وصيدا كتوطئة ، وقناة السويس وشبه جزيرة سينـاء في الجنـوب والجـزيـرة العـربيـة في الشـرق والبحـر المتـوسط في الغرب »(١٠) .

خـلال هذه الحقبـة من الهجمة الاستعمـارية والصهيـونية عـلى البلاد العربية ، ظهرت في جبل لبنان جمعيات مسيحية تدعو لتوسيع حدود الجبل ليكون وطناً للمسيحيين وذلك بمساندة فرنسا . ولهذه الغاية ، تأسس حزب النهضة اللبنانية في جبل لبنان بصورة خفية من قبل آل الخازن وما لبثت أن اتسعت برعاية قنصل فرنسا في بيروت الذي كان يمد هذه الجمعية بالأموال اللازمة وأوجد لها مناصرين لفرع بيروت وفي مقدمتهم دعيبس المر ، رزق الله ارقش وخليل زينة وغاية الجمعية العمل على تكبير لبنان والحاق مدينة بيروت بالجبل وإخراجه من حظيرة الدولة العثمانية فضلاً عن سلخـه عن البلاد العربية وإيجاد حكومة مسيحية في تلك البقعة تكون خاضعـة للنفوذ الفرنسي(١١) .

بعدها ، أخذت تظهر حركة التعاطف والتنسيق بين أصحاب الدعوتين

---

٩ ـ نجيب عازوري : يقظة الأمة العربية ترجمة د. أحمد بو ملحم المؤسسة العربية للدراسـات والنشر ص ٤١ ـ ١٩٧٨ .

١٠ ـ نفس المصدر ص ٤٩ .

١١ ـ عزيز بك مدير الأمن العام في السلطنة العثمانية : سوريا ولبنان في الحرب العالمية ترجمة فؤاد ميدان بيروت ١٩٣٣ ـ ص ٢٧٧ .

اللبنانية والصهيونية ، وإن لم تكن على مستوى جمعيات بل على مستوى أفراد . وهذا يدل على أن دعاة القومية اللبنانية كانوا على إطلاع على مخططات الحركة الصهيونية وتنظيمها فأخذوا يقلدونها من حيث تنظيم الجمعيات وخاصة في أوساط المغتربين والاتصال بدولة عظمى لدعم موقفها . عام ١٩٠٤ ، أصدر شاهين مكاريوس من ابل السقي كتاباً في مصر « تاريخ الاسرائيليين » يشيد بأعمال المنظمة الصهيونية ويدعي أن الاستيطان اليهودي أدى الى التقدم والعمران في فلسطين وان من آثار هذه الجمعيات وخيراتها شراء قرية المطلة في قضاء مرجعيون بولاية بيروت . واستيطان الاسرائيليين لها ، وشراء أراضي في جهات الحولة وطبريا ويافا وحيفا وغيرها حيث استوطنها اليهود وأبدلوا حالتها من عسر إلى يسر ومن جدب الى خصب[١٢] . وتحدث في هذا الكتاب أيضاً عن جهود اليهود والمنظمة الصهيونية للسيطرة ليس فقط على فلسطين وإنما أيضاً على جنوب لبنان . تزامن ذلك مع رد لفريد كساب عام ١٩٠٦ ، بكرّاس على كتاب نجيب عازوري تحت عنوان « الزعم بخطر يهودي رداً على السيد عازوري» فدافع فيه عن وجهة نظر الحركة الصهيونية في إدعاءاتها في فلسطين ، وهاجم عازوري لاعطاء الشمولية للأمة العربية على بلاد الشام . يرى كساب أن الأمة العربية هي البقعة المعروفة بالجزيرة العربية حيث يعيش في مناطقها الشاسعة بعض الملايين من السكان يوحدهم الاسلام ، وهم منقسمين الى قبائل ورعاع وكثيراً ما يتصارعان في ما بينها . ويستند كساب في حق الصهاينة في فلسطين على أساس شرائهم للأرض ومن يشتري الأرض له الحق في التملك . ولم يجد كساب في إقامة المستعمرات اليهودية في فلسطين كخطر استيطاني يهدد البلد والبلدان المجاورة بل يرى بأنها

---

١٢ ـ د. حسان حلاق : موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ ـ ١٩٠٩ دار الأحد بيروت ١٩٧٨ ، ص ٢٥٠ .

حـولت الأراضي البور الى جنـائن ومزارع وقـرى . وإن مجيء اليهود الى الأراضي المقدسة ما هي إلا خدمـة كبيرة لهـا لأنهم جلبوا معهم الصنـاعة والازدهار(١٣) .

إن ظاهرة مكاريوس وكساب لم تكن فريدة بل سنرى في سياق دراستنا أن العلاقة بين الصهاينة وأنصار القومية اللبنانية ستطال كبار المسؤولين في الدولة اللبنانية .

جاءت الدعوة للقوميتين اليهودية واللبنانيـة مع دعـوة لقوميـة سوريـة انطلقت من بلاد الشام وذلك تحقيقاً لمخطط منفرد لكل من بريطانيا وفرنسا اللتان ترغب كل واحدة منها بالاستئثـار على بـلاد سوريـا دون الأخرى . فراحوا يشجعون على إنشـاء جمعيات تـدور في فلك كل منهـما بين أوسـاط المغتربين والمقيمين من أبناء بـلاد الشام ، ويمكن إيعـاز المسانـدة الفرنسيـة للدعوتين القومية اللبنانية والقومية السورية في نفس الوقت لتدارك صعوبة الصراع مع لندن . فإحتفظت بخط الرجعة في حال فشلها بالسيطرة الكاملة على بلاد سوريا . لهذا ، احتفظت باريس بعلاقتها المميزة مـع دعاة الأمـة اللبنانية لتكون مرتكـزاً أساسيـاً لخطط مستقبليـة ومنها السيـطرة على بـلاد الشام .

وعلى أثر التحرك في أكثر من منطقة عـربية لمـواجهة التسلط العثمـاني والغـزو الأوروبي راح العامليـون يؤسسـون جمعيـات منـظمـة عـلى غـرار الجمعيـات العربيـة . عـام ١٨٩٩ ، تشكلت في النبـطيـة جمعيـة « نخبـة المعـارف » من كبار أعيـان البلدة وشغل الشيـخ أحمـد رضـا منصب أمـين للصندوق فيها ، وهو لا يتجاوز السابعة عشر . وعملت هذه الجمعية على

---

١٣ ـ Farid Kassab: Le nouvel empire Arabe. La curie Romaine et le pretendu peril Juif universel reponse à M.N. Azoury. P. 28 - 1906.

إنشاء مدرسة لم تدم طويلاً لمقاومة الحكومة التركية لنهجها العروبي. وخلال فترة الحكم الحميدي عام ١٩٠٢ ، أنشأ عدد من العامليين منهم الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر ندوة علمية دعيت « المحفل العلمي العاملي » . كان يجتمع دورياً كل شهر يلقي فيه واحد من أعضائه محاضرة تسجل في سجل خاص سمي «طلائع النجاح» ودام هذا المحفل على نهجه حتى انقطعت جلساته عندما أخذت تضيق السلطات العثمانية على القوميين العرب .

وعندما تولى حزب الاتحاد والترقي السلطة في الآستانة في تموز ١٩٠٨ ، تحت شعار الاصلاح والمساوات شاعت بين أوساط الوطنيين العرب الأوهام حول امكانية إحداث تحولات جذرية في المناطق العربية وتحررهم الوطني في نطاق الدولة العثمانية . لذلك تعاونوا مع حزب الاتحاد والترقي على أمل بمساعدتهم . وقد توسم العرب خيراً عندما أعلن خلال تلك السنة الاحتفال رسمياً بتدشين سكة حديد الحجاز وتسمية الشريف حسين أميراً على مكة . حينئذٍ ، انخرط قادة الرأي العاملي في تأسيس فروع لهذا الحزب في مناطقهم باعتبار أن الحفاظ على وحدة الدولة العثمانية في ظل احداث إصلاحات هو حفاظ لهم على هويتهم العربية الآخذة في التبلور تجاه الهجمة الاستعمارية الأوروبية على الشرق ، ويورد محمد جابر آل صفا حقيقة الأمر « تألف للإتحادية لأول عهدها عدة فروع في جبل عامل . وكان في مقدمتها فرع النبطية الذي تولى تشكيله سنة ١٩٠٨ وتحليف اليمين على السيف والمصحف ووضع عصبة على العيون مندوب الهيئة المركزية في بيروت نظام الدين بك ، مفتش الصحة في الولاية . . . انتظم في سلك الجمعية فريق من أهل العلم والأدب والوجاهة من النبطية وجوارها . وقد تألفت الهيئة المركزية من محمد جابر آل صفا والاستاذين الشيخ أحمد رضا والشيخ سليمان ظاهر ، ثم أنشأ الفرع نادي رحباً تلقى فيه المحاضرات الاجتماعية والخطب الداعية للاصلاح ونبذ الشقاق والاخلاص للدولة .

وكـان له أثـر حميد في حـل كثير من المشـاكـل وتخفيف وطـأة ذوي السلطة والنفـوذ . وكان للفـرع مقام محتـرم في المركـز العام واشتـرك في المؤتمرات الاتحـادية وأدى للجمعيـة خـدمـات جليلة وجمـع أمـوالاً وفيـرة لمشـروعي الأسطول والطائرات العثمانية »[١٤] . أما في مـرجعيون فقـد ظهرت عـدة جمعيات منها جمعية الإتحاد والترقي ، جمعية أنصار الحق ، جمعية حب الوطن العثماني الذي ترأسه دانيال زغرب مدير جـريدة المـرج ، جمعية السيـدات لمساعدة الفقير ، جمعية إتقان فن الموسيقى[١٥] . في الخيام أسس أمين عبد الله جمعية الاصلاح الخيري من مسلمين ومسيحيين وقد ناهز عـددهم على المايتي عضو . وكان من مبادىء هذه الجمعية ان فرضت على كل عضو أن يقدم بارودة للجمعية[١٦] .

لم تمضي فتـرة على تـولي الاتحاديـون السلطة في الآستانـة حتى أخذوا ينكثون بوعودهم الاصلاحية وسعيهم لإذابة كل القوميات وحضارتهـا عبر تتـريكها . فضـلاً عن تمسكهم بالنـظام المركـزي الذي ورثـوه حين تـولوا السلطة ، وراحوا يتشددون في النظام الاستبدادي بدلاً من أن يخففوهـا . كان يعني ذلك حمـل العرب عـلى التخلي عن أمـانيهم الفكريـة العربيـة . عندها ، اشترك العامليون في الانتفاضة العربية للحفاظ على الهوية العربية لما ترمز لوحـدة الشعب ووحدة المصـير والمصلحة المشتـركة مقابل أخـطار خارجية . فلم يستجب قادة الرأي من العامليين لتغليب المصلحة الطائفية على المصلحة القومية العربية . ووجدوا أن الدعـوة للتتريـك القائمـة على الدين ما هو إلا غطاء لتغليب فئة تركية على كافة الشعوب فرفضـوها . في ١٢ محرم ١٣٣٠ هـ . أرسل فرع الاتحاديين في النبطية استعفاءهم من جمعية

---

١٤ ـ محمد جابر آل صفا : مصدر مذكور ص ١٨٣ ـ ١٨٤ .

١٥ ـ جريدة المرج (مرجعيون) ، ١٤ تموز ١٩٠٩ .

١٦ ـ جريدة المرج ، ١٥ أيار ١٩٠٩ .

الاتحاد والترقي عبر رسالة بعثت الى سلانيك وبيروت جاء فيها : « لسعي الاتحاديين ضد القومية العربية المتفانية في عثمانيتها ولإهمالهم أمر المعارف في البلاد العربية عامة ولتحققنا استئثار بعض أشخاص بأمور الجمعية على غير منفعة الوطن .

ولإصرار الحزب الاتحادي في « المبعوثان » على تعديل المادة ٣٥ من الدستور يجعل المشروطية في خطر عظيم .

نحن البقية الباقية من جمعية الاتحاد والترقي نقدم استعفاءنا وننسحب منها قاطعين كل علاقتنا معها »(١٧) . التواقيع : محمد الحاج علي ، محمود الحسن الفضل ، سليمان ظاهر ، أحمد رضا ، كامل الحسن ، فايز الحسن ، محمد ياسين ، محمد جابر .

أما في صيدا ، فقد أشارت جريدة جبل عامل أن نادي جمعية الاتحاد والترقي فيها أصبح إسماً بلا مسمى ولم يبقى على بابه سوى قطعة مكتوب عليها اسم الجمعية .

لم يكن عزوف قادة الرأي في جبل عامل عن سياسة حزب الاتحاد والترقي الشوفينية ليقعوا في مخططات الاستعمار الغربي التي استهوت أكثر من طرف في المنطقة العربية . . بل توجهوا للانخراط في كل جهد عربي لصون الهوية العربية وساندوا الدولة العثمانية في التصدي للهجمة الغربية باعتبارها تطال الجميع دون استثناء . في ١٧ تشرين الأول ١٩١٢ ، دعت جريدة جبل عامل العامليين لمؤازرة الدولة العثمانية في الحرب ضد الأجنبي فيما خرجت مظاهرة في صيدا لهذه الغاية(١٨) .

كان العامليون في طليعة القوى العربية التي برزت في التصدي

---

١٧ ـ جريدة جبل عامل ، ١١ كانون الثاني ١٩١٢ .

١٨ ـ جريدة جبل عامل ، ١٧ تشرين الأول ١٩١٢ .

للمخططات الصهيونية على فلسطين . في عام ١٩١٤ ، نشرت صحيفة الاقدام رسالة من جودت قندوس ورد فيها أن الطلبة الفلسطينيين في اسطنبول الى جانب شباب صور ومرجعيون أسسوا جمعية غايتها توحيد الكلمة وجمع القلوب عموماً والفلسطينيين خصوصاً للسعي في سبيل مصلحة البلاد ولا سيما مكافحة الصهيونية بكل الوسائل . فإذا لم يتيسر ذلك من خلال المال فمن خلال رجال العلم والأدب والاخلاص . ولقد وضع مؤسسوا الجمعية مخططهم . بحيث يكون مقر رئاستها في القدس وتكون لها فروع في مختلف المدن الفلسطينية ، وفي تلك الرسالة نفسها قال الكاتب : ان أعضاء الجمعية قد بدأوا بالفعل في الإتصال بأعضاء البرلمان(١٩) .

على ضوء هذا التوجه السياسي العاملي القائم على التمييز بين مصلحتهم والمصلحة العثمانية ومصلحة الغرب الأوروبي جاءت برقيات التأييد الى المؤتمر العربي الأول سنة ١٩١٣ والمنعقد في باريس من زعماء صيدا وأخرى من الشيخ عارف الزين لتصب في خانة هذا التوجه . ورد في برقية الزين « إن بلاداً كبلادنا ووطناً كوطننا ، وأمة كأمتنا ، ضرب الجهل فينا بجرانه وأناخ علينا صرف الزمان بكلله ، وحرق الظلم منا الأخضر واليابس ، لهي جديرة بكل إصلاح ، حرية بالسعي وراء الرقي والنجاح خصوصاً داخلية البلاد وبواديها التي وصلت الى حالة لا يمكن أن يصورها اليراع ، وتأنف من سماع الأحداث التي تحدث بنا الاسماع . لذلك نحبذ ما قمتم به أتم تحبيذ ونناصركم في مشروعكم بما نستطيع ، لأن حركتكم المباركة ترمي الى حفظ استقلال البلاد تحت العلم العثماني المظفر. وها نحن نمد اليكم يد المصافحة آسفين لعدم استطاعتنا حضور مؤتمركم بالذات

١٩ ـ د. عبد الوهاب الكيالي : تاريخ فلسطين الحديث الطبعة السادسة المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٣ ، ص ٧٣ .

راجين لكم كل نجاح وفلاح ، منتظرين كل ما يلزم من الخدم والسلام في البدء الختام »[٢٠] .

جاء التأييد لانعقاد المؤتمر استناداً للموضوعات الوطنية التي تضمنتها الدعوة التي وجهتها لجنة المؤتمر العربي السوري الى القوميين العرب وهي متضمنة النقاط التالية :

١ ـ الحياة الوطنية ، ومناهضة الاحتلال .
٢ ـ حقوق العرب في المملكة العثمانية .
٣ ـ ضرورة الاصلاح على قاعدة اللا مركزية .
٤ ـ المهاجرة من سوريا الى سوريا[٢١] .

لم تؤدي مظاهر التقارب العربي العثماني الى أية نتائج ولا الاصلاحات الجزئية التي وعدت بها الدولة العثمانية أخذت وجهتها الى التنفيذ . وبقي كل شيء كما كان عليه سابقاً بل زادت هوة التباعد بين الفريقين حتى صارت كل المؤشرات تدل على أن العرب سائرون في خطى الاستقلال النهائي عن الدولة العثمانية . ومع هذا ، بقي كل شيء رهناً بتطورات خارجية .

---

٢٠ ـ د. وجيه كوثراني : وثائق المؤتمر العربي الأول ، دار الحداثة ، بيروت ١٩٨٠ ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

٢١ ـ إيضاحات من المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بديوان الحرب العرفي في عاليه (مقررات ديوان الحرب العرفي في عاليه) نشرت هذه الايضاحات من قبل القائد العام للجيش الرابع جمال باشا . مطبعة الطنين استامبول سنة ١٣٣٤ هجرية ص ٥٠ .

الفصل الثالث

جبل عامل خلال الحرب العالمية الأولى

سبق نشوب الحرب العالمية الأولى تخلي معظم الجمعيات العربية العلنية منها والسرية عن سياسة التفاهم مع العثمانيين واختارت النهج العسكري بعدما بددت سياسة التتريك التي انتهجها حزب الاتحاد والترقي آخر الأوهام حول إمكانية التوصل إلى أي اتفاق بينهما . وقبل أن يقدم الشريف حسين في مكة على الاتصال بالغرب ، بعث بإبنه فيصل الى القوميين العرب في الشام ليكون على بينة من رأيهم . إلا أن هؤلاء حثوا فيصل على الاتصال بالغرب بشروط يفرضونها ومنها إنشاء دولة عربية تضم المناطق العربية الآسيوية . وقد اقتنع فيصل بوجهة نظر هؤلاء القوميين بعدما رأى بنفسه تنفيذ الاعدام بالوطنيين في بلاد سوريا . ولما عاد الى الحجاز وجد أبوه قد باشر اتصالاته مع الانكليز عبر المندوب السامي في مصر السير هنري مكماهون . وقد جاءت حصيلة هذه الاتصالات بأن اتفق فيها على إنشاء دولة عربية في آسيا تحت قيادة الحسين . ولكن مكماهون لم يُجب بوضوح على رسائل أمير مكة حول حدود هذه الدولة المقترحة . ومع هذا قبل الشريف حسين بالاشتراك في الاستعداد العسكري في المناطق العربية الى جانب الحلفاء ضد الدولة العثمانية . وقد تم بالفعل إنشاء فروع للثورة العربية في مناطق بلاد الشام لهذه الغاية وتولى عبد الكريم الخليل ورضا الصلح مهمة تأسيس هذه الفروع .

مع بداية نشوب الحرب العالمية الأولى سمت تركيا جمال باشا والياً على سوريا في كانون الأول ١٩١٤ . وحسب مسؤول الأمن التركي في سوريا ولبنان كان جمال باشا يحمل في جيبه مشروعين خطيرين :

١ ـ إلغاء سائر الامتيازات التي يتمتع بها الجبل اللبناني منذ سنة ١٨٦٠ وإخضاعه مع سكانه للسيادة العثمانية .

٢ ـ القضاء على الفكرة العربية التي اختمرت في نفوس العرب لخدمة سياسة التتريك[١] .

ولتمرير مخططه ، عمل جمال باشا على ضرب العرب بالعرب فأخذ يثير المسلم ضد المسيحي . ويشير محمد جابر آل صفا الى ذلك ، « ومن الوقائع المثبتة لذلك ، أنه أراد إحداث فتنة بين اللبنانيين وأهل جبل عامل وبين الشيعة والمسيحيين . فاستدعى لقيادته بعض زعماء جبل عامل وأبلغهم بواسطة محمد جمال باشا قائد القوة العسكرية في لبنان ، أن يكونوا على استعداد لمهاجمة الشوف ودير القمر وما يتبعهما ، وأفهمهم أن لبنان يتمخض بثورة ضد المسلمين يغذيها الأجانب ، واختص عبد اللطيف أسعد بقيادة الحملة على لبنان الجنوبي وجبل الشوف . وأدرك عبد اللطيف بك الغاية من هذه الحركة التي يُراد بها هلاك الفئتين ، ثم إلقاء التبعة على الأهلين أنفسهم والاجهاز على من بقي منهم »[٢] .

ثمة ثغرة نفذ منها جمال باشا مكنته من الاطلاع على تحركات العامليين المعادية للدولة العثمانية نتيجة النزعات المصلحية عند الزعامات الاقطاعية من أجل المحافظة على سطوتها مما جعل كل تحرك مشترك لخلاص الوطن أمراً مستحيلاً ، بات في هذا الوضع كل تحرك وطني محكوم عليه بالفشل .

---

١ ـ عزيز بك : سوريا ولبنان في الحرب العالمية . مصدر مذكور ص ١٢٩ .

٢ ـ محمد جابر آل صفا : مصدر مذكور ص ٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

فأثناء النشاط الذي قام به عبد الكريم الخليل ورضا الصلح لإنشاء جمعيات عاملية ضد الأتراك أهملوا دور كامل الأسعد . جاءت ردة فعل الأخير العمل على إجهاض تحرك الخليل والصلح لأنه كان يرى في نشاطهما انتقاصاً لزعامته المطلقة على جبل عامل ، فهو أحد أعضاء مجلس المبعوثان ، ويحظى برضى القنصلية الفرنسية في بيروت منذ عام ١٩١٢ ، حيث أمنت له أصوات المسيحيين العامليين في الانتخابات . فضلاً عن ذلك ، فهو حائز على البكوية من الدرجة الثانية لقاء إخلاصه للدولة العثمانية . كان من الطبيعي أن ينعكس الصراع بين الزعماء العامليين على نضالاتهم على الصعيد الوطني . وحسب مدير الأمن العام في السلطنة العثمانية ، إن كامل الأسعد هو السبب في فضح المؤامرة التي دبرت في صيدا لإحداث ثورة مشتركة في جبل عامل ضد العثمانيين . وقد لعب الشيخ أسعد الشقيري دوراً في الأمر لأنه هو الذي قدم كامل الأسعد لجمال باشا مفصلاً له الاجتماعات التي عقدها أبناء الصلح والجوهري في صيدا . وكان ذلك بحضور محمد بك التامر والحاج ابراهيم العبد الله ومحمود بك الأمين من وجهاء تلك المنطقة .

أما عن واقع المؤامرة ، فأشار كامل الأسعد : « تدور منذ مدة دعايات واسعة لإحداث ثورة في المنطقة السورية تبدأ في واحد من جهتين ، من صيدا وزحلة . فجماعة الجمعية اللبنانية يستقلون في منطقة زحلة وجماعة حزب اللامركزي السوري يستقلون من جهة صيدا . وتدليلاً على هذه الأمور ، أشار كامل الأسعد الى دليلين :

أولاً : الاشاعات المتوافرة عن مهمة عبد الكريم الخليل في هذه المنطقة واجتماعاته المتوالية برضا بك الصلح وعبد الوهاب الانكليزي ورفاقه .

ثانياً : التصريحات التي أدلى بها الشيخ محمد إبراهيم . فقد جاءني محمد عبد المنعم (عاصي) وهو من أهالي أنصار وأفادني أن الشيخ محمد

ابراهيم من سكان قرية أنصار صرح أمامه وأمام كثيرين من سكان القرية الذين زاروه أن عبد الكريم الخليل اجتمع به وأعلمه أن يعمل في سبيل إحداث ثورة وقد حان وقتها وأنه قريباً ستندلع نيران هذه الثورة وأن بين الذين سمعوا هذا الحديث من عبد الكريم الخليل كلاً من الشيخ راشد عسيران والشيخ أحمد رضا والشيخ أحمد عارف الزين.وأن شركاءهم رضا بك الصلح ورفاقه »[3] .

سبق الادلاء بهذه الإفادة أن بعث كامل الأسعد بتقرير الى قيادة جيش جمال باشا بتاريخ ١٨ حزيران ١٩١٥ ، جاء فيه : أن اجتماعاً عقد في دار الشيخ راشد عسيران حضره عبد الكريم الخليل والشيخ محمد ابراهيم والشيخ أحمد رضا ورضا بك الصلح عقبه اجتماع آخر عقد في دار آل الجوهري حضره زهاء ٣٠ شخصاً وأن الغاية من هذه الاجتماعات تمهيد الطرق لإحداث ثورة واسعة النطاق في البلاد في تلك المنطقة[4] .

في أعقاب هذه الدلائل ضد المناهضين للأتراك ، قرر جمال باشا توقيف جميع الأشخاص الوارد ذكرهم وتحري دورهم وسائر الدور والمكاتب المشتبه بها وإحالتهم الى الديوان الحربي العرفي في عاليه ١٠ آذار ١٩١٥ ، وكان نصيب بعضهم الشنق .

في أعقاب ذلك أخذ كامل الأسعد يعزز زعامته في جبل عامل وارتباطه بالأتراك . ولما وجد أن الحرب آتية بعث ببرقية الى جمال باشا يعلمه بأن خمسماية متطوع بسلاحهم الكامل باتوا على أهبة الزحف الى الجبهة وأن شباب جبل عامل مستعدون للزحف على العدو في أي وقت يأمر . ومهما قيل في دوافع الخلاف بين الأسعد والصلح فإن واقع الحال آنذاك لا يضع الأسعد في موقع المعادي للقضية العربية بقدر ما ان التمايز في التفكير

---

٣ ـ عزيز بك : مصدر مذكور ص ٢٤٥ ـ ٢٤٦ .

٤ ـ نفس المصدر ص ٢٤١ .

والأهداف بين الاثنين هي التي قادت الى هذا الخلاف . فأقصى ما كان يطمح اليه الأسعد الحفاظ على زعامته المطلقة على جبل عامل . ولهذا كان يعتبر الاغفال لدوره في تقرير مستقبل هذا الجبل هو تطاول على هذه الزعامة وضرب للهالة التي يحرص على بقائها أمام مواطنيه العامليين . بالمقابل ، كان رضا الصلح على نقيض من تفكير الأسعد . فهو لم يكن في وارد اكتساب موقع القيادة في منطقة بل شمل تفكيره ونشاطه الوطن العربي على اتساع رقعته من أجل وحدته وخلاصه من السيطرة الأجنبية . ويمكن القول أن افتقار الصلح الى الخبرة في إقامة التحالفات التي تفرضها طبيعة المرحلة آنذاك ساهمت الى حد كبير في الصدام بينه وبين كامل الأسعد .

إذن عشية الحرب الأولى ، كان يتطلب من قادة الرأي في جبل عامل العمل على توحيد الكلمة ومؤازرة الوطنيين في بلاد الشام لمواجهة تعاظم خطر المؤامرات الاستعمارية الفرنسية الانكليزية على الشرق . في حين وضعت إتفاقية سايكس بيكو عام ١٩١٦ وبموجبها قسمت المنطقة العربية الآسيوية الى مناطق نفوذ بين باريس ولندن كانت لكل منها سياسة خاصة ترتكز على تقسيم الشعوب العربية الى طوائف وشيع متناحرة . ارتكزت سياسة فرنسا في الشرق على حماية الأقليات الدينية مع إظهار ميل قليل لفكرة القومية العربية(٥) . فيما كانت سياسة انكلترا تسير على هدى خطة اللورد لويد التي أقرها فيما بعد مؤتمر القاهرة عام ١٩٢١ والذي جمع المتخصصين الانكليز في شؤون الشرق ، وتتلخص باستعجال خلق دويلات عربية مستقلة في الشرق الأوسط(٦) . بهذا يتلهى العرب بحالة

---

٥ ـ Secrétariat d'Etat à la presidence du conseil et à l'information Paris le 2 Juillet 1946 . Notes documentaires et études N° 342. «Les pays arabes et l'union arabe»

٦ ـ Robert Montagne: L'union arabe. Revue politique étrangère Paris: Avril 1946 p. 186- 187.

التجزئة عن الاهتمام بالوحدة العربية . نجحت الدولتان الفرنسية والانكليزية في تجنيد أعداد من العملاء في خدمة مخططاتها ، وأوعزت لهم برفع راية القومية العربية وللبعض الآخر بالدعوة لوحدة بلاد الشام تحت النفوذ الأجنبي بينما كانت الاتصالات جارية على قدم وساق بين الساسة الانكليز والحركة الصهيونية لإنشاء وطن قومي في فلسطين والذي توج بوعد بلفور عام ١٩١٧ . وأمدّ المستعمر عملاءه بالمال ووسائل الدعاية من صحف ومجلات وغيرها وبرزت أقلامهم في هذا المجال تشوه أحداثاً في التاريخ وتمسخ الحقائق لتبرر ولادة قوميات على أساس طائفي . لم يكن جبل عامل خارج أطماع الحركة الصهيونية بل كانت هذه الاطماع تطاله منذ بداية التفكير الصهيوني بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . وفي أول مؤتمر صهيوني ١٨٩٧ ، رفع شعار الاستيلاء على فلسطين والأراضي المجاورة لها لتستوعب عشرة ملايين يهودي . إن أكثر من تقرير يتعلق برسم حدود الوطن القومي اليهودي كان يرى ضرورة وجود جبل عامل ضمن حدود هذا الوطن المزعوم نظراً لغناه بالمياه وخاصة نهر الليطاني ولموقعه الذي يسمح بالانقضاض على البلاد العربية الأخرى .

في ٦ تشرين الثاني ١٩١٨ ، أصدرت اللجنة الاستشارية الصهيونية لفلسطين مذكرة تحدد الوطن القومي اليهودي بنهر الليطاني في الشمال ، ومن خط بانياس فمنابع نهر الأردن فحدود مدينة دمشق الى غرب خط سكة حديد الحجاز وتحدد شرقاً بخط السكة المذكورة وجنوباً بخط العقبة الى العريش(٧) .

كما طالبت إحدى المسودات التي قدمها وفد الحركة الصهيونية الى مؤتمر

---

٧ ـ أنيس صايغ : الهاشميون والقضية الفلسطينية منشورات المكتبة العصرية صيدا ١٩٦٦ ص ٧١ .

الصلح في باريس بإدخال ضفتي نهر الليطاني ضمن حدود الوطن القومي اليهودي . هذا ، وقد ارتكزت أطماع اسرائيل في لبنان من منطلق ديني . وتتمثل في أوصاف (أرض الميعاد) الوارد ذكرها في التوراة ، والتي تضع لبنان ضمن حدود هذه الأرض[٨] .

الملاحظ أن الأطماع الصهيونية في مياه جبل عامل تعود الى زمن مبكر واستمر بعد إنشاء دولة إسرائيل . والواضح أيضاً أن قادة الرأي في جبل عامل كغيرهم من قادة العرب لم يكونوا على بينة تامة من خطر الحركة الصهيونية فأكثر ما إستأثر اهتمامهم حالة التجزئة التي فرضتها إتفاقية سايكس بيكو والتي كان من ذيولها أن شهد جبل عامل صراعاً مسلحاً بين أكثرية مؤيدة للنهج العروبي الوحدوي المتمثل بسوريا أولاً والنهج الانعزالي اللبناني المدعوم من الانتداب الفرنسي .

أما على صعيد انعكاسات الحرب الأولى على المستوى الاجتماعي فقد اختُص جبل عامل بسياسة جمال باشا التعسفية بعدما وجد عند أبنائه ميلاً للعروبة والاستقلال . فعمد الى تجنيد الرجال وسوقهم الى جبهات القتال حتى لم يبقى منهم إلا الإمرأة والصبي والعاجزين مما ترتب عليه خسارة كبيرة في دورة الإنتاج الزراعي الذي يشكل العماد الاقتصادي في جبل عامل . وتحت ستار جباية الضرائب والإعانات والتبرعات ارتكب جمال باشا أفظع صور النهب والسلب وعلق المشانق لإعدام من يفر من التجنيد . ورمى البلاد بالمجاعة وارتفعت الأسعار فيما أصابت الأمراض المواطنين من دون أن تكافح . فضلاً عن أن بداية الحرب شهدت زحفاً للجراد الذي اكتسح البلاد وأتلف المزروعات . وزاد من شدة الفقر الحصار البحري العام الذي فرضه الحلفاء على البلاد الواقعة تحت سلطة العثمانيين . كذلك ساهمت

---

٨ ـ جنوب لبنان مأساة وصمود . دراسة وثائقية ـ بيروت ١٩٨١ ، ص ٢٥ .

الطبيعة في إلحاق الأضرار بالعامليين عشية الحرب الأولى . فقد أشارت جريدة القبس بتاريخ ٢٣ نيسان ١٩١٣ الى ذلك « جرف السيل الأرضين المنبسطة ما بين جانبي وادي الحجير المعروف من منبع نهر الحجير تقريباً الى مصبه في الليطاني وأتلف كل ما فيها من الخروع وتبلغ المسافة زهاء أربعة أميال وأصبحت تلك الأراضي الخصبة غير صالحة للزرع والانبات لأن السيل ذهب بكل ما فيها من المواد والتراب »(٩) .

لكن لم يخلو الأمر من بعض القادة العامليين فيهبوا لمساندة أبناء جبلهم دون تمييز طائفي . فقد أشار الخوري قسطنطين الباشا أن يوسف الزين الذي باع ديناً الى دير المخلص ٢٠٠ قنطار من الحبوب ما بين قمح وشعير وذرة وفول وعدس(١٠) . في حين آوى كامل الأسعد كثيراً من جيّاع المسيحيين الذين وفدوا الى الطيبة إما مرضى وإما فارّين من الخدمة العسكرية والأحكام السياسية(١١) .

بانتهاء الحرب العالمية الأولى وجلاء القوات التركية وذلك للمرة الأولى منذ أربع قرون عن المناطق العربية اعتبره العامليون كغيرهم من العرب بارقة أمل جديد لمستقبل أفضل ، وخاصة أن دول الحلفاء قبل دخولهم إلى بلاد الشرق، أشاعت بأن مجيئها ما هو إلا لمنح شعوبها حق تقرير المصير . وعزز من تصديق هذه الإشاعات مبادىء الرئيس الاميركي نلسون الـ ١٤ حول تقرير المصير في وقت لم يكن لأمريكا هذه الصورة الاستعمارية كما كانت لفرنسا عند شعوب العالم الثالث آنذاك . تلازم وجود هذه الآمال

---

٩ ـ جريدة القبس ٢٣ نيسان ١٩١٣ .

١٠ ـ قسطنطين الباشا : لمحة تاريخية في أعمال الرهبنة المخلصية خلال الحرب العامة . عنى بطبعها الخوري باسيليوس نحاس . المطبعة التجارية لورنس فاس الولايات المتحدة ١٩٢٠ ص ١٦ .

١١ ـ جريدة الأرز ٢٧ و٢٨ و٢٩ نيسان ١٩٢١ بيروت .

بالحرية مع دخول القوات العربية بقيادة فيصل الى دمشق في ٣ تشرين الأول ١٩١٨ وتشكيله حكومة عربية فيها . سارع العامليون لتأييد فيصل بإنشاء حكومات تتولى تسيير الحياة اليومية في مناطق جبل عامل . في صيدا إتفق الأعيان فيها على تولي رياض الصلح رئاسة الحكومة . وتشكلت حكومة صور برئاسة سعيد المملوك . في النبطية رفع كامل الأسعد بحضور ممثل الأمير فيصل إيليا خوري راية الثورة العربية المربعة الألوان على دار آل الفضل . كل ذلك لم يمنع من بعث الصراع مجدداً بين الأسعد والصلح على زعامة جبل عامل ويبدأ صراع آخر ومكشوف بتشجيع فرنسي بين أكثرية مسيحية مؤيدة للإنتداب في كل مواقفه وبين أكثرية إسلامية تؤيد الوحدة السورية كخطوة نحو الوحدة العربية الشاملة . تجدر الاشارة هنا ، أن بعض المتنورين العروبيين من النبطية وصيدا وجدوا أن هذه المرحلة من بداية الحكم العربي تتطلب تظافر كل القوى العاملية لمواجهة المطامع الاستعمارية الفرنسية البريطانية ولتفويت الفرصة على عملاء الداخل من الاصطياد في الماء العكر . لذلك ، آثر هؤلاء وضع خطة لإصلاح ذات البين بين رضا الصلح وكامل الأسعد ، فعقد اجتماع في ٣ تشرين الأول ١٩١٨ ضم بعض أعيان النبطية أمثال سليمان ظاهر ، أحمد رضا ، محمد جابر آل صفا ، يوسف الحاج علي ، محي الدين الجوهري وولده بهيج ، يوسف الزين وأعيان آل الفضل(١٢) .

لم تثمر تلك اللقاءات المتكررة على التقاء الطرفين المتنازعين الصلح والأسعد خاصة وأن الأخير وجد أن ذلك سيتم على حساب زعامته لأن الساعين في المصالحة من النبطية هم من المحسوبين على رضا الصلح . وما يسعون اليه ما هو إلا هدنة تسمح لهم في المستقبل النيل من زعامته . ومن

---

١٢ ـ د. محمد بسام : الاتجاهات السياسية في جبل عامل ١٩١٨ ـ ١٩٢٦ . أطروحة دكتوراه في التاريخ جامعة القديس يوسف بيروت ١٩٨٣ غير منشورة ص ١٦ .

هذا المنطلق ، راح كامل الأسعد يدعو لإجتماعات عاملية تحت قيادته تكريساً لزعامته وليحصل على تفويض بالتكلم باسم جبل عامل مع المسؤولين المعنيين إن كان مع الفرنسيين أم الأمير فيصل . رغم هذه الصورة من النزاع التي ظهرت على أرض جبل عامل ، بقيت حكومة فيصل في دمشق تبعث عند العامليين الأمل القوي بتحقيق تطلعاتهم في الاستقلال العربي الذي طالما روّج له قادة الرأي في جبل عامل منذ منتصف القرن التاسع عشر ، وعندما حاول الفرنسيون إبطال التدابير بإنشاء حكومات باسم الملك فيصل في مناطق جبل عامل للتمهيد لسيطرتهم المباشرة استقبلتهم الجماهير استقبالاً صاخباً محتجاً وأرسلوا البرقيات والعرائض الى المسؤولين في دول الحلفاء عَبَّرت عن آمال البلاد وطموحاتها في جلاء الجيش الفرنسي عن بلاد الشام .

وضعت هذه التدابير مع إنعقاد إجتماع دعا اليه كامل الأسعد في النبطية ٥ تشرين الأول ١٩١٨ ، وحضره زهاء ألف شخص من رجالات جبل عامل بينهم كثيرون من الزعماء والعلماء والمفكرين ، فإتفقوا فيه على الاستقلال العربي ومبايعة الملك حسين والطاعة للملك فيصل . أعقب الاجتماع المذكور اجتماع آخر دعا اليه كامل الأسعد ، ١٢ تشرين الأول ١٩١٨ ، لتدارس أمر انتخاب وتشكيل حكومات في داخلية جبل عامل . ولكن الحاكم العسكري الفرنسي في صيدا (فيجيل) عمم قراراً في نفس اليوم في جبل عامل يمنع بموجبه الاجتماعات العامة وكل أشكال المظاهرات السياسية تحت طائلة العقوبة وذلك مما أثر على وقائع الاجتماع ومقرراته . عندها ، تقرر إرسال وفد إلى بيروت مؤلف من فضل الفضل ، الحاج اسماعيل الخليل ، درويش خليل ، والمعتمد إيليا خوري ، الحاج حسن دبوق ويوسف بك الزين وغيرهم . . . وغايته مطالبة الحكومة بحقوق جبل عامل ، كما تقرر تشكيل وفد الى دمشق برئاسة كامل الأسعد وعضوية الأعيان والبكوات والوجوه والعلماء لتهنئة الأمير فيصل بإعلان الاستقلال

العربي ويحث مصير جبل عامل على ضوء ما يطرح من المشاريع السياسية في المنطقة(١٣) .

أرفق فيجيل قراره القيام بممارسات تعسفية تجاه العامليين فتعاملوا معها بتشكيل عصابات مسلحة لمقاومة الاحتلال الفرنسي ومنع السكان من دفع الضرائب . وفي أوائل كانون الثاني ١٩١٩ ، وعلى أثر الدعايات لتوسيع جبل لبنان وإلحاق جبل عامل به وسفر الوفد اللبناني برئاسة البطريرك الماروني الياس الحويك الى باريس للمطالبة بإستقلال لبنان وتوسيعه منفصلاً عن سوريا ، رفع العامليون احتجاجاً بواسطة الجنرال اللنبي جاء فيه :
« لحضرة القائد العام للقوى المحالفة الجنرال اللنبي المعظم .

نحن سكان صيدا قاعدة جبل عامل وملحقاتها نرفع بواسطتكم احتجاجنا على الوفد اللبناني الذي خرق حرمة (البروتوكول) الدولي واتخذ لنفسه النيابة لا عن لبنان فقط (وفيه القسم الأعظم المحتج على تمثيله غير الشرعي) بل عنه وعن جبل عامل المنفصل عن جبل لبنان جغرافياً وإدارياً وسياسياً نحتج على ما يحمله ذلك الوفد من اللوائح الموقعة بطريق الاغفال وعلى مطالبته بأمر غير مشروع وهو إلحاق جبل عامل المستقل بإدارته وتخومه وحدوده الى جبل لبنان المزعوم توسيعه بحجج واهية .

إن جبل عامل تبتدىء حدوده شمالاً من النهر الأولي وينتهي جنوباً بتخوم فلسطين الشمالية ، ما زال مُراعى فيه هذا التحديد حتى أوائل انقراض الحكم التركي وقيام الاستقلال العربي . وإذا استند الوفد على شرعية هذا الضم بالتاريخ ولا يمتد على زعمه الى أكثر من عهد الأمراء المعنيين فإن حجة العامليين أثبت لأن التاريخ يخولهم حق توسيع جبل عامل بإلحاق قسم به من لبنان كان تابعاً له إلى زمن يمتد الى ستة قرون فنتذرع بك

---

١٣ ـ نفس المصدر ص ٣٩ .

أيها القائد العظيم بإبلاغ صدى إحتجاجنا العادل الى مؤتمر الحلفاء ضامن الاستقلال العربي والوحدة العربية التي لا تتجزأ واننا نرفض مطالب الوفد ونتوسل الى المؤتمر الدولي ان يرفع عنا كل ضغط يؤيد الفكرة الاستعمارية (إنبرياليسْت) وإيجاد مراقبة دولية ممن لا يجنحون الى تلك الفكرة لجعل انتخاباتنا لشكل حكوماتنا انتخاباً حراً .

وتلك حقوق شرعية وطبيعية وتقليدية نتخذك أيها القائد الحازم واسطة لتأييدها وإذا لم يبلغنا هذا الاحتجاج تنوير الرأي العام الأوروبي فإنا نقوم لإدراك ذلك بإيفاد وفود نتوسل بك أن تسهل أسباب سفرها وتتخذ بريطانيا العظمى ظهيرة لنا نحن المسلمين في إحقاق حقنا ولك ولدولتك مكافأة على عملك هذا إخلاص مائة ألف ونيف وصحيفة بيضاء في تاريخهم »[١٤] .

وبعدها ، أخذ قادة الرأي العامليون يستغلون كل مناسبة ليعلنوا فيها رفضهم للاحتلال الفرنسي . وهكذا كان أمام لجنة الاستفتاء الاميركية كنغ ـ كراين ، التي شكلها مؤتمر الصلح في باريس والتي طافت سوريا ولبنان وفلسطين تستطلع الآراء نحو الحكم في البلاد . يومئذٍ أجمع القادة العامليون على أن يكون المتكلم بإسمهم امام اللجنة السيد عبد الحسين شرف الدين والشيخ حسين مغنية . وقد أوضح الممثلان لأعضاء اللجنة تصور ورغبات العامليين بالتالي: « وحدة البلاد السورية المستقلة بحكومتها الدستورية اللامركزية وأن يكون على رأسها الأمير فيصل ملكاً ، ورفض أن يكون لأية دولة أجنبية يد في حكم أو دخل في انتداب ولا سيما الحكم الفرنسي وطلب مساعدة أمريكا لكونها دولة غنية قوية بعيدة عن مطامع الاستعمار »[١٥] .

أما وفد وجهاء الطائفة السنية في جبل عامل برئاسة رياض الصلح وقد

---

١٤ ـ جريدة القبس ١٧ تشرين الثاني ١٩٣٢ ، دمشق .

١٥ ـ السيد عبد الحسين شرف الدين ، مذكرات ملحق رقم ١ .

تقدم بلائحة جاءت متطابقة في مضمونها مع مقررات المؤتمر السوري ورفض فكرة الكيان اللبناني . وبعدها قدم رياض الصلح عرضاً تفصيلياً عن سكان قضاء صيدا البالغ عددهم ٥٥ ألفاً ، منهم ١٥ ألفاً من السنة و٣٣ ألفاً من الشيعة ، فقد تمثلوا في الوفود الذين التقيتوهم ولا عبرة في تعدد أشخاص بقية الوفود فهي لا تمثل إلا الباقي من هذا العدد .

أما جديدة مرجعيون فقد تفردت بظاهرة خاصة إذ التقت بلجنة كنغ - كراين بوفد مشترك من الطوائف الاسلامية والأرثوذكسية والبروتستانتية ، وهؤلاء الممثلين هم : الخوري الياس ، وفارس حمو ، مراد غلمية وسعيد حوراني - حسين اليوسف ، محمد العرب ، الدكتور أسعد رحال ، القس خليل الراسي ، كليم قربان، وسليم مسلم . وقد تقدموا بعرائض تؤيد مقررات المؤتمر السوري(١٦) .

في وجه التحدي العاملي المستمر ضد الوجود الفرنسي ومشاريعه الطائفية في المنطقة والتي لم يتجاوب معها إلا أقلية ضئيلة لجأ ممثلي الاحتلال الفرنسي الى التقرب من قادة العاملين عبر دعوتهم الى التفاهم أو بزيارات يخصون بها الوجهاء أو بوعود تعطى لطلاب المناصب أو المنافع . استطاعوا عبر ذلك الاستحصال على عريضة رفعت الى مؤتمر السلم في باريس من سكان قضاء صور من شيعة ونصارى يطالبون بانضمام بلادهم الى لبنان الكبير . حملت العريضة تواقيع مخاتير دير نطار ، مشرف ، برج قلوية ، كونين ، تبنين ، عبا ، يارون وغيرهم . . .(١٧) .

في الوقت ذاته دأبت جريدة البشير المقربة من الفرنسيين على متابعة حملتها على الطائفة الشيعية وقراها حيث وصفتها بالتعصب والسرقة وتعطي

---

١٦ - د. محمد بسام : مصدر مذكور ص ٨٠ و٨١ .
١٧ - M.A.E.F. - N° 43 Juillet 1919. P. 112. Paris

مثلاً على قرية الخيام بقولها « وهي القرية المشهورة منذ قديم الزمان بأن سكانها لا يتعاطون الا النهب والسلب والفتك » . وتستطرد البشير لتنعت الرافضين للوجود الفرنسي « بأن الاستقلال عندهم هو رفض كل أجنبي لأنهم بدونه يبقون كما كانوا الأرض لهم والرجال لخدمتهم وتلبية أوامرهم »(١٨) .

وفي آذار ١٩٢٠ أحضرت قوات الاحتلال الفرنسي أعيان جبل عامل الى جسر الخردلي وطلبت اليهم تأييد سياستها فكان جواب كامل الأسعد « أن العامليين يرفضون هذا الطلب ولا سيما الاعتراض والاحتجاج على ما قرره المؤتمر السوري من تنصيب الملك فيصل ملكاً على سوريا لأنه هاشمي وذلك من أخص تمنيات الشيعة »(١٩) .

وللتدليل على أن هذا الموقف هو رأي الأكثرية العاملية ، جاءت الدعوة لعقد مؤتمر على نهر الحجير في ٢٤ نيسان لاظهار مدى تعلق العامليين بالنهج العروبي والتحرري ولإظهار أن بعض الوجهاء المتعاملين مع الممثل الفرنسي لا يمثلون الا أقلية نشاز يمكن توجد في داخل كل أمة أو طائفة بما يتعلق بأي موضوع يطرح وخاصة إذا لجأ الأجنبي الى سياسة الثواب والعقاب حيث مجالها الرحب في إطار الوظائف الرسمية الدينية منها والمدنية ، وبالتالي استغل حالة انقسام القرى على بعضها بين العائلات من أجل الوجاهة وهي من الأمراض الفتاكة في المجتمع العاملي .

كذلك جاءت الدعوة الى مؤتمر الحجير لوضع حد لما كان يشاع عن تحركات بعض الوجهاء العامليين برئاسة كامل الأسعد لارسال عرائض تؤيد السياسة الفرنسية بإنشاء لبنان الكبير . وقد أورد سليمان ظاهر في

---

١٨ ـ جريدة البشير ، ٨ كانون الثاني ١٩٢٠ .

١٩ ـ مجلة العرفان مجلد ٣٣ جزء ٧ ص ٧٣٦ .

مفكرات لم تنشر بعض من هذه التحركات :

في ٢ شباط ١٩٢٠ « باشر كامل بك بمساعدة الشيخ عبد الحسين (صادق) والشيخ علي حلاوي والبكوات توقيع لائحتين الأولى للمؤتمر السلمي والثاني للجنرال غورو تتضمن الأولى مطالبة المؤتمر بضم جبل عامل الى لبنان الكبير بحدوده القديمة وامتيازاته والثانية الالتماس من غورو تقديم اللائحة الى المؤتمر وإبلاغ أمانيهم ومساعدتهم على تحقيق هذه الفكرة . وتسلم نسخ منها كل من : نعمان بك ـ ملحم شرف الدين ـ علي فياض على أن يوقعوها من الشقيف والشومر والتفاح لتأمين أهلها » .

في ٥ شباط « الشيخ عبد الحسين والبكوات يهتمون في توقيع اللوائح ويعتذرون أن فيها سلامة حياة كامل بك وأنه بعد وصوله ورد عليه كتاب تهديدي ووعيد بارجاعه إذا لم يباشر العمل » .

في ٩ شباط « بلغنا أن لوائح كامل بك يتطلب ضم جبل عامل الى لبنان رفض توقيعها أهالي بنت جبيل حيث أرسلها اليهم . . . » .

في ١٤ شباط بلغني أن كامل بك أبرق الى شاربنتيه بما هذا مضمونه :

« وإنني بصفتي زعيماً للطائفة الشيعية وممثلها أوكل المطران عبد الله بالدفاع أمام المؤتمر عن حقوق جبل عامل . وفي المطالبة بضمه الى لبنان الكبير » .

مؤتمر الحجير ونتائجه :

جاء توقيت المؤتمر مع ذروة التصدي العسكري العاملي للاحتلال الفرنسي ولعملائه المحليين في جبل عامل . كان انعقاد المؤتمر من أجل توضيح النهج السياسي العروبي للإنتفاضة المسلحة ولتنظيم الفوضى العسكرية التي أخذت تستغلها بعض العصابات للسرقة والنهب والقتل دون تفريق بين الطوائف . وبالتالي لقطع الطريق على سياسة الفرنسيين

القائمة على تسعير حمى الصراع الطائفي باعتباره نقطة ضعف في الجسم العاملي .. فجهز الفرنسيون المسيحيين بالسلاح بدعوى تمكينهم من حماية أنفسهم ثم تغافلوا عن العصابات ضدهم لحد أن بعض قادة العامليين طالبوا الحكومة بوضع حد لهم . يشير كامل الأسعد في كتاب رفعه الى الجنرال غورو بهذا الخصوص : « كنت في غالب الأيام أكاتب حكومة النبطية بتفاصيل الحوادث الجارية في جبل عامل بواسطة المدير أو بكوات آل الفضل أو يوسف الزين وكنت أجتمع في كل أسبوع مرة أو مرتين مع مستشار مرجعيون الكابتن باكي ومستشار النبطية والملازم توليه وفي كل اجتماع أنذرهما بخراب البلاد إذا بقيت خالية من القوة العسكرية »[٢٠] . كذلك أبرق زعماء جبل عامل للأمير فيصل حتى لا يستغل بعض العصابات حركة الانتفاضة الوطنية المسلحة ضد الفرنسيين من أجل شق العامليين .

في مكان آخر يشير السيد عبد الحسين شرف الدين في مذكراته الى أن الفرنسيين لم يستجيبوا لمطالب المخلصين بل راحوا يعطون السلاح للمسلمين بحجة تأديب العصابات ومطاردتهم ، ولكن الحقيقة رمت من وراء ذلك أن يثوروا النصارى ليتسع الفرق بين العامليين وليثبتوا التدليل على عدم كفاية سكان جبل عامل على الاستقلال . حينئذٍ يقيمون حكمهم على قاعدة هذا التدليل . في نفس الوقت راح عملاء الفرنسيين من الفريقين يثيرون الحماس وقد استغل هؤلاء بساطة الناس فانقاد الكثيرين يؤذون المواطنين نهباً وقتلاً وتجريحاً . ولم تنفع محاولات قادة الرأي في إخماد الفتنة وشاعت اخبار الغزوات والوقائع التي كانت تقع من ناس موقع البشرى والأناس . وتقع من آخرين موقع الهم والبؤس . في هذه الفترة جاء رسل الرؤساء من عشائر الفضل في المنطقة الشرقية يحملون لكامل الأسعد رسائل

---

٢٠ ـ جريدة الأرز ٢٧ و٢٨ و٢٩ نيسان ١٩٢١ بيروت .

الثورة ويدعونه لخوض المعركة ويخيرونه بين أمرين . إما أن ينضم اليهم بجبل عامل فيكون معهم حرباً على فرنسا وإما أن يعتزل فيكون عرضاً لحربهم قبل فرنسا . أما رد الأسعد فجاء بأنه ، لا يستطيع الانفراد بالرأي في عاملة دون العلماء ودون الزعماء من أمثاله الذين لهم كلمتهم وأتباعهم فلا بد له من إفساح المجال لفرصة يجتمع فيها العلماء والزعماء ويبحثون هذه القضية وهكذا تمت الدعوة الى مؤتمر الحجير[21] .

سبق التحضير للمؤتمر بعقد لقائين ، الأول في الطيبة والثاني في دير ميماس ، حضر لقاء الطيبة علماء جبل عامل ووجهائه الذين صمموا على وضع حد للفوضى القائمة في مناطقهم وذلك بتشكيل حرس وطني يبلغ المائة والستين خيالاً على أن يكون راتب كل خيال خمسة عشر ليرة شهرياً وأن تتعهد الحكومة المحتلة بدفع الرواتب وأن لا يكون لها أمر قيادتهم وهم يتعهدون بإقرار الأمن في نصابه . ترك اللقاء اجتماعه مفتوحاً بانتظار لقاء دير ميماس في نفس اليوم ١٥ نيسان ١٩٢٠ . حضر لقاء دير ميماس عن الجانب العاملي كامل الأسعد والى جانبه وفد النبطية فضل الفضل وأخوه محمود ويوسف الزين ومن الخيام الحاج حسن عبد الله وابن أخيه الحاج خليل وبعض الوجوه ، عن الجانب الفرنسي متصرف لواء صيدا شاربنتيه وحاكم الجديدة الافرنسي . في هذا اللقاء عرض الوفد العاملي ما توصلوا اليه في لقاء الطيبة لكن شاربنتيه رفض الموافقة على أمرين : الأول فيما يختص الراتب فوجده كثيراً والأمر الثاني بأن لا يكون للفرنسيين يد في تولي قيادة القوة المقترحة ، عندها رفض المجتمعون في الطيبة أمر تعيين الحرس بمشورة السلطات المحتلة واعتبروا ذلك اعترافاً بشرعية وجودهم . وأخيراً قرروا وضع حد للفوضى يتولونه بأنفسهم بلا مداخلة أجنبية » .

---

٢١ ـ السيد عبد الحسين شرف الدين ، مذكرات . ملحق رقم ١ .

٢٢ ـ جريدة الدفاع ٤ أيار ١٩٢٠ ، دمشق .

تقدم كامل الأسعد بدعوة عامة الى قادة الرأي العاملي لعقد مؤتمر عام على منبع نهر الحجير. وهو مكان متوسط للمدعويين كافة في ٢٤ نيسان ١٩٢٠ . لبى الدعوة الى المكان المذكور زهاء ٦٠٠ شخص من أقضية النبطية ، صيدا ، صور ومرجعيون ، من رجال العلم والدين والوجاهة ورؤساء العصابات . بعد جلسات متعددة عرضت القرارات علناً على المجتمعين وقد تضمنت التالي : تنظيم لائحة بالمصادقة على جميع مقررات المؤتمر السوري الأخيرة والاحتجاج على كل ما يعاكسها ، وانتداب وفد من مجتهدي علماء جبل عامل يحمل الى العاصمة السورية أماني العامليين ومقررات مؤتمرهم في هذا الاجتماع التاريخي . أما لائحة الانتداب التي وقعت جاء فيها : « حيث أن ثقة العامليين بمجتهدي علمائهم حملت الشريعة المطهرة العظيمة فقد انتدبنا من المجتهدين حضرات السيد محسن الأمين والسيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي والسيد عبد الحسين نور الدين ليرفعوا للمقام العالي الهاشمي :

أولاً : مصادقتنا على مقررات المؤتمر السوري بعاصمته دمشق المحمية بإعلان الاستقلال التام الناجز لسوريا بحدودها الطبيعية والجغرافية وملكية الملك فيصل المعظم .

ثانياً : عواطف الاخلاص والتبريك لمقام جلالة الملك فيصل الأول المعظم ملك سوريا وجميل طاعتنا له .

ثالثاً : اعتبار مقاطعة جبل عامل مستقلة استقلالاً إدارياً داخلياً مرتبطاً بالاتحاد السوري .

رابعاً : تفويضنا لهم تفويضاً مطلقاً مما يعود لفائدة جبل عامل بالمذاكرة مع أولي الأمر في الحكومة السورية » .

وبعد توقيع اللائحتين ، لائحة المصادقة على مقررات المؤتمر السوري ولائحة الانتداب ، تكلم السيد عبد الحسين شرف الدين عن أبعاد الأزمة

التي تعصف في جبل عامل ووسائل حلها . ويشدد بنوع خاص على الفوضى التي تهدد الأمن وما هي إلا من العراقيل التي لا تخدم مصلحة العامليين وتدلل على عدم أهليتهم . بعدها ، أقسم المجتمعون اليمين أن يتضامنوا لحفظ الأمن واقرار الهدوء والحرص على سلامة النصارى بوجه خاص . ثم طلب من زعماء الانتفاضة كصادق حمزة وأدهم خنجر ومحمود الأحمد أن يوقفوا نشاطهم لحين عودة الوفد من دمشق .

ظهر في مؤتمر الحجير من الشعور الوطني والاحساس العربي ما لم يظهر من قبل من استعداد العامليين لمقاومة المحتل الفرنسي في سبيل الوحدة السورية والاستقلال العربي . وامتاز هذا المؤتمر بكونه جامعاً لسائر قادة الرأي من العامليين . فقد شارك فيه العلامة الشيخ حسين مغنية والعلامتان السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي والسيد عبد الحسين نور الدين والعلامة الشيخ موسى قبلان ، السيد جواد مرتضى ، الشيخ أحمد رضا ، محمد جابر آل صفا ، الشيخ محمد حسين شمس الدين ، كامل الأسعد ، محمود الأسعد ، عبد اللطيف الأسعد ، محمود الفضل ، الحاج محمد حسن عبد الله من الخيام ، الحاج اسماعيل الخليل ، الحاج أحمد أبو عرب ، الشيخ عز الدين وتوفيق حلاوي من صور ، الحاج محمد سعيد بزي من بنت جبيل(٢٣) .

في الطريق الى دمشق ، التقى الوفد العاملي حاكم القنطرة محمود الفاعور وجمع من رؤساء العشائر حيث تداولوا في أمر مواجهة الفرنسيين .

وحسب مذكرات السيد عبد الحسين شرف الدين أن رأي محمود الفاعور وصحبه يصب في خانة الاستمرار في العنف وهذا ما يتعارض مع وجهة نظر الوفد العاملي التي تلتقي مع موقف الملك فيصل المعتمدة على

---

٢٣ ـ نفس المصدر ٤ أيار ١٩٢٠ .

الفرنسي لإثارة الفتنة مجدداً بين العامليين ولقطع الطريق على كل تفاهم يمكن أن يحصل في أعقاب مؤتمر الحجير . وقد أشار السيد عبد الحسين شرف الدين في مذكراته بطلان الاتهامات التي وجهت اليه وقال : « وشاء ذيول الفرنسيين من منافقي الافندية والمتزعمين أن يستغلوا هذا الحدث أسوأ استغلال. فنسبوا الينا فتوى بجهاد النصارى وقال انها كانت في مؤتمر الحجير وكانت دعواهم هذه تحريفاً لموقفنا المشهود في الحجير وذهبوا بهذا التحريف المزور يزجّونه في آذان الحاكمين المتولين في غير ذمة ودين »[٢٦] .

ترافقت حملة التحريض التي تولتها « البشير » بتحرش عملاء الفرنسيين بالقرى الشيعية . وفي الواقع كانت النفوس لدى المسيحيين والمسلمين مهيأة لكل وشاية مهما كان مصدرها خاصة وأن الأحداث الماضية المتعاقبة ما زالت ماثلة للعيون ، حتى جاءت حادثة عين إبل بعد أيام من انتهاء مؤتمر الحجير والتي ذهب ضحيتها العديد من أبنائها لتدلل على صحة الإشاعات في أذهان أبناء جبل عامل . إذن كان الظرف مهيأً لمثل هذه المعركة ، فعدا الانقسام الطائفي العام في جبل عامل بفعل سياسة الفرنسيين التي ذكرناها في سياق البحث كان للجمعيات المؤسسة في عين ابل والتي في ظاهرها عبارة عن جمعيات خيرية ولكنها في باطنها كانت تسلح وتدرب على أيدي المخابرات الفرنسية لاستخدامها لمآربها السياسية الاستعمارية . عندها أمسى أقل حادثة كافية لتفجير الوضع برمته . بالتالي ان ترامي الأخبار الى القرى الشيعية بأن شبان عين ابل اعتدوا على امرأة مسلمة من حانين وهي بائعة لبن وأهانوها بشكل بشع جداً ما هو الا السبب المباشر لذلك الهجوم الذي شن في ٥ أيار ١٩٢٠ وكانت حصيلته هرب سكان عين ابل ونهب ممتلكاتها .

استغل الفرنسيون هذه الواقعة فسيروا في ٥ حزيران حملة من ألف

---

٢٦ ـ السيد عبد الحسين شرف الدين مذكرات ص ٧٤ ملحق رقم ١ .

التفاوض مع الفرنسيين قبل المبادرة الى العنف « لأن العنف مغبة نخشاها ولا سيما نحن إزاء دولة موصولة بالعواصم والمعامل والجيوش فإذا لم نجد مندوحة فدماؤنا للتضحية » (٢٤) .

في دمشق التقى الوفد العاملي بالملك فيصل الذي كرم وفادتهم فرفعوا اليه تهاني المؤتمرين بوادي الحجير بتنصيبه ملكاً . وبعد جلسات متعددة كانت وجهات النظر متطابقة فيما يختص بمصير جبل عامل والقضية السورية عامة . وقد وعدهم الملك فيصل بتزويدهم بالعتاد والجند والأطباء وقت الضرورة .

لم يرق للمحتل الفرنسي التوجه الوطني الذي أعقب مؤتمر الحجير والتي كانت من أسسه الحفاظ على المسيحيين حتى دفع بجريدة البشير لتشيع أن مؤتمر الحجير عقد للتنكيل بالمسيحيين . « بشرنا منذ ثلاثة أسابيع الحاج اسماعيل يحيى بأن كبار الشيعيين وأسيادهم وشيوخهم وبكواتهم تعاهدوا في مؤتمر الحجير في ٢٤ نيسان على أن يمنعوا التعديات على المسيحيين . . . وإنما الحقيقة هي أن العصابات المتعددة اتفقت على أثر هذا المؤتمر على تقسيم القضاء فيما بينهم . . .

وقد أهاج عواطف القوم السيد عبد الحسين شرف الدين من قرية شحور وهو زعيم الشيعيين الديني في صور بتكراره على شعبه في مؤتمر الحجير تلك الفتوة الشرعية التي كان أصدرها قبل حوادث درد غيا بإفناء المسيحيين عن بكرة أبيهم في قضاء صور ، إذ حلل للشيعيين دم المسيحيين وأموالهم وأعراضهم »(٢٥) .

ما أشارت اليه الصحيفة المذكورة لا شك أنه كان بإيعاز من المحتل

---

٢٤ ـ السيد عبد الحسين شرف الدين ، مذكرات ص ٧٢ ملحق رقم ١ .

٢٥ ـ جريدة البشير ، ٢٠ أيار ١٩٢٠ .

جندي مجهزين بالمدافع الثقيلة والدبابات والمدرعات بقيادة الكولونيل نيجر . داهمت الحملة قرى جبل عامل بحثاً عن الثوار وقادة الرأي فيه ، ولم تترك الحملة وسيلة للعنف إلا واستعملتها في بحثها الى جانب استيلائهم على كل المواد الغذائية لاطعام الحملة من ماشية ودجاج وبيض ولبن . وفيما كان الملك فيصل قد جهز قوافل الى جبل عامل من العتاد والأسلحة والأطباء أرجع كامل الأسعد تلك القوافل تعويلاً على الحلول السلمية وأخذاً بالأناة والتساهل . في نفس اليوم اجتمع بناء على دعوة الكولونيل نيجر في صيدا أكثر من ٢٠٠ من أعيان جبل عامل ومن كل الطوائف حيث القي عليهم خطاباً شديد اللهجة وجهه الى الشيعيين ثم تلا عليهم الأحكام قائلاً :

« إن الحكومة يسوؤها أن يحكم على وجهاء الشيعيين بهذه الأحكام الصارمة ولكنهم هم الجناة على أنفسهم وهذه خلاصة الأحكام : حكم بالاعدام على صادق حمزة وأحمد المحمود بزه ومحمد التامر وعبد الحميد بزه ويوسف طاهر وأدهم خنجر وكثيرين غيرهم .

وحكم بالنفي المؤبد على كامل الأسعد والسيد عبد الحسين شرف الدين والحاج محمد سعيد بزه ، وراشد عسيران ومحمد الحاج حسن عبد الله وأخوته » . وبعد تلاوة الأحكام قال الكولونيل « أن الحكومة أعدمت جميع الثوار الفارين الذين حاولوا متابعة تحركاتهم أثناء وجود الحملة وعددهم يقدر بثلاثين » . ثم طلب من الحاضرين الشيعة إعلان قبولهم الشروط الآتية لاسترداد الحملة وهي :

١ ـ دفع غرامة قدرها مئة ألف ليرة ذهباً .

٢ ـ إرجاع المسلوبات الى أصحابها .

٣ ـ إعطاء تعهد شخصي للحكومة بالمحافظة على المسيحيين الذين يبقون في قراهم .

٤ ـ جمع الأسلحة في أقضية صيدا ، صور ، مرجعيون .

٥ ـ تسليم المجرمين أينما وجدوا .
٦ ـ إلقاء المسؤولية على عواتقهم عن كل أمر يجد وكل قتيل في أحد الأقضية الثلاثة .

وأمهل الكولونيل الحاضرين الى الساعة الثالثة ليعطوا الجواب على شروطه »[٢٧] .

في أعقاب ذلك وضع المتصرف والقائمقامون بالاتفاق مع الأعيان نص المضبطة الآتية وقد تليت عليهم بحضور الكولونيل نيجر الذي دعي لأن يطلع عليها أمام كل الأعيان وهي :

١ ـ نحن الموقعين أسماءنا رؤساء الطائفة الشيعية وعلمائها وأعيانها الملاكين ومختاريها نتعهد بموجب هذه المضبطة بإستعمال كل ما لنا من نفوذ لصيانة الأمن والسكينة في البلاد . ونتعهد بحماية القرى المسيحية ونضمن لسكانها حرية الحصاد وإذا اعتدى عصابات اللصوص على إحدى القرى المسيحية تبادر كل القرى الشيعية المجاورة الى مساعدتها لتنجيها من الاعتداء طبقاً لما تفرضه الشريعة . وفي الوقت نفسه ، تكون القرى المجاورة مسؤولة عن كل هجوم يحدث على قرية مسيحية مجاورة . ونحن ملاكي القرى نتعهد أنه لا ينضم أحد من الذين ينتمون الينا الى عصابات الأشقياء .

٢ ـ أما الغرامة التي فرضها الجنرال غورو على الطائفة الشيعية والتي قيمتها تبلغ مائة ألف ليرة فإننا نتعهد بدفعها تماماً على مقتضى التدابير التي تقررها الحكومة . ونحن خاضعون للحكومة تماماً لتنفيذ قراراتها . إننا نرذل كل الرذل مسببين الفتن الذين حكمت عليهم الحكومة ونتعهد

---

٢٧ ـ أمين السعيد : الثورة العربية الكبرى ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي مصر ، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ .

بتسليمهم اليها حال عودهم الى قراهم . وإننا سنبذل كل ما في وسعنا لإعادة المواشي والاموال المنقولة التي نهبت الى أصحابها إذا كانت موجودة في منطقتنا .

٣ ـ إننا نتعهد بتسليم كل الأسلحة وبدفع المتأخر من الضرائب .

الموقعون : حسين مغنية ، عبد الحسين صادق ، حبيب مغنية ، محمد إبراهيم الحسيني ، محمد أمين عبد الله الحر ، نعمان محمد سعيد حلاوي ، خنجر عبد الله ، أمين ملحم ، عز الدين علي ، عبد الحسين محمود ، حسين الدرويش ، عبد الرسول الهادي عاصي ، اسماعيل يحيى ، علي عبد الله ، أحمد رضا ، حسن وهبي ، درويش أبو خليل ، سامي الأسعد ، علي حسن أمين ، محمد أبو خليل ، حبيب عطية ، ابراهيم فياض ، مصطفى غليمة ، محمد جابر ، يوسف الحاج علي ، سليمان ظاهر ، حسن دبوق ، أحمد عرب ، علي فياض ، يوسف اسماعيل زين ، فضل حسن . محمد محمود ، مصطفى مقدم ، خليل محمد ، خليل عز الدين ، حسين صفي الدين ، نجيب عسيران ، زين العابدين عسيران[٢٨] .

في أعقاب هذه الحملة العسكرية الفرنسية ، فر العديد ممن حكم عليهم بالإعدام أو النفي الى دمشق حيث كانوا موضع حفاوة وتكريم وعلى رأسهم السيد عبد الحسين شرف الدين بينما لجأ كامل الأسعد الى الجاعونة في فلسطين والسيد عبد الحسين نور الدين الى الريحان وآل بزي الى رأس الأحمر ورغم قساوة الحملة وما رافقها من تعسف لم ينل من عزيمة العامليين في التصدي للمحتل الفرنسي . في ١٧ حزيران نشر في بيروت البلاغ الآتي : « لا تزال الحملة تواصل أعمالها في قضاء صور وجميع رؤساء القبائل والقرى في حدود المنطقة الجنوبية جاء مظهرين خضوعهم ودفعوا

---

٢٨ ـ جريدة البشير ، ١٢ حزيران ١٩٢٠ .

الغرامة وسلموا الأسلحة كما تقرر . وقد قبض على بعض المتمردين فأعدموا رمياً بالرصاص وامتنعت قريتان فقط عن القيام بالتعهد فأكرهتا بالقوة وقد أعيد تأليف عصابات صادق حمزة وأدهم خنجر في المنطقة الشرقية من جبل عامل »[٢٩] .

أما الشيخ أحمد رضا ، فيصف الوضع في مذكرات له في العرفان عن يوم ١٨ حزيران ١٩٢٠ : « هذا اليوم . . . يمر على قطر جبل عامل ، الانسانية تتألم وأعمال الفوضى ضاربة أطنابها فيه . رجال الحكومة يسلبون وينهبون باسم جمع الغرامة من الشيعة ، وعصابات باسم الثائرين تنهب المسيحيين وعصابات مسيحية بتحريض رجال الأمن ومعاضدة الكومندان شاربنتيه تنهب المسلمين والشيعة . . . والعساكر الفرنسية تجوس خلال الديار يتبعها جماعة من الموتورين من عين ابل ينتقمون ، الطرق مقطوعة والفساد عام ، ومهاجروا مرجعيون من الجنديدة وما حولها من القرى المسيحية ملأوا النبطية وصيدا مذعورين ومهاجروا جبل عامل في قرى فلسطين »[٣٠] .

لم تنفع سياسة الفرنسيين التعسفية في وجه رجال العصابات التي حكم عليهم بالنفي أو الاعدام . لكنهم استغلوا حالة الوهن التي أصابت الأكثرية العاملية وعلى رأسهم بعض رجال الدين الذين ضاقوا ذرعاً من عمليات الثأر الفرنسية مما دفعهم للتوسط مع قادة العصابات لوقف هجماتهم على الجيش الفرنسي . ويقول سليمان ظاهر في « مفكرات عن الحملة» وعندما تأخر الزعماء الآخرون للعصابات في إرسال ردودهم على التماس العلماء طلب قائد معسكر النبطية « توليه » من العلماء السفر اليهم في العديسة

٢٩ ـ أمين السعيد مصدر مذكور ص ١٥٥ .

٣٠ ـ مجلة العرفان مجلد ٣٤ جزء ٣ ص ٣٥٦ كانون الثاني ١٩٤٨ .

لابداء النصح لهم . فسافر الشيخان حسين مغنية وعبد الحسين صادق الى العديسة والطيبة للتفاوض مع محمد التامر وعبد اللطيف الأسعد فكان جوابهما لوماً وتأنيباً لاعمال الحكومة معهما وبعثا في قلوبهما اليأس أولاً بحكمها عليهما ذلك الحكم الجائر وتخريبها بيت الأول .

وعندما نقلت الردود الى توليه رأى بغير صفة رسمية ـ على حد قوله ـ ان يخلد المحكمون الى السكينة « وفي سكينتهم قد تجدي شفاعة الشافعين باستصدار العفو عنهم »[٣١] .

مهما يكن ان الحملة الفرنسية حققت أغراضها بإجبار العامليين على التعامل معها وان كانوا مكرهين . وبالتالي جعلت الأكثرية منهم تنفر من تصرفات العصابات لفرضها الخوات ولأنها راحت تتابع المعركة بدون أفق سياسي بقدر ما أصبح ردة فعل على قرارات السلطات الفرنسية تجاههم .

لهذا أخذ نجم العصابات يأفل بمقابل تعاظم شأن بعض الأعيان في جبل عامل الذين جاهروا بقوة بتبني الطروحات السياسية الفرنسية على حساب الطرح الوحدوي .

لا يمكن تحميل العصابات العاملية وحدها مسؤولية انحسار التيار الوحدوي بقدر ما كان من حصيلة سياسة التلون التي نهجها الملك فيصل وأركانه في دمشق مما سهل نجاح المشاريع الفرنسية . إن الملك فيصل بعد عودته من باريس أصبح ميالاً للتفاهم مع الفرنسيين بعدما نصحه الانكليز بذلك وقد اتفق معهم سراً . حينئذٍ استغل الفرنسيون حالة الارباك الداخلي عند القوى الوحدوية في بلاد سوريا حتى راحوا يشددون من قبضتهم على القوى المتصلبة في مواقفها . هؤلاء دفعوا الثمن غالياً في معركة ميسلون التي

---

٣١ ـ د. محمد بسام : مصدر مذكور ص ١٥٩ .

خاضوها وعلى رأسهم وزير الدفاع السوري يوسف العظمة ، شكلت معركة ميسلون الحد الفاصل والنهائي لحالة العجز الفرنسية في مواجهة معارضي سياستها الاستعمارية فضلاً عن أنها قضت على آخر أمل بإعادة توحيد سوريا الطبيعية وإن كان هذا الشعار بقي لفترة طويلة يتقدم كل الشعارات .

الفصل الرابع

موقف العامليين من دولة لبنان الكبير ودستوره

سبق إعلان دولة لبنان الكبير عدة عوامل ساهمت في ولادته منها فرنسية وأخرى محلية . حينئذٍ ، لم يكن جبل عامل بمعزل عن مجرى الأحداث حوله بل كانت العوامل المتداخلة لها تأثيراً كبيراً في تحديد مصيره كما رسمها المحتل الفرنسي .

تمثل العامل المحلي بنشاط فريق كبير وبالأخص الطائفة المارونية التي كانت على ارتهان بفرنسا اقتصادياً وسياسياً وثقافياً من خلال علاقة تمتد بجذورها الى عهد الامتيازات . وضع هذا الفريق كل إمكانياته في الداخل وفي الاغتراب في تصرف السلطات الفرنسية في بلاد الشرق من أجل إنشاء كيان تكون فيه كل مقومات الوطن .

بالمقابل ، كان الفريق الوحدوي العروبي لا يملك التماسك القوي بين صفوفه لمواجهة المخططات الفرنسية بل كانت قيادته الاقطاعية تنطلق من مصالحها الاقتصادية وهاجس استمرار سيطرتها على مجتمعها . هذا ما أدركته سلطات الانتداب الفرنسي في مسعاها لإقتناص بعض القيادات الى جانبها . في هذا السياق من الصراع بين التيار الوحدوي والاستعمار الفرنسي ، كانت القيادات العاملية مرتبطة بمواقفها الى حد كبير بموقف القيادات الوطنية في دمشق فضلاً عن أن توقيت ضم جبل عامل الى لبنان

الكبير جرى في وقت كانت قياداته تسعى جاهدة لإعادة ترتيب عودة زعمائها المنفيين وعلى رأسهم كامل الأسعد وبالتالي رفع حالة التعسف الفرنسية عن جبلهم ، وهذا ما يتطلب تخفيف المعارضة للوجود الفرنسي في مناطقهم .

أما على صعيد المخططات الفرنسية في بلاد الشام فكانت منطلقة من تطلعات الرأسماليين الفرنسيين لتأمين أسواق لمنتوجاتهم واستثمار المواد الأولية في المستعمرات . فقد وجد الفرنسيون في جبل لبنان والطائفة المارونية فيه مرتكزاً أساسياً لنشاطاتهم على صعيد الشرق . في ٦ آب ١٩٢٠ ، أرسل الرئيس الفرنسي ميللران الى المفوض السامي في بيروت ببرقية سرية موسعة تحمل عنوان « مخطط لتنظيم الانتداب الفرنسي في سوريا » يحذر فيه من ضم لبنان الى الاتحاد السوري التي تطالب به الأكثرية الاسلامية لما في ذلك من إضرار لمصالح فرنسا . « ومن هنا تبقى لنا مصلحة في « فرنسة » السكان المسيحيين بأكبر قدر وتحويلهم نحو الخارج » ويتابع ميللران « من أن هناك شرط أساسي لتكوين لبنان الكبير بإلحاق البقاع وجبال عكار (أي شمالي السلسلة الجبلية حيث أكثر سكانها من المسيحيين) حتى النهر الكبير عازلين بذلك طرابلس المركز السني . ويبدو أنه من الصعب أن لا ندمج بلبنان ـ وذلك بالرغم من اعتراضات الموارنة ـ سنجق صيدا ، أي المسلمين المتاولة الشيعة سكان بلاد صور وصيدا الذين لا يمكن أن نتركهم معزولين بين لبنان وبين المستعمرات الصهيونية التي تجتاح شمالي فلسطين . فأقل ما يمكن : أن يربط سنجق صيدا ، بلبنان بشكل فدرالي مع بعض الاستقلالية »[1] .

في ٣١ آب ١٩٢٠ ، أصدر الجنرال غورو قراراً بسلخ أقضية بيروت ، طرابلس ، بعلبك ، راشيا ، حاصبيا وجبل عامل عن سوريا لإلحاقها بجبل

---

١ ـ د. وجيه كوثراني : مصدر مذكور ص ٢١٩ ـ ٢٢٠ .

لبنان واعلان ولادة دولة لبنان الكبير . وبعد هذا التاريخ ، أخذ يعرف جبل عامل بلبنان الجنوبي ، مع الملاحظة أن قرار غورو لم يحدد تفصيلاً الحدود الجنوبية للبنان مع فلسطين بل خضع الأمر الى عدة اتفاقات قضمت بموجبها انكلترا الدولة المنتدبة على فلسطين ولصالح الحركة الصهيونية عدة قرى عاملية . فوفقاً لإتفاق سان ريمو ٢٠ نيسان ١٩٢٠ ، سُمي المندوبون الفرنسيون والانكليز لبدء المباحثات حول تفاصيل الحدود اللبنانية - الفلسطينية .

وفي ٢٩ تموز ، توصل المندوبون الى إتفاق مبدئي كرس منطقة الحولة ذات السهول الخصبة والمياه الوافرة منطقة تابعة لفلسطين . وقد أثار الاتفاق حفيظة سكان الحولة فبعث سكانها ببرقية الى الجنرال غورو يعبرون عن احتجاجهم لهذا الاجراء طالبين فيها ما يأتي : « بما أن علاقات الحولة بكاملها وتجارتها بالأخص مع جديدة مرجعيون ومع القنيطرة ترفض رفضاً باتاً بأن تكون تابعة لحكم اليهود ، بناءً على ذلك نطالب بإلحاح أن نكون تابعين الى المنطقة الفرنساوية وتحت حكم الدولة العلية ، فرنسا العظيمة ، فضلاً عن ذلك نسترحم بأن تكون الحولة مديرية تابعة لقضاء مرجعيون »[٢] .

إزاء سياسة التوسع البريطاني الصهيوني في أراضي جبل عامل وعلى حساب طرد سكانه ، راحت الاحتجاجات من كل الفئات العاملية واللبنانية ترفع البرقيات الى الجنرال غورو . وطالبت برقية اللجنة الادارية في لبنان الكبير من الحكومة الفرنسية الدفاع عن حدود لبنان الجنوبية كما رسمتها معاهدة سايكس بيكو . وبالفعل ، أعطيت الأوامر العسكرية للقوات الفرنسية لتحتل نقطة بالقرب من بحيرة الحولة وتحول دون سياسة

---

٢ - فايز الريس : القرى الجنوبية السبع مؤسسة الوفاء - بيروت ١٩٨٥ ص ٧١ - ٧٢ .

القضم الانكليزية الصهيونية . حصل ذلك في ظل حملة في صحافة الغرب تؤيد الطروحات الصهيونية حول المطالبة بنهر الليطاني ، حيث إدعت أن المسألة في جوهرها اقتصادية وليست سياسية . ومما كتبته جريدة التايمز « ليس المطلوب توسيع فلسطين حتى تشمل النهر وإنما الغرض الانتفاع من مائه بخزنه »[٣] .

مما تقدم ان الصراع الأساسي بين الفرنسيين والانكليز كان يتمحور حول مياه الليطاني وليس المحافظة على مصالح العامليين في تلك المنطقة . ولهذا مرت قضية وضع الحدود النهائية للبنان الكبير مع فلسطين بعدة إتفاقات . الأول في ٢٣ كانون الأول ١٩٢٠ وعدل بموجب اتفاق آخر في ٣ شباط ١٩٢٢ ثم حصل تعديل على التعديل بموجب اتفاق « حسن الجوار » في ٢٣ حزيران ١٩٢٣ ، وبموجب هذا الإتفاق فصلت ثلاث وعشرون قرية لبنانية من جبل عامل الى منطقة الانتداب البريطاني ولصالح الحركة الصهيونية . ويمكن إيعاز هذا الفصل للضغط الصهيوني بإعتبارهما مناطق استراتيجية للتحكم بمنطقة الجليل وكجسر مفتوح مع لبنان . وقد اعترف وايزمان في تصريح له لجزيدة جوش كرانكل ، عدد العشرين من تموز ١٩٣٧ ، بأنه رضي بالتنازل عن لواء النقب كله للانكليز مقابل الحصول على لواء الجليل عندما خير بين الاثنين ، وذلك لأهمية الجليل الاستراتيجية مع لبنان[٤] . بالتالي يمكن أن يكون التنازل الفرنسي عن هذه القرى نتيجة لتشكيلها بؤرة للعصابات المعادية لهم والتي ضربت أكثر من مرة بقنابل الطائرات والمدافع الفرنسية .

إذن ، كان الاعلان عن ولادة لبنان الكبير ليشكل مرتكزاً للطموحات

---

٣ ـ جريدة لسان الحال ، ٤ تشرين الثاني ١٩٢٠ .

٤ ـ أنيس صايغ : مصدر مذكور،ص ١٦٣ .

الفرنسية في الشرق على قاعدة جعلها تحت هيمنة مسيحية دون أن تصبح وطناً قومياً مسيحياً وذلك ما يخدم بشكل جيد المصالح الفرنسية بحيث تكون المناطق ذات الأكثرية الاسلامية والتي ضمت الى جبل لبنان منافذ يطل منها النفوذ الفرنسي على العالم العربي .

أتبع غورو قراره بولادة لبنان الكبير بإعلان مولد دويلات طائفية جديدة : دولة دمشق ، حلب ، حكومة العلويين ، حكومة جبل الدروز . إن التقسيم المذكور الذي فرضه الفرنسيون على بلاد المشرق والمتمثل في إقامة كيانات مذهبية متعددة فيها وتخضع للنفوذ الفرنسي ، وتقتبس أنظمة السياسة في الحكم وسائر قيمه الفكرية والحضارية ، وتخرج شيئاً فشيئاً أمراً واقعاً وقائماً آنذاك إلا أنه لم تتخذ صفة التشكيل الطبيعي والمستقر والنهائي لوجه هذه البلاد . وسيتضح من توالي الشواهد التاريخية في دراستنا أن أسس ذلك التقسيم عانى خللاً كبيراً وان سكان بلاد المشرق لم تجد فيه هويتها الحقيقية ، وانها تطمح الى تحقيق ذاتها ضمن تشكيل مشترك جديد يكون لجذورها الحضارية العربية وليس ملحقاً لحضارة الغرب .

مع توقيت إعلان ولادة لبنان الكبير ، كان هناك تلازم بين الشأن الوطني العام والشأن الداخلي المحلي في جبل عامل في مواجهة المشاريع الفرنسية القائمة على تقسيم سكان بلاد الشام طوائف وملل للتمويه من الشعور القومي المتنامي الذي يخشاه الاستعمار في حال نضوجه . في هذه المرحلة ، اتسمت المعارضة العاملية للبنان الكبير بالنضال السياسي والتخلي شبه النهائي عن النضال العسكري وتلك كانت السمة المميزة لمرحلة ما بعد معركة ميسلون ، ٢٠ تموز ١٩٢٠ ، بين الجيش السوري والجيش الفرنسي . وبعدها تمكن الانتداب الفرنسي ، ولأسباب متعددة أهمها فقدان التكافؤ في القوى بين العامليين والفرنسيين ، من توجيه ضربة قاسية للعصابات العاملية المناهضة لوجوده. لكن لم يستطع الفرنسيون أن يقضوا

على روحية الرفض عند العامليين الذين اغتنموا كل مناسبة للإنتفاضة ضدهم . في ٢٣ حزيران ١٩٢١ ، اشترك أدهم خنجر بمحاولة اغتيال الجنرال غورو وهو في طريقه من دمشق لحضور مأدبة الفاعور فقتل مرافقه واخترق الرصاص بذة الجنرال ولم يصب بأذى . وقد ألقي القبض على أدهم خنجر أثناء عروجه الى بلدة سلطان باشا الأطرش وهو في طريقه الى الأردن .

رغم اعتراض الأطرش على اعتقال أدهم خنجر لم تأبه المفوضية الفرنسية لذلك بل أعدمته في بيروت بتهم مختلفة وكان مكتب الاستخبارات الفرنسي في بيروت قد ربط بين حادث الاغتيال ومحاولات الأمير عبد الله المؤ وبة في شرق الأردن بهدف إنشاء سوريا الكبرى . وقد إستغل الأمير عبد الله وجود اللاجئين السياسيين من سوريا ولبنان في بلده ، بعد معركة ميسلون ، بغية استخدامهم في إحداث فوضى وقلاقل ضد الوجود الفرنسي في المشرق . في الحقيقة لا يمكن إغفال دور بريطانيا في ذلك وهي الممول والحامي للأمير عبد الله في شرقي الأردن . ويستند رئيس مكتب المعلومات الفرنسي في إتهامه بما يلي : « إن القائد الانكليزي السير هربرت صموئيل وأثناء زيارته لبيروت في شهر أيار طلب مني إذا كان بالمستطاع أن ينقل تمنيات الى الأمير عبد الله « شرقي الأردن » بزيارة دمشق . ولم يكن مني إلا رفضت العرض باستقباله . ومن هذا الجواب السلبي ما دفع عبد الله للقيام بمحاولة الاغتيال في ٢٣ حزيران »[٥] .

في الواقع لم يكن الرفض العاملي لإفرازات لبنان الكبير من مؤسسات وغيرها من موقع طائفي بقدر ما هو واقع « فقدان المساواة في الوطن وتغييب للهوية القومية . إتخذ الرفض العاملي غير العسكري أشكالاً متعددة من

---

٥ - M.A.E.F.: Serie 36 (Syrie- Liban) 23 Juin 1919 p. 131- 132- Paris.

العرائض الى البرقيات في الصحف المحلية والعالمية وبالتنسيق مع الفئات الاسلامية والوطنية في سوريا ولبنان . وبات من النادر أن يخلو عدد من مجلة العرفان شبه الناطقة باسم جبل عامل من الشكوى في هضم حقوق العامليين على كل الأصعدة .

جاء في عدد نيسان ١٩٢١ « نحن نعتقد أن الأمة التي تنغمس في حب الوظائف وتتكالب على المأموريات تكالب الجياع على القصاع لا تدرك منزلة سامية في الهيئة الاجتماعية ولا تتقدم في الثروة والأخلاق والعلم . . . دعانا الى نفث هذه الكلمة ما شاهدناه هذه الآونة من حرمان للشيعة في لواء لبنان الجنوبي (صيدا) من الوظائف وهم الأكثرية الساحقة حتى خلت منهم أكثر الدوائر وخاصة المحاكم . . . وان قالوا لا يوجد أكفاء فنقول لهم متى فتحتم باب الامتحان ليكرم المرء أو يهان »[٦] .

أما في عدد حزيران من نفس العام ورد في المجلة « حقوق الشيعة المهضومة » . « إنه لا يوجد موظفون من هذه الطائفة أكثر من عشرين موظفاً في جبل عامل على كثرة الموظفين وتزاحم المأمورين » . وبعدها تطرح « العرفان » حلاً للخلاص من هذا الواقع الانقسامي الوطني والطائفي « بأن الوحدة السورية انجع دواء لادوائنا ، وأفضل واسطة تجمع قلوبنا ، ولا يستحسن ضم لبنان الكبير لهذه الوحدة فقط بل حبذ ضم فلسطين وما وراء الأردن وما ذلك بعزيز لو صحت العزائم . . »[٧] .

عام ١٩٢٣ نشرت كبريات الصحف الفرنسية برقية مرفوعة الى المسؤولين الفرنسيين بتوقيع صاحب جريدة العرفان أحمد عارف الزين ، مصطفى العريس ، عبد الحميد كرامي ومحمد حيدر جاء فيها « بمناسبة

---

٦ ـ مجلة العرفان مجلد ٦ جزء ٥ و٦ نيسان ١٩٢١ ص ٢٩٣ .

٧ ـ نفس المصدر مجلد ٦ جزء ٨ حزيران ١٩٢١ ، ص ٤٠٥ .

إعلان دولة لبنان الكبير الموقعين أدناه يعلنون عن رغبتهم بأن يكونوا منفصلين ، رغبة عبرت عنها أكثر من مرة الأكثرية الشعبية للمناطق الذين الحقوا ضد رغباتهم ، وطالبوا بحقهم بأن يستشاروا في تقرير مصيرهم وللتعبير عن إرادتهم بالعمل كجزء من الوحدة السورية »[٨] .

أكدت رابطة الدفاع عن حقوق الانسان في فرنسا واقع فقدان المساواة في لبنان الكبير وذلك في رسالة رفعتها الى وزارة الخارجية الفرنسية تلفت انتباه المسؤولين فيها للضرر الذي لحق بفريق كبير من اللبنانيين بعد إعلان لبنان الكبير ، وتضمنت :

« سيدي الوزير

نتشرف بلفت انتباهكم السامي على النتائج السيئة من جراء الضم للبنان المسيحي أرض اسلامية حيث ان المواطنين يرفضون السيطرة المارونية . دولة لبنان الكبير هي ولادة اصطناعية من قبل الجنرال غورو الذي خرق فيها أبسط مبادىء حقوق الشعوب بتقرير مصيرها . لا يستطيع لبنان المسلم ولا يريد الخضوع للسياسة الطائفية للبنان الصغير »[٩] .

في الفترة التي أعقبت ولادة لبنان الكبير شهد جبل عامل تغييراً في مواقف بعض قادته لجهة الانخراط في التركيبة الطائفية للنظام اللبناني الى جانب بعض قادة الطوائف الاسلامية الأخرى . فقد استهوى هؤلاء القادة الترغيب الذي قدمه لهم الفرنسيون من الابقاء على تسلطهم في مناطقهم كما في السابق عبر مشاركتهم في كل السلطات وحصر منافع الدولة بهم وأعوانهم وذلك ما يعزز سيطرتهم على سكان جبل عامل . وكان من الطبيعي أن ينضوي بعض قادة المسلمين في لبنان ومنهم العامليين تحت مظلة

---

٨ ـ M.A.E.F.: (Liban- Syrie) N° 262 le 19 septembre 1923- p. 112- Paris

٩ ـ نفس المصدر ص رقم ٢٦٤ ص ٧٨ .

الفرنسيين لأنهم لا يمتلكون أفقاً لمقاومة الوجود الفرنسي وبالتالي كانوا عاجزين عن تطوير هذه المقاومة لأن مصلحتهم لا تلتقي في النهاية ومصلحة الفئات الدنيا التي تقوم على أكتافها حرب العصابات التي أعلنت مع دخول الفرنسيين جبل عامل .

كان يوسف الزين في طليعة من تقبل من جبل عامل الانخراط في مؤسسات لبنان الكبير وبالتالي على حث أعداد من العاملين لتأييد الوجود الفرنسي وإفرازاته . وكما وجد كامل الأسعد في منفاه أن الأمور في سوريا ولبنان تشير الى انخراط بعض القوى المحلية في البلدين والمعارضة للفرنسيين في مؤسسات الانتداب حتى بعث برسالة مطولة الى الجنرال غورو يعبر فيها عن رغبته في التعاون معهم نافياً كل التهم التي ألصقت به من مقاومة الوجود الفرنسي والاعتداء على المسيحيين(١٠) .

من خلال هؤلاء القادة أخذت البورجوازية المارونية ركيزة الكيان اللبناني ، تلتف على حملة الرفض للقاعدة الشعبية ضد هذا الكيان ، لكن في الواقع لم تكن الطريق معبدة للبلوغ للغاية بسهولة لأن غلبة امتياز طائفة على حساب طوائف أخرى وتنمية منطقة على حساب مناطق أخرى أبقى كل الاحتمالات واردة على صعيد توقيت الانتفاضة في كل مناسبة ضد الانتداب الفرنسي ، وعمق من الشرخ القائم بين القادة والقاعدة التي بقيت على ولائها للوحدة السورية .

كان لتنامي دور بعض القيادات العاملية التي تعاملت مع الفرنسيين أن أبقت جبل عامل بمنأى عن الصراع بين الفرنسيين والثورة السورية عام ١٩٢٥ . يضاف أن قادة الثورة لم يكونوا في وارد انتقال الثورة الى جبل عامل لتجنب نشوب نزعات طائفية كما حصل إبان الدخول الفرنسي لهذا

---

١٠ ـ جريدة الأرز ٢٧ و٢٨ و٢٩ نيسان ١٩٢١ .

الجبل . ومع هذا أقحمت المفوضية الفرنسية فريقا من المسيحيين في الصراع الدائر مع الثوار بهدف تحويل جوهر الصراع الوطني الى صراع محلي طائفي . فعند نشوب الثورة نظمت المفوضية الفرنسية حملة لدى السكان المحليين في لبنان لاعداد متطوعين والتجمع في جديدة مرجعيون بقصد خلق جيش للموارنة لمقاومة الحركة الوطنية الاستقلالية وذلك بحجة الدفاع عن حدود لبنان ، وقد توافد المتطوعون من مختلف المناطق الى مرجعيون بقيادة بطرس كرم . وفي ليلة ١٥ تشرين الثاني ١٩٢٥ هاجم هؤلاء المتطوعون قرية برغز بقصد احتلالها لكن فشل هجومهم ، وحسب جريدة البشير قتل في هذا اليوم ستة من المتطوعين من المية ومية[١١] .

ما ان تواترت الاشاعات والتوقعات عن احتمال امتداد الثورة السورية الى جبل عامل ، وانطلاقاً من عِبَر الماضي ، توجه محمود الأسعد بدعوة الى مختاري ووجوه القرى العاملية المسيحية والشيعية في بلاد بشارة الجنوبية (من قضائي صور ومرجعيون) لاجتماع عقد في دار الحاج محمد سعيد بزي في بنت جبيل في ٤ تشرين الثاني ١٩٢٥ .

وقد حض محمد سعيد بزي على الوئام والوفاق والدفاع عن البلاد خاصة من أبناء الطائفة المسيحية ، وقد شكر المسيحيون في الاجتماع الأكارم ، من أبناء الطائفة الشيعية على هذه العواطف النبيلة الشريفة[١٢] .

وعندما اقتربت المعارك بين الثوار والفرنسيين الى جبل عامل انتقلت أعداد كبيرة من المسيحيين الى القرى والمدن الشيعية حيث كانوا موضع ترحيب . وقد نقل الدكتور أسعد رحال مطبعة « الترقي » من جديدة مرجعيون الى النبطية وأعاد اصدار جريدته « المرج » واستمر الشيخ سليمان

---

١١ - جريدة البشير ١ أيار ١٩٢٦ .

١٢ - د. محمد بسام ، مصدر مذكور ص ٢٣٣ .

لماهر في الكتابة فيها ، بينما تولت جريدة البشير على غير عادتها نشر رسائل لشكر من رجال الدين المسيحيين الى القيادات العاملية لموقفها في حماية لمدنيين المسيحيين .

في ١٥ كانون الأول ١٩٢٥ كتب الأب أغناطيوس الحدثوني مرسل لبطريرك الماروني في جريدة البشير ما يلي :

« أشكر على صفحات جريدتكم الغراء بلساني ولسان عموم منكوبي رجعيون وكوكبا ما أظهره أخواننا الشيعيون في النبطية من حسن المعاملة لنصارى الهاربين من وجه العصابات . . فقد فتحوا لهم قلوبهم ومنازلهم لعامرة وأحلوهم على الرحب والسعة . . .

ما اصطنعه الشيعيون الى النصارى في الجنوب وغيرها سيبقى خالداً منقوشاً على صفحات الصدور ما بقي لبنان وبقيت النصارى فيه . وإن تلك لمآثر الجليلة يجب أن يسطرها التاريخ بماء الذهب .

فليحيى لبنان وليحيى الاتحاد اللبناني وليحيى الشيعيون »[١٣] .

في ١٠ نيسان ١٩٢٦ بعث الارشمنديت أثناسيوس صائغ برسالة شكر لى يوسف الزين عبر جريدة البشير لموقفه المساند للمسيحيين لعامليين[١٤] . في الوقت الذي استعد فيه المفوض السامي الفرنسي لمواجهة الشورة في جبل العرب وامتداداتها في لبنان ، عمد الى ترتيب لأوضاع في لبنان الكبير عبر وضع دستور له يكرس النظام السياسي لطائفي فيه . عندها ، تحركت بعض القوى الشيعية في جبل عامل لتشكيل مجلس ملي لهم على غرار الطوائف الأخرى . عام ١٩٢٥ ، عقد في مدينة

---

١٣ ـ جريدة البشير ١٥ كانون الأول ١٩٢٥ .

١٤ ـ نفس المصدر ١٠ نيسان ١٩٢٦ .

النبطية اجتماع بدار آل الفضل وبدعوة من محمود الأسعد ومحمد الفضل ضم فريق من علماء وأعيان وأدباء جبل عامل . وقد تقرر فيه الاحتفاظ بالحالة الحاضرة والاجتماع على تأليف القلوب وايفاد وفد للإتصال بالمفوض السامي وانتخاب لجنة لوضع قانون للمجلس الطائفي(١٥) . في ٢٧ كانون الثاني ١٩٢٦ ، صدر قرار رقم ٣٥٠٣ عن المفوض السامي الفرنسي بالاعتراف للمرة الأولى بخضوع الشيعة في أحوالهم الشخصية للتشريع الجعفري . جاء هذا القرار وفي ظرف الثورة السورية ليدلل على سياسة فرنسية قديمة في التعاطي ومسألة بلاد الشام على أسس مذهبية وليس خدمة للشيعة .

أما بالنسبة للإجابة على الأسئلة التي بعثت بها اللجنة المكلفة بوضع دستور لبنان من قبل المفوض السامي فقد رفض الاجابة عليها وجهاء صيدا وفي مقدمتهم الشيخ أحمد عارف الزين . بالمقابل ، رفعوا عريضة الى السلطات المختصة ضمنوها طلباتهم بشأن الالتحاق بالوحدة السورية على أساس اللامركزية ورفض الكيان اللبناني ودستوره .

من الجانب الشيعي جاء الرد من يوسف الزين والسيد محسن الأمين . فقد طالب الأول بحاكم فرنسي للبنان ومساهمة الدويلات السورية بنفقات الانتداب وبوجوب كون المفوض السامي حكماً بين هذه الدويلات(١٦) . أما الثاني فطالب بحاكم فرنسي منتخباً أو معيناً يكون الحاكم والوزراء مسؤولون أمام مجلس تمثيلي وكذلك بلجنة تدير المصالح المشتركة بين الدويلات تحت تحكيم المفوض السامي الذي يكون له سلطات المراقبة والمداخلة(١٧) . أعقب ذلك رفع مضبطة الى المفوض السامي بتوقيع بعض

---

١٥ ـ مجلة العرفان مجلد ١١ جزء ٤ كانون الأول ١٩٢٥ ص ٤٤٧ .

١٦ ـ د. محمد بسام مصدر مذكور ص ٢٨٢ .

١٧ ـ نفس المصدر ص ٢٨٣ .

القيادات الشيعية وفريق من الأهالي لا تلحظ الوحدة مع سوريا بل تضمنت : « نحن أهل جبل عامل ، منذ إلحاقنا بلبنان الصغير ما زلنا الغرم علينا والغنم له ندفع الضرائب ولا ينفق علينا سوى القليل حتى نرى حقنا مهضوماً معه فلا نعطى من الوظائف ما نستحقه ومعلوم أن هذا الاستئثار شديد على النفوس جداً لذلك نطلب من عميد الدولة المنتدبة المسيو دي جوفينيل تحقيق آمالنا الراسخة في نفوسنا وهي : فصلنا عن لبنان بإنشاء إدارة مستقلة تحت إشراف الدولة المنتدبة وأن آمالنا وطيدة بعدل المفوض السامي وإنصافه أن يجيب مطالبنا هذا الذي هو حق وعدل » التواقيع : أحمد رضا ، محمد التامر ، راشد عسيران ، حسين الدرويش ، النائب نجيب عسيران ، النائب السابق فضل الفضل ، علي جابر ، سليمان مروة ، علي العبد الله ، خنجر عبد الله ، إسماعيل خليل ، محمد جابر ، عبد الحسين محمود الأمين ، السيد علي بدر الدين ، أحمد الحاج ، سعيد صباح ويلي ذلك مئات التواقيع من سائر اتحاد جبل عامل(١٨) .

إن ما حصل من تحولات في جبل عامل يلفت الانتباه وخاصة في المضبطة لأن أكثرية الموقعين من أنصار الوحدة السورية في السابق وقد شاركوا في عدة مؤتمرات لاحقة لهذه الغاية الوحدوية . وعارض كل في حقله الاعتراف أو التعامل مع الانتداب الفرنسي . لكن من المعتقد أن أغلبية الموقعين كانوا تحت تأثير أحداث اعتبروها مغايرة لرغباتهم وقد استغلها بعض المرتبطين منهم بالانتداب وهم نواباً في دولة لبنان الكبير أو طامحين الى مراكز عليا وقد جروا البعض للتوقيع على المضبطة . وفي هذا السياق يمكن إدراج الملاحظات التالية لدوافع الموقعين :

أولاً : مضمون الاتفاق الذي توصل اليه المفوض السامي الفرنسي

١٨ ـ أمين السعيد ، مصدر مذكور ص ٤١٥ جزء ثالث .

ورئيس حكومة سوريا آنذاك الدامادا أحمد نامي والذي ورد في أحد بنوده إعطاء الحق لسوريا في الحصول على مرفأ بحري وضم طرابلس مع عكار على طول خط سكة الحديد الى بعلبك . عندها تتصل طرابلس بدمشق مباشرة دون أن تمر بأراضٍ لبنانية . وكان بعض زعماء الطائفة المارونية وفي مقدمتهم البطريرك عريضة واميل اده على علم بما جرى وقد تعهد الأخير بإقناع أبناء طائفته بالموافقة على إعطاء طرابلس لسوريا . كان يعني ذلك بقاء جبل عامل ضمن الكيان اللبناني الذي سيصبح في حال وضع الاتفاق المذكور موضع التنفيذ شبه كيان مسيحي مما يزيد من حالة الحرمان عند العامليين واستفرادهم خاصة وان الدعوة الى وطن قومي مسيحي وجدت أنصار يدعون لها رداً على مطالب الثورة السورية الوحدوية . وتزعم الدعاة جورج سمنة ، صاحب مجلة « مراسلات الشرق » في باريس الذي كتب مقالاً عام ١٩٢٦ جاء فيه : « . . . إن عدداً كبيراً من الذين ناضلوا في سبيل ولادة لبنان الكبير والذين ساندوا في إعلان الدستور اللبناني هم الآن في باريس يكثفون جهودهم واتصالاتهم مع حكومتها مطالبين مجدداً بإعادة حدود لبنان الصغير وإعلانِ وطن قومي للمسيحيين يتمتع بإستقلال كامل عن سوريا . . . »(١٩) .

ثانياً : إنعقاد مؤتمر الآثار الدولي في سوريا وفلسطين في نيسان ١٩٢٦ تحت عنوان (الفرس في لبنان وأصل المتاولة) حيث تمحورت النقاشات بين ثلاث أطرَوحات :(٢٠)

أ ـ فريق يرجع أصل الشيعة الى الفرس وقد نقلهم الخليفة معاوية الى

---

١٩ ـ Georges Samné: Revue Correspondance d'orient N° 343 septembre 1926 p. 100.

٢٠ ـ P.H. Lœmmens: Les perses du Liban et l'origine des Metoualis. imp. catholique Beyrouth 1929.

ماحل السوري للدفاع عنه ضد غزوات البحر البيزنطية .
جد فريق من المؤتمرين وجه شبه كبير بين الشيعة والأكراد ليثبت
ملهم الكردي وقد جاؤوا من على حدود فارس على اثر النزوح الكبير
.ي حصل على الأرجح في القرن الثالث عشر .

ى فريق آخر بالأصل العربي للشيعة إنتمائهم الى قبيلة عاملة في
يمن .

' ندخل في سياق هذا البحث بمناقشة رأي كل فريق ونتيجة المداولات
' المؤتمر بقدر ما نعلق أهمية على توقيت انعقاده وتلازمه مع المخططات
ية لإحداث تقسيمات جغرافية في المشرق العربي على مقدار حدود
الطوائف لإحداث إضطرابات فيما بينها لتصبح مطية بين أيديهم عبر
ار العملاء . وقد تعرض الشيخ أحمد رضا لموضوع التشكيك بعروبة
، سنة ١٩١٢ وفند مزاعم المشككين خاصة وأن الموضوع أثارته جريدة
بتاريخ ١٧ تشرين الأول ١٩٠٤ عندما كتبت عن وفاة عميد الأسرة
ية نعيم بك الحسن الفضل « ان الفقيد يتصل بنسبه بالسلطان صلاح
الأيوبي وقد صرف حياته في تحكيم الروابط بين طائفته الشيعية وسائر
ف المجاورة »(٢١)

ا جاء التشكيك بأصل الشيعة آنذاك الا لفصلهم عن قوميتهم العربية
نهم في دوامة الصراع المذهبي . فضلاً عن أن الاعتماد على بعض
ر التاريخية حول الانتماء القومي الفارسي للشيعة اللبنانيين توجب
خاصة إذا ما عرفنا أن هناك فترة طويلة من طمس لتاريخهم امتد من
معاوية الى ظهور الدولة الفاطمية . هذا شأن كل من في السلطة يحاول
من معارضيه بكل الوسائل من تحوير للإيجابيات وطمس للهوية .

جريدة البشير ١٧ تشرين الأول ١٩٠٤ .

ثالثاً : يرجح توقيع المضبطة العاملية المذكورة نكاية بالسياسة غير المسؤولة لبعض قادة سوريا ولبنان المناهضين للفرنسيين والتي وصفتهم مجلة العرفان بأنهم « لم يحسبوا لغيرهم حساب وليس ثمة رابطة متينة تربطهم بإخوانهم المنتشرين في أنحاء سوريا ساحلها وداخلها لأنهم يحسبون أنفسهم الكل في الكل وقد تركوا مجالاً واسعاً لكرد علي وأمثاله من المفرقين لتكون حجة للعلويين وللشيعيين في انفصالهم عن الوحدة السورية وعدم رغبتهم في الإلتحاق بها . وفي هذه السياسة الملتوية أصبح الناbهون من الشيعيين ضعفاء الحجة أمام خصومهم »[٢٢] .

وتابعت مجلة العرفان في كشف حقيقة الخلاف بين العامليين الشيعة وبعض الوطنيين السوريين فكتبت: « في محاولة لرأب كل صداع بين العرب ممكن أن يستغل من قبل الأجنبي قام فريق من المخلصين للقضية العربية بالإيعاز للعاملين في الحقل الوطني والاعلامي الى عدم التطرق ما من شأنه بث روح التفرقة بين الصف الواحد على أساس مذهبي . وبناءً عليه ، أغفلت مجلة العرفان بعض المباحث لشعراء الشيعة وغيرها . إلا أن فريقاً من الباحثين وعلى رأسهم محمد كرد علي أخذوا ينشرون مناقب الأمويين ويغمزون من الامام علي وأولاده حتى دفعت بعض كتاب جبل عامل وأكثرهم من العاملين في الحقل القومي الوحدوي للرد على هذه الفئة عن متابعة ذلك لأنها تسيء للعمل الوطني الوحدوي » .

وتستطرد العرفان : « وإليك نفثة هذا الكردي المردي الأخير فيما كتبه عن كتاب عصر المأمون الذي نال عليه مؤلفه لقب دكتور من الجامعة المصرية » . . « وما رأيت شهد الله في كتابك بجملته وتفصيله ، ما يصح أن تؤاخَذْ عليه الا تصويرك بعض أدوار الأمويين في صورة باهتة استندت

٢٢ ـ مجلة العرفان ، مجلد ١٥ جزء ٧ ، ١٩٢٨ ، ص ٧٢٣ .

في أخذ بعض خطوطها وأشكالها من مؤلفين متعصبين ، كاليعقوبي وابن الطقطقي والمسعودي والأصفهاني من لم تكد تسلم نفوسهم من الشعوبية وكان التشييع غالباً عليهم ، فكتبوا ما كتبوا مدفوعين بعوامل سياسية وجوزوا بث دعوتهم بأنواع من التحيل والتلفيف وإن من يسبّون الشيخين وابنتيهما الطاهرتين سباً قبيحاً يتعيدون الخالق بذلك وينعتون الخليفتين الأولين بصنمي قريش . وهما ما هما من المكانة المجمع عليها في الاسلام ، يغضون ولا يبالون من بني أمية ، وهناك الدماء المطلوبة والطوائل المتأصلة والملك المستأثر به والأهواء التي جعلوا من أركانها الإنحاء على كل من يشايعهم .

وإن من تجنوا بنشر نحلتهم والدافع اليها الدنيا لا الدين جنوا وأي جناية على الدين والدنيا ، ومن أشنع أعمال المنحرفين عن بني أمية وضع الأحاديث الملفقة على الرسول عليه الصلاة والسلام ومن خلقوا وقالوا على الدين وصاحبه ، كيف يجدون حرجاً في اختلاق الأكاذيب على الأمويين »[٢٣] .

في كل حال مهما يكن التبرير لتوقيع القادة الشيعة الوطنيين للمضبطة المذكورة فإن موقفهم ما هو إلا ردة فعل وينم عن تقصير في الرؤيا في فهم ضرورات المعركة في وجه المستعمر الفرنسي . ما حصل كان سحابة غيم عابرة في العلاقة بين المشتغلين في الحقل الوطني في جبل عامل ، وبين قادة الحركة الوطنية في سوريا. وما كتبته العرفان عام ١٩٢٦ الا الجواب على ذلك . فقد ردت على المثقفين من الانعزاليين اللبنانيين بمجد الفينقيين كأجداد وأباء لهم بالقول « اننا عرب قبل كل شيء وان لنا من تاريخنا ومن مدنيتنا ما يغنينا عن المباهاة بتاريخ الفينقيين ومدنيتهم »[٢٤] .

---

٢٣ ـ نفس المصدر مجلد ١٥ جزء ٧ ، ١٥ آذار ١٩٢٨ ص ٨١٤ ـ ٨١٥ .
٢٤ ـ نفس المصدر مجلد ١٢ جزء ٢ تشرين الأول ١٩٢٦ ص ٢٠١ .

كذلك جاء اشتراك عدد من قادة الشيعة العامليين ، ومنهم بعض الموقعين على المضبطة ، في مؤتمري دمشق والقدس تأييداً للوحدة السورية ودفعاً للخطر الصهيوني عن الأراضي المقدسة في فلسطين إلا تدليلاً على صدق الأكثرية العاملية لقضاياها القومية .

مؤتمر دمشق وأصداؤه في لبنان(٢٥)

في ٢٣ حزيران ١٩٢٨ انتقل زعماء جبل عامل الى دمشق ليشاركوا في مؤتمر دعا اليه رياض الصلح وضم انصار الوحدة السورية في بلاد العلويين والبلاد التي ضمت الى لبنان الصغير وذلك أثناء اجتماع الجمعية التأسيسية لوضع دستور لسورية .

انتخب المؤتمر الذي انعقد في منزل ياسين بك الجابي رئيساً له بالاجماع السيد عبد الحميد كرامي والسيد أحمد عارف الزين والدكتور ملحم فرزلي سكرتارين . وبعد المداولة وقع الجميع البيان التالي :

لما كانت القضية السورية قضية واحدة لا تقبل التجزئة والانقسام وكان السوريون أمة واحدة تربطهم جامعة القومية ولا تفرق بينهم الأديان والمذاهب .

ولما كانت بعض الظروف السياسية حالت دون اشتراك بعض أبناء هذه البلاد في الجمعية التأسيسية السورية التي تضع دستور هذا الوطن وتقرر مصيره النهائي فقد اتينا نحن أبناء البلاد المحرومة من هذا الحق الى دمشق عاصمة سوريا ومصدر الوطنية الحقة والمبادىء الصحيحة وعقدنا مؤتمر في يوم السبت الواقع في ٥ محرم ١٣٤٧ الموافق ٢٣ حزيران ١٩٢٨ خلال انعقاد الجمعية التأسيسية السورية وفي الوقت الذي يظهر فيه الشعب

---

٢٥ ـ نفس المصدر مجلد ٣٢ جزء ٥ ، نيسان ١٩٤٦ ص ٤٠١ ـ ٤٠٤ .

الافرنسي النبيل استعداده لايجاد صداقة دائمة مع بلادنا تقوم على أساس الاعتراف بحقنا الشرعي وبعد درس القضية من جميع وجوهها وانعام النظر في الأدوار التي مرت بها من ثماني سنين قررنا ما يلي :

أولاً : يؤيد المؤتمر ميثاق البلاد القومي ويطلب الى الجمعية التأسيسية وحدة البلاد السورية العامة بضم جبل الدروز والبلاد المسماة ببلاد العلويين والبلاد التي ضمت الى لبنان القديم الى سوريا وذلك بوضع مادة خاصة في صلب الدستور تنص على أن سوريا مؤلفة من البلاد المذكورة هي دولة واحدة مستقلة ذات سيادة وذات وحدة سياسية لا تتجزأ .

ثانياً : إرسال تحية خالصة الى الجمعية التأسيسية السورية وتأييد الكتلة الوطنية العاملة على تحقيق الميثاق القومي في داخل البلاد وخارجها ، وكل عامل مخلص لتحقيق هذا الميثاق وشكر الوفد السوري في أوروبا على ما بذله من الجهود في هذا السبيل .

ثالثاً : يبلغ هذا القرار الى رئيس الجمعية التأسيسية وبواسطة فخامة المفوض السامي الى وزارة الخارجية الفرنسية والى جمعية الأمم .

وبعد ذلك انتخب وفد لرفع البيان الى مراجعه مؤلف من السادة : عبد الحميد كرامي ، عمر بيهم ، عفيف الصلح ، عبد الله كنج ، الأمير فؤاد شهاب ، الدكتور ملحم فرزلي ، نجيب حيدر ، عبد الواحد هارون ، عبد الفتاح الشريف ، حسين أفندي محوف ومحمد بك عبد الرزاق .

تألف وفد صيدا وجبل عامل من : رياض الصلح ـ الشيخ أحمد رضا ـ أحمد عارف الزين ، محمود زنتوت ، الحاج اسماعيل خليل ، يوسف أبو ظهر ، توفيق الجوهري ، سامي زنتوت ، بديع الزين ، سعيد نجيب عسيران ، مراد غلمية ـ فؤاد الميداني ومحمد الحوماني .

وفد اللاذقية طرطوس وبانياس هم : عبد الواحد هارون ، عبد القادر

شريتح ، مجد الدين الأزهري ، الدكتور رضا ماميش ، المحامي صبحي الطويل ، محمد عبد الرزاق ، محمود الأحمر ، علي المحمد ومحمد نور الدين .

وفد وادي التيم : الأمير فؤاد شهاب .

وفد عكار : عثمان المحمد ـ عبد الفتاح الشريف ، حسين عطية .

وفد تل كلخ : عبد الله كنج ، عبد اللطيف كنج ، عبد الحميد الجاسم ، عبد الرزاق الرستم وعبد القادر الأحمد .

وفد البقاع : الدكتور ملحم الفرزلي ، مخايل فلفلة ، خليل ملوخ ، سمعان خزعل ، ابراهيم التيم ، قاسم الهيماني ، الدكتور أمين قزعون .

وفد بعلبك : عباس ياغي ، أديب الرفاعي ، نجيب حيدر ، لطفي حيدر ، محمد حسن شومان ، أديب قانصوه .

وفد بيروت : عمر بيهم ، عبد الرحمن بيهم ، أحمد الداعوق ، أنيس نجا ، بشير جبر ، عزت قريطم ، محمد خرما ، عبد الله الباقي ، علي ناصر الدين ، صلاح عثمان بيهم ، محمد الباقر ، عوني الكعكي .

وفد طرابلس : عبد الحميد كرامة ، الدكتور عبد اللطيف البيسار ، سعدي الملا ، الدكتور حسن رعد ، عارف حسن الرفاعي ، مصطفى عادل الهندي ، تيودوري حكيم وصبحي الملك .

وقد أرسل المؤتمر بعد وضع بيانه السياسي برقية الى المؤتمر الفلسطيني السابع المنعقد في دمشق يؤيده في جهاده لحرية فلسطين واستقلالها .

بالمقابل دعا رئيس الجمهورية اللبنانية الى اجتماع للنظر في القرار الذي اتخذه المجتمعون في دمشق « ووضع حد لهذه التي تكرر كثيراً » فيما أرسل من مصر بولس مسعد السكرتير العام للجمعية اللبنانية للمحافظة على لبنان بحدوده الطبيعية القائمة ببرقية « تستنكر ما قام به بعض النواب وسواهم لحرمان لبنان حقه في أقاليمه المعادة اليه سنة ١٩٢٠ » . في حين كتبت

لرج » عن صدى المؤتمر في جديدة مرجعيون « لما وصل خبر الجديدة اجتمع فريق من وجهائها في ندوة المجلس البلدي واتفقوا برقية الى نقابة الصحافة في بيروت : نشرت الصحف خبر تمثيل في مؤتمر الوحدة السورية ، تنفي صحة الخبر لا ممثل لنا قط ، ع منا هكذا طلب نرجو تعميم برقيتنا » . الموقعون : يعقوب كندر شديد ، دكتور جبارة ، حنا غلمية ، عبد الله حمزة ، علي اد بكار ، قيصر راشد . فضيل وهبه ، حبيب فرحة .

واعتبر أديب رحال صاحب جريدة « المرج » أن ما حصل في حمل وزره ساسة أوروبا خاصة وعليهم القيت تبعته بما سنوا للبلاد اع المختلفة من تقسيمها الى وحدات دولية وتوزيعها الى مناطق ذ الأجنبي المصطبغ بألوان الانتداب الغريب الشكل الحديث معاجم السياسة »[٢٦] .

: العاملية في مؤتمر القدس ١٩٣١

ج انعقاد مؤتمر القدس في إطار الصراع القائم آنذاك بين الشعوب ، التحرر والاستقلال والقوى الاستعمارية . كان إنعقاده يمثل نياً لا طائفياً ويتضح ذلك من خلال نتائجه ومن برقيات التأييد من ، الوطنيين المؤيدة له .

إنعقاد المؤتمر بمبادرة من المفتي الحاج أمين الحسين حيث التقى أكبر سلامي في القدس بين ٧ ـ ١٧ كانون الأول ١٩٣١ بهدف لفت ام الاسلامي الى خطر الاستيطان الصهيوني في فلسطين : شارك القيادات السياسية الاسلامية وكبار رجال الدين الاسلامي من ٢٢

ـة المرج ٣٠ حزيران ١٩٢٨ .

دولة تمثل جبل عامل برياض الصلح ، أحمد رضا ، والشاعر محمد علي الحوماني (ممثل العديد من الجاليات الاسلامية في افريقيا) والشيخ سليمان ظاهر. جاءت مشاركة العامليين نتيجة قناعة راسخة بأن الخطر الصهيوني لا يطال فلسطين فقط بل يمتد الى جبل عامل ، علماً بأن علاقات خاصة كانت تجمع بين دعاة الوطن القومي المسيحي في لبنان والحركة الصهيونية . وكان جبل عامل محوراً للمشاريع المشتركة بينهما . سنة ١٩٢٨ نشرت مجلة « لبنان » عن لقاء حصل بين رئيس الجمهورية اللبنانية شارل دباس ووفد من الحركة الصهيونية مؤلف من كرن هاسود ، ورابي بنسيون والدكتور هوفمن ، أعلن في نهاية اللقاء عن تعاطف الدباس مع مخططات الحركة الصهيونية[٢٧] . وقد واجه المؤتمر مصاعب كثيرة للحؤول دون نجاحه منها :[٢٨]

* دعوة بعض الفلسطينيين بقيادة عائلة النشاشيبي الى مؤتمر (الأمة الاسلامية) منافس للمؤتمر الذي دعا اليه الحاج أمين الحسيني .
* رفض حكومتي بغداد والقاهرة ، الدائرة في فلك بريطانيا ، الاشتراك رسمياً في المؤتمر ، لكن سمحت لبعض الزعماء المسلمين من البلدين بالاشتراك في المؤتمر بصفة شخصية .
* إعلان وزير الخارجية التركي رفض بلاده الاشتراك بالمؤتمر بعد التشاور مع لندن .

وقد وضعت أعمال المؤتمر في سبع مواضيع تقرر أن يكون لكل منها لجنة خاصة هي :

١ - لجنة الأماكن المقدسة والبراق الشريف (سمي عضواً فيها سليمان ظاهر) .

---

٢٧ - مجلة لبنان : ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٨ .

٢٨ - جريدة فلسطين ٩ كانون الأول ١٩٣١ القدس .

٢ ـ لجنة جامعة المسجد الأقصى .
٣ ـ لجنة سكة الحديد الحجازية .
٤ ـ لجنة المقترحات (سمي عضواً فيها الشيخ أحمد رضا) .
٥ ـ لجنة الدعوة والنشر سمي عضواً فيها (الشاعر محمد علي الحوماني) .
٦ ـ لجنة الدعاية والارشاد ..
٧ ـ لجنة القانون الأساسي .

في ختام المداولات التي استمرت عشرة أيام . تم الاتفاق على انتخاب لجنة تنفيذية وإصدار مقررات بشأن الأماكن المقدسة ، وهي :

أ ـ مقاطعة المصنوعات الصهيونية الفلسطينية في جميع الأقطار الإسلامية .

ب ـ تأسيس شركة زراعية كبرى في فلسطين يشترك فيها العالم الاسلامي ، تكون غايتها إنقاذ أراضي المسلمين في فلسطين والحيلولة دون تسربها وخروجها من حوزتهم .

ج ـ إعلان استنكار قرار لجنة البراق الدولية ، والاستمرار في الاحتجاجات ضد الهجرة الصهيونية وغيرها من المظالم ـ كالسماح ببيع الأراضي لليهود ، مع احتفاظ فلسطين بحق تقرير مصيرها بنفسها . كما شكر المؤتمرون نصارى شرق الأردن وفلسطين على عواطفهم التي أبدوها نحو المؤتمر ، وتوجيه تحية الى المؤتمر الأرثوذكسي المنعقد في يافا واعتبار قضية العرب الأرثوذكس جزء من القضية العربية الكبرى[٢٩] .

مع أهمية هذه القرارات تبقى غير ذي جدوى لأنها لم تسلك طريق التنفيذ لأن المشاركين وهم من مناطق شتى لا يملكون سلطة تنفيذية الى جانب أن أداة الاتصال الدائمة مفقودة بين المؤتمرين . لكن كشف الحشد الكبير

---

٢٩ ـ مقررات المؤتمر الاسلامي العام في دورته الأولى ١٩٣١ ـ مطبعة دار الأيتام الاسلامية الصناعية بالقدس ص (١ ـ ٧) .

ومن كل أنحاء العالم الاسلامي في المؤتمر عن حالة استنهاض جماهيرية معادية للإستعمار ويمكن توظيفها في أي مشروع وطني عام .

كان لمشاركة العامليين وقع مهم على المهتمين بإنجاح المؤتمر ذلك ما إتضح في الرسالة التي بعثها شكيب أرسلان من جنيف الى الشيخ سليمان ظاهر وجاء فيها : « بهذه المناسبة أبثكم سروري بحضوركم أنتم والأخ الشيخ أحمد رضا أطال الله بقاءكما في مؤتمر الاسلام بالقدس وكذلك سرني جداً أن تكون أول صلاة أقيمت بجماعة المؤتمر بإمامة السيد الأكبر محمد الحسيني آل كاشف الغطاء كبير مجتهدي الشيعة . فإن هذا ما كنا دائماً نتمناه من الاتحاد بعد أن صار الاسلام الى ما صار اليه في هذه الأوقات »[٣٠] .

لم تكن المشاركة العاملية في مؤتمر القدس حالة فريدة في إظهار إيمانهم بالمحافظة على جبهة اسلامية معادية للإستعمار . فقد رفض سليمان ظاهر معالجة قضايا المسلمين في لبنان على أساس مذاهب عندما قال : « يحق للقادة السنة التكلم عن الشيعة لأنهم إخوتهم في الدين والوطنية والشدة » . جاء ذلك رداً على تصريح اميل إده الذي تناول نقطتين بهذا الخصوص :

١ ـ إن الشيعة لا يعترفون للسنيين بحق التكلم عنهم والمطالبة بحقوقهم وأنهم راضون عن مصيرهم بدليل أنه لم يسمع للشيعة صوت في الاحتجاجات .
٢ ـ إن الإدعاء بأن الاسلام وحدة لا تتجزأ هو مناورة سياسية ترمي الى إنشاء جبهة اسلامية موحدة في وجه الحكومة اللبنانية[٣١] .

٣٠ ـ مجلة العروبة جزء ١ شهر كانون الثاني ١٩٤٧ ص ٤٠ .
٣١ ـ جريدة القبس ٩ آذار ١٩٣٠ ، دمشق .

الفصل الخامس

المؤتمرات العاملية لطلب المساواة والوحدة عام ١٩٣٣

قبل التطرق للموقف العاملي في هذه الحقبة لا بد من معرفة سير الأحداث في سوريا التي انعكست وبشكل قوي على مجرى التطورات في جبل عامل .

في مطلع الثلاثينات ، أجبرت الجماهير السورية ، تساندها القوى الوطنية اللبنانية ، الانتداب الفرنسي للقبول بمطاليبها والرامية لإبدال الانتداب بمعاهدة بما يكفل وحدة البلاد السورية . وعندما شرع المفوض السامي الفرنسي بالتنفيذ ، أصدر يوم ١٩ تشرين الثاني ١٩٣١ قراراً ألغى به الحكومة المؤقتة في دمشق وعين سالوميك مندوباً لدى دولة سوريا وحدد مهمته بإدارة الانتخابات ، مما هو مخالف للقوانين والأنظمة . إذ لا يجوز عرفاً ولا قانوناً أن يتولى محتل إدارة انتخابات لمجلس مهمته الرئيسية عقد معاهدة تحدد العلاقات معه .

مع ذلك ، أصدر الوطنيون السوريون بياناً وقعه هاشم الاتاسي في ١٠ كانون الأول قبولهم الاشتراك في الانتخابات النيابية بلا قيد ولا شرط . ومنذ عام ١٩٣١ ، صارت بيانات الوطنيين السوريين تصدر بإسم الكتلة الوطنية وبتوقيع هاشم الأتاسي ، إلا أنهم لم يضعوا قانونهم الأساسي ونظامهم الداخلي ولم يعطوا أنفسهم إطاراً تنظيمياً إلا في الاجتماع الذي عقد في حمص في ٤ تشرين الثاني ١٩٣٢ .

لم يكن تسليم المفوضية الفرنسية المبدئي بالمطالب الوطنية للسوريين إلا محاولة لتهدئة النفوس على أمل الالتفاف عليها لاحقاً . يوم ٣ أيلول ١٩٣٢ ، اطلع الوطنيون السوريون على بيان ألقاه المفوض السامي الفرنسي أمام لجنة الانتداب الدائمة في جنيف حيث طرح المشروع الفرنسي الجديد لحل القضية السورية ويقوم على عقد معاهدة مع جمهورية المدن الأربع وحدها وإبقاء المقاطعات السورية الأخرى تحت الانتداب ريثما يتم تطويرها . ولا يخفى أن عقد معاهدة على هذا الأساس معناها إقراراً بتصرفات الفرنسيين التجزئية لبلاد الشام في حين لم يبرح الوطنيون فيها ، منذ سنة ١٩٢٠ ، يستنكرونها ويحتجون عليها .

جاء الرد الوطني السوري بعقد مؤتمر عام في حلب يوم ١٧ شباط ١٩٣٣ ، أعلنوا في ختامه « تمسكهم بحق البلاد في إنشاء الوحدة على أساس السيادة القومية . وكل معاهدة أو مفاوضة بعقد معاهدة أو تحالف مع فرنسا لا تكون قائمة على هذه الأسس غير جديرة بالقبول »[١] . أعقب ذلك حصول مساع للوصول الى إتفاق جديد لكنه فشل وكان لا بد من اتخاذ موقف حاسم بأن عقد الوطنيون السوريون اجتماعاً آخر في دمشق يوم ١٨ نيسان ١٩٣٣ أصدروا في ختامه بياناً بالانسحاب من الحكم والبرلمان ووقف سياسة التعاون مع الانتداب ، ثم اتجهت أنظارهم نحو ملك العراق فيصل لتوكيله للتوسط لحل القضية السورية حلاً يحقق آمال البلاد . وقد حملت وفود سورية اليه ١٨ مضبطة بهذا الخصوص وقعت دمشق ٩ منها ووقعت كل من بيروت وطرابلس وحماه وحمص وجبلة واللاذقية والنبطية وبعلبك مضبطة واحدة[٢] .

---

١ ـ تقرير اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني بمصر الى جمعية الأمم عن الحالة السياسية والاقتصادية في سوريا سنة ١٩٣٣ مطبعة الشباب مصر ص ٦ .

٢ ـ نفس المصدر ص ١٣ .

لم تأبه المفوضية الفرنسية لمطالب الوطنيين السوريين بل استمرت في سعيها الحثيث للإمعان في تجزئة بلاد المشرق . فقد اهتم المندوب السامي الفرنسي في بيروت « بجعل جبل عامل منطقة ذات استقلال إداري تكون مرتبطة بلبنان على مثال إرتباط سنجق اسكندرونة المستقل بسوريا »(٣) .

وبعدها ، راحت الصحف المؤيدة للفرنسيين تشير الى اهتمام الزعماء الشيعة بالأمر كبديل عن مطلب الوحدة استناداً الى اجتماعين شيعيين أحدهما عقد في صيدا والآخر في كفر رمان . فيما أبرزت جريدة البيرق مقررات اجتماع كفر رمان كما وردت من قبل المجتمعين ، راحت القبس تنشر مقالات للشيخ سليمان ظاهر ينفي عن الاجتماعين المذكورين ما روجت له الصحف المؤيدة للفرنسيين .

إجتماع كفر رمان : ٢٤ شباط ١٩٣٣(٤)

قبل الكلام عن قرارات هذا الاجتماع لا بد من الاشارة الى ما كتبته جريدة (البيرق) عنه كمقدمة لنشر المذكرة الصادرة عن المجتمعين وقد جاء فيها : « لا أخال أحداً في الجمهورية اللبنانية يجهل أن الطائفة الشيعية مهضومة الحق في هذه الجمهورية مع أنها تعد عشرين بالماية من النفوس وتدفع نحو أربعين بالماية من الضرائب وهي مع ذلك تطلب حقها فلا تجاب اليه على أن هذا لم يؤثر في سكونها ووداعتها بل كانت صابرة صبر الكرام حتى إذا رأت الأمر بلغ جداً لا يطاق ولا يحتمل ورأت من الحكومة تصاماً غريباً فهي لا تسمع لها نداء ولا تستجيب دعاء ، وعلمت أنها إن بقيت على هذه الحال ماتت موتاً أدبياً ، قامت مجموعة على المطالبة بحقوقها العادلة » .

في ٢٤ شباط ١٩٣٣ التقى في منزل يوسف الزين في كفررمان العلماء :

---

٣ ـ انظر الملحق رقم ٤ .

٤ ـ جريدة البيرق ٢٨ شباط ١٩٣٣ .

عبد الحسين نور الدين، عبد الكريم صادق ، حسين نور الدين ، عبد الحسين شرف الدين ، محسن الأمين الحسيني ، موسى عز الدين ، عبد الكريم الزين ، محمد أمين شمس الدين ، حسن الحسيني المواساني النجفي ، جواد كوثراني ، محمد الحر ، عبد الله الحر ، محمد علي قبلان ، أحمد رضا ، سليمان ظاهر ومحمد عز الدين وقد حضر جانباً من الاجتماع محافظ صيدا ومستشاري صور ومرجعيون الفرنسيين . بنهاية الاجتماع صدرت المذكرة التالية :

« نحن علماء الطائفة المسلمة الشيعية ورؤساؤها الروحيين اجتمعنا بدار يوسف بك الزين يوم الجمعة في ٢٩ شوال سنة ٣٥١ وفي ٢٤ شباط ١٩٣٣ وتقرر عرض مطاليب الطائفة على ولاة الأمور ملخصة بما يلي :

إنّا الى الآن لم نشعر ونحن نشكل عشرين بالماءة في هذه الجمهورية بالمساواة مع غيرنا منذ ألحقت بلادنا بلبنان القديم ـ أما الطرق فإنها شرايين الحياة الاقتصادية في البلاد والأمور الاقتصادية هي الركن الأول لحياة الشعوب ولكن طرقنا لا تزال وعرة ليس في جبل عامل منها سوى طريق صيدا ـ صور ـ البياضة وهي طريق خاص بساحل البحر بل هو الجادة الكبرى التي تصل صيدا بسوريا الجنوبية ـ وكلا الطريقين أنشىء في زمن الأتراك وقد فتح طريق أبي الأسود ـ جزين وطريق صور ـ بنت جبيل ولكن الأول مضى عليه بضع سنوات ولم يقدر له التمام ـ والثاني لا يزال تحت العمل في حين أن الأشغال العامة تنفق المال الكثير على فتح الطرق اللبنانية وتعبيدها وتزفيتها .

إن بلادنا تحتاج الى فتح أربع طرق كبرى أو خمس وأهل القرى الصغيرة يتكفلون بفتح فروع منها الى قراهم إذا ساعدتهم الأشغال العامة بالتحصيب والرص ـ وتحتاج إلى اصلاح الطرق الموجودة وتزفيت ما يمكن تزفيته منها وأقله في مداخل البلدان الكبرى كالنبطية وبنت جبيل ـ جديدة

مرجعيون حاصبيا فنطلب انجاز ذلك ووضعه موضع العمل .

وأما المعارف فإن الأمّية لا تزال على نسبة زائدة في العامة وأما الطبقة المتعلمة تعليماً ابتدائياً فإن أكثرها لا يزال متطلع الى التعليم الثانوي وفي جبل عامل مدارس ابتدائية ناهضة فنطلب :

أولاً : زيادة المدارس الابتدائية على الموجودة ، منها لا سيما في القرى البعيدة عن المدارس .

ثانياً : أن ينشأ في احدى المدارس الناهضة صفوف للتعليم الثانوي وأقله كما في مدرسة حوض الولاية في بيروت .

ثالثاً : يوجد عندنا مدارس ابتدائية أهلية فنطلب انعاشها وان لا تنسى عند توزيع المنح المدرسية للمدارس الأهلية كما نسيت قبل اليوم فإنا رأينا الحكومة في منحها المدارس الأهلية البالغة عشرين ألف ليرة نسيت هذه الطائفة فلم تعطها فلساً واحداً ورأيناها وضعت العراقيل في منح جماعة من الفضلاء تأليف شركة أنونيم لانشاء جريدة ومطبعة في النبطية فألقي طلبهم في زاوية الاهمال .

وأما في الضرائب فإن بلادنا لا تزال تدفع ضريبة الويركو مع ضمائمها أيام الحرب حتى جعلت القرش الواحد سبعة غروش ولا تزال ضريبة الاعشار يتفرد بها جبل عامل والبقاع وعكار دون مناطق الجمهورية ولا تزال رسوم التمليك متفاوتة بين منطقتنا ومناطق لبنان القديم تفاوتاً كلياً وانتظار إتمام أعمال المساحة تعليق على أمد طويل فنطلب ابتداء تخفيض رسوم الويركو التي وضعت أيام الحرب وإلغاء ضريبة الأعشار التي نراها ضريبة غير عادلة ـ ونطلب تخفيض رسوم الفراغ والانتقال إلى درجة تتساوى بها مع لبنان القديم وبالاجمال ، فإننا نطلب أن تعمل الحكومة منذ الآن في مساواتنا ببقية بلدان الجمهورية بالضرائب كلها دون استثناء .

وأما المأموريات ووظائف الدولة فإن الموظفين منا في دوائر الحكومة كل

دائرة بدائرتها وما هو موجود من الطائفة المسلمة الشيعية لم نأتِ بشيء تجهله الحكومة فنلفت نظرها الى ذلك ونرجو منها تحقيق أماني هذه الطائفة من هذه الجهة ونطلب أن تعطى طائفتنا حقها في ذلك كله .

أما حفظ الكرامة وهو أثمن شيء عند من عنده غيرة نفس فإننا رأينا الطوائف اللبنانية محفوظة الكرامة في أعيادها ومواسمها الدينية . ومع أن فخامة المفوض السامي زار شيخ عقل الطائفة الدرزية ، وان فخامة رئيس الجمهورية زاره وزار أيضاً رئيس التمييز الحنفي لم نراهما زارا رئيس التمييز الجعفري فنطلب أن تحفظ كرامتنا بمثل هذا وان تفسح الحكومة مجالاً لرئيس ديني روحي عام للطائفة تعرفها به وتعرفه بها » .

مؤتمر صيدا ١٩٣٣

هناك مقررات متناقضة نشرت في الصحف عن مؤتمر صيدا . فقد ظهرت أولاً في صحيفة « لا سيري » المؤيدة للفرنسيين حيث نسبت للشيعة تخليهم عن مطلب الوحدة السورية والتمسك بلبنان الكبير. جاء التكذيب لما ورد في جريدة « لاسيري » من على صفحات جريدة « القبس » عبر مقال لابن زين الدين العاملي « سليمان ظاهر » ينفي ذلك ويقول « مؤتمر صيدا كان ضد لبنان لا معه » .

في ٣ آذار ١٩٣٣ نشرت « لاسيري » مقررات مؤتمر صيدا تحت عنوان « ضد الوحدة السورية مطلب الطائفة الشيعية » وهي :

١ ـ تغتنم الطائفة الشيعية الاجتماع الذي عقد في صيدا في ٢٦ شباط لتظهر عبر ممثليها ارتباطها الوثيق وعمق صداقتها لفرنسا المنتدبة على لبنان وسوريا .

٢ ـ الشيعة هم لبنانيون حيث أن رغبتهم الأساسية هي دعم لبنان بحدوده القائمة .

٣ ـ يطالب الشيعة بحق المساواة كغيرهم من الطوائف الأخرى التي تكون الأمة اللبنانية(٥) .

في ٤ آذار كتبت « لاسيري » إن المؤتمر عقد في ٢٦ شباط وانها تلقت من رضا التامر رسالة ورد فيها ان ١٠٧ من أعيان ورجال الدين الشيعة قد التقوا في منزل النائب نجيب عسيران وبحضور النائب فضل الفضل ورضا التامر(٦) .

تلقفت الصحف اللبنانية المؤيدة للفرنسيين ما نشرته « لاسيري » . فكتبت لسان الحال أن أهل الشيعة في الجنوب وزعمائهم وأصحاب المكانة فيهم أعربوا تعلقهم الشديد بلبنان وقد برهنوا على ذلك بالأدلة المحسوسة في مقرراتهم التي اتخذوها على اختلاف نزعاتهم في مؤتمري صيدا وكفر رمان(٧) .

أما عن حقيقة مقررات مؤتمر صيدا كتبت القبس في ١٠ آذار سنة ١٩٣٣ تقول : « على اننا نترك الكلام عن هذه الاجتماعات لعالم جليل من علماء جبل عامل قد حضرها بنفسه واشترك في وضع صيغة المطالب ، وقد أرسل الينا مقاله هذا من النبطية عاصمة الشيعة فلتسمعه « لاسيري » و« لسان الحال » وليسمعه جميع الذين لم يخجلوا من القول بأن الشيعة ترفض الانضمام الى سوريا وهذا هو المقال : . . . اما ذلك الاجتماعان اجتماع صيدا الذي كان وليد اجتماع كفر رمان الذي اقتصر على دعوة العلماء الممثلين الحقيقيين لجبل عامل اليه والذي سبق اجتماع كفر رمان بيوم واحد . وكان مؤلفاً من فريق من العلماء وعدد كبير من الأعيان والوجهاء فإن كلا الاجتماعين لم تكن مقرراتها غير تذمر من غبن الطائفة ووضع

٥ ـ La Syrie 3 Mars 1933 Beyrouth

٦ ـ Idem 4 Mars 1933

٧ ـ لسان الحال ٢٨ آذار ١٩٣٣ .

لوائح في مطالبها الحقة وهي متشابهة كل التشابه . . . ولائحة مطاليب اجتماع صيدا فوّض بملاحقتها الزعيمان فضل بك الفضل ونجيب بك عسيران وفي كلتا اللائحتين (كفر رمان وصيدا) لم يجر ذكر قط للتمسك بلبنان كما أنه لم يكن ذينك الاجتماعان قد تعرضا للسياسة قط ولا بحثا في حديث الوحدة والتجزئة ولا في طلب استقلال جبل عامل .

وما كان توكيل الزعماء الثلاثة إلا مقتصراً على ملاحقة المطاليب التي تقررت في ذينك الاجتماعين وهي خلو من حديث التمسك بلبنان . . .

والحقيقة وأنا لعلى وقوف تام على مطاليب اجتماع صيدا ولم يكن فيها أثر لمزاعم « لاسيري » و« الاوريان » وان مطاليب اجتماع صيدا فهي ملخصة فيما يلي :

١ ـ إنتخاب أحد علماء الشيعة رئيساً دينياً .
٢ ـ شق الطرق في بلاد الجنوب أسوة ببقية المناطق .
٣ ـ المطالبة بحقوق الطائفة المهضومة .
٤ ـ الاهتمام بالحالة الاقتصادية والزراعية .
٥ ـ تنزيل ٥٦ في المائة من ضريبة الويركو المعروفة بضمائم الحرب والمساواة ببقية المناطق وإلغاء ضريبتي الأعشار والطرق .
٦ ـ تنزيل ضريبة تعداد الماعز الى عشرة والغنم الى ١٥ .
٧ ـ تعزيز المعارف في جميع القرى المحرومة من المدارس وتعيين معلمين دينيين »[٨] .

يتضح ان ما جاء في مقررات اجتماعي كفر رمان وصيدا قد شخص واقعاً لحالة الحرمان في جبل عامل على كل الأصعدة وأعطى البرهان على أن ثلاث عشر سنة انقضت على ضم جبل عامل الى لبنان الكبير لم ينل منها

---

٨ ـ القبس ١٠ آذار ١٩٣٣ .

سوى دفع الضرائب لخزينة الدولة ولا ينتفع منها ، وبالتالي ثبت بأنه لا تحول في مسلكية النظام اللبناني الطائفي في تغليب فئة على فئة أخرى وعلى تنمية منطقة على حساب مناطق أخرى . أما إذا نظرنا الى شعارات المرحلة آنذاك وخاصة مسألة الوحدة نرى تحولاً قد حصل عندما لم تلحظ مقررات الاجتماعين لهذه المسألة . لكن لا يمكن أن يساق اتهاماً في التراجع عن طلب الوحدة لكل المجتمعين مع أن بعض الذين حضروا الاجتماعين قد قطعوا شوطاً بعيداً في الارتباط بالانتداب الفرنسي والكيان اللبناني الطائفي . أما البعض الآخر فقد استمر يناضل وبمختلف الوسائل السلمية للتعبير عن تيار وطني كبير في داخل الطائفة الشيعية وقد تمثل ذلك بما كتبه ابن زين العاملي في « القبس » و« لسان الحال » وما ورد في مقررات مؤتمري الساحل في بيروت وشباب جبل عامل في دمشق عام ١٩٣٣ .

في ٢٦ شباط ١٩٣٣ نشرت « القبس » مقالاً لابن زين الدين العاملي يرد فيه على مطالبة البطريرك الماروني السلطات الفرنسية بالإبقاء على لبنان الكبير بحدوده القائمة في وقت فتحت المفاوضات بين السوريين والفرنسيين بهدف اعادة الوحدة بين المناطق السورية . ورد في المقال « اما تعليقنا على كلمة البطريرك فهي تتلخص في أمور : ـ الأول ـ ان جبل عامل ليس جزءاً من لبنان وان له كيانه الاقليمي الخاص . ـ الثاني ـ ان لبنان القديم المحدد بالبروتوكول الدولي لم يكن وطناً مسيحياً ولا كان متمحضاً للحكم الماروني لا في عهد الاقطاع ولا قبله ولا في العصر الاسلامي ولا قبله . ـ الثالث ـ انه كان جزءاً من سورية العامة ولم يكن مستقلاً عنها قط ـ الرابع ـ ان المسلمين في عهد الاحتلال لم يكونوا من طلاب الانتداب الافرنسي . . . .

وحسبنا أن المسلمين وخاصة الذين أرغموا إرغاماً على الالتحاق بلبنان الكبير كالأقضية الأربعة وطرابلس الشام وجبل عامل ما فتئوا منذ بدء الاحتلال الى اليوم يرسلون عند سنوح كل فرصة الاحتجاج تلو الاحتجاج

على ذلك الالتحاق وان تكبير لبنان بإدخال بلادهم فيه لم يكن يراعى فيه رضاهم ولا قاعدة الاستفتاء العادلة . . . »[9] .

في ٢٨ آذار ١٩٣٣ نشرت « لسان الحال » لابن زين الدين العاملي رداً على ما كتبته الصحيفة بشأن مواقف منسوبة لعامليين وجاء فيه « . . . انني عربي أولاً وسوري ثانياً وعاملي ثالثاً . . . ثم استطرد بتحدي لسان الحال « أن تنشر لائحة مؤتمر صيدا بما يحمله من توقيعات المؤتمر ليصرح اللبن عن الزبد ويتبين أنا على خطأ أو صواب فيما كتبناه وقد قلنا وما نزال نقول أن المؤتمرين ان انتدبوا ذلك المصدر لملاحقة مطالبهم الاصلاحية فإنهم لم ينتدبوه للتحدث عنهم وعن الطائفة كلها بما لم يجر لهم به حديث ولا سجلوه في لائحتهم »[10] .

خلال هذه الفترة التي شهدت محاولات لإحداث انقسام في المواقف داخل الطائفة الشيعية من جهة وبينها وبين الطوائف الاسلامية الأخرى عبر الاستفراد في الموقف بمعزل عنهم راحت تظهر ، في أكثر من مناسبة ، قوى عاملية فاعلة تعلن عن تعلقها بمطلب الوحدة بما يحقق التخلص من النير الأجنبي وإقامة المساواة بين المواطنين . ذلك ما اتضح في مؤتمر شباب جبل عامل ومؤتمر الساحل .

مؤتمر شباب جبل عامل[11]

في أعقاب تجاذب المواقف بين الكتلة الوطنية السورية والمفوضية الفرنسية بإبدال الانتداب بمعاهدة سارع الشباب العاملي للاعلان عن رأيه في

---

٩ ـ القبس ٢٦ شباط ١٩٣٣ .
١٠ ـ لسان الحال ٢٨ آذار ١٩٣٣ .
١١ ـ جريدة القلم الصريح ، ٦ تشرين الثاني ١٩٣٣ ، مرجعيون .

دعم مواقف الوطنيين السوريين من خلال مؤتمر انعقد في ت٢ ١٩٣٣ بدمشق . وقد افتتح المؤتمر السيد حسن الأمين قائلاً « ان هذا المؤتمر هو أول مؤتمر للشباب العاملي الذي سيأخذ على نفسه قيادة الحركة الوطنية في جبل عامل » . ثم تعاقب على الكلام كلا من محمد صفي الدين ومحمد علي رضا داعيين الشباب المخلص الى التضحية والمفاداة في سبيل القضية الوطنية ومعاهدين على العمل حتى النهاية من أجل حق البلاد ، وبعدها انتخب المجتمعون لرئاسة مؤتمرهم السيد حسن الأمين ولأمانة السر محمد علي رضا ومحمد صفي الدين .

بعد المداولة خرج المؤتمرون بالبيان التالي :

عقد شبان جبل عامل وطلابه مؤتمراً في دمشق للنظر فيما تواجهه البلاد من الأحداث الخطيرة وتحديد موقف جبل عامل فيها تحديداً يعرب عن أماني العامليين وآمالهم .

فبعد أن استعرض المؤتمرون الموقف الحاضر وحللوا المعاهدة الأخيرة التي طلع بها الافرنسيون على البلاد تحليلاً وتدقيقاً قرروا ما يأتي : يعلن المؤتمرون على رؤوس الاشهاد بأن جبل عامل لن يتحول عن مطلبه في الوحدة والاستقلال التامين وان كل حل لا يتضمن هذين الشرطين لا يمكن للأمة أن تقبله بوجه من الوجوه ولما كانت المعاهدة الأخيرة ليست إلا غلاً في عنق الشعب السوري العربي ، ولما كانت تبعد البلاد عن تحقيق وحدتها وسيادتها فلا يسعهم الا استنكارها وعدم الاعتراف بها .

رئيس المؤتمر حسن الأمين

٥٨ ـ عريضة مؤتمر أهل الساحل بالانضمام الى الوحدة السورية ، وتسليم الأوقاف الاسلامية تشرين الثاني ١٩٣٣[١٢] .

يا فخامة العميد

نحن الموقعين على هذه العريضة من سكان مدينة بيروت ومدينة طرابلس وملحقاتها ، ومدينتي صيدا وصور ، وجبل عامل وملحقاتها ، الممثلين لأكثرية أرباب الأملاك والتجارة والصناعة في البلاد المذكورة ، المضمومة الى لبنان القديم ، على غير إرادة منها ، نتشرف بأن نقدم لفخامتكم عريضتنا هذه ، لنطلعكم على الوضع الشاذ الذي وجدنا فيه ، منذ الاحتلال الى اليوم ، ولنبسط لكم شكوانا من الأمور ، التي لا تتفق مع مصالحنا ورغائبنا في شيء ، ولا يمكننا السكوت عنها بوجه من الوجوه .

يا فخامة العميد ، لقد سبق وقدمنا لأسلافكم ، في مناسبات عديدة ، عرائض واحتجاجات ، أعربنا في كل منها ، عن عدم رضانا عن ضم بلادنا الى جبل لبنان القديم ، ورفعنا مرات عديدة ، لحكومة فرنسا الفخيمة ، والى جمعية الأمم مطالبنا ، وبأننا نحرص جداً ، على أن نكون ضمن الوحدة السورية العامة ، التي لا حياة لبلادنا بدونها ، كما أن مندوبينا في المجلس النيابي اللبناني ، سنة ١٩٢٦ ـ يوم سن الدستور اللبناني ـ احتجوا رسمياً على إلحاقنا بلبنان القديم ، وتسجل احتجاجهم في ضبط الجلسات ، ووقعه منهم حضرات عمر بك الداعوق وعمر بك بيهم « مندوبا بيروت » والأمير خالد الشهابي « مندوب حاصبيا وراشيا » وصبحي بك حيدر « مندوب بعلبك والبقاع » وخير الدين بك عدرا « مندوب طرابلس » . وكذلك ما فتئت معظم جمعياتنا ، في الوطن والمهجر ، وصحافتنا ونقاباتنا ، تحتج على هذا الالحاق ، وتطالب بالوحدة السورية العامة ، وقد قدمت طلباتها رسمياً ، الى المجلس النيابي اللبناني ، معربة عن أمانيها ، مستنكرة

---

١٢ ـ عبد الرحمن الكيالي ، مصدر مذكور ، ص ١٠٩ ـ ١١٤ .

التجزئة ، رافضة قبول الوضع الحاضر .

وفي حزيران سنة ١٩٢٨ ، عقد في دمشق مؤتمر عام ، اشترك فيه كثيرون من ذوي الرأي والمكانة في البلاد الملحقة بلبنان ، ومن جملتهم نواب الساحل في المجلس النيابي اللبناني ، وقرروا بالاجماع الاحتجاج على تجزئة البلاد ، وعلى إلحاق قسم من البلاد السورية بلبنان القديم ، ورفعوا يومئذٍ مقرراتهم رسمياً ، الى مندوب حكومة فرنسا في دمشق ، بواسطة رئيس الحكومة السورية .

فالآن ، يا فخامة العميد ، جئنا نقدم لكم هذه العريضة ، لنطلعكم على حقيقة رغباتنا ، ونرفع لكم شكاوينا ، بمناسبة تولي فخامتكم منصب العميد السامي على بلادنا ، وعزمكم على إحداث أوضاع جديدة ، راجين من فخامتكم إحلال قضيتنا في نظركم المحل العادل ، وإجابة مطالبنا المبنية على الحق والانصاف، تحقيقاً للمبدأ الشريف الذي تعتنقه فرنسا الفخيمة ، الذي تريده أن يكون مبدأ عاماً لجميع الأمم في العالم .

إن شكوانا يا فخامة العميد تتلخص في ما يلي :

أولاً ـ إن سوريا كما تعلمون ، بلاد صغيرة ، لا يتجاوز عدد نفوسها الثلاثة ملايين من الأنفس ، وقد أصبحت في الوقت الحاضر ، ذات ثروة ضئيلة نظراً لما توالى عليها في السنوات الخمس عشرة الأخيرة من نكبات ، وما بليت به من مصائب ، فبارت تجارتها ، واضمحلت زراعتها ، وتلاشت صناعتها .

فتجزئتها ، وتقسيمها الى دويلات متعددة ، يحمّلها من النفقات أرقاماً ضخمة لا نسبة قط بينها وبين ثروتها ومقدرتها الاقتصادية ، وقد بلغت هذه النفقات أحياناً مع مصاريف المصالح المشتركة ، ما يقرب من الخمسة وثلاثين مليون ليرة سورية ، في حين أن هذه البلاد نفسها ، لم تكن لتزيد نفقاتها قبل الحرب ـ يوم كانت إدارتها موحدة ـ عن المليون ليرة ذهبية .

فهذا التقسيم القاضي باستمرار النفقات على هـذه الضخامـة ، يسير بالبلاد حتماً الى الخراب .

ثانياً ـ إن بلادنا التي نتكلم بـاسمها ، أي البـلاد المضمومـة الى لبنان القـديم ، لم تعد سـوى منطقـة استثمار للبنـان الصغير ، بـدليـل الأرقـام الناطقة .

إن ٨٢ بالمائة من واردات خزينة جمهورية لبنان اليـوم تجبى من البلاد الملحقة بلبنان القديم ، وفوق ذلك فإن ١٨ بالمائة الباقية لا تجبى من لبنان الصغير وحده ، بل يشترك بها أبناء البلاد الملحقة ، الذين لهم أملاك واسعة ومصالح في قرى لبنان الصغـير ومصايفـه . مع ذلـك فإن ٨٠ بـالمائـة من مصارفات حكومة الجمهورية المذكورة تنفق على لبنان القديم وأبنائه بصفة رواتب وإصلاح طرقـات وتشجيع اصـطياف ، وإعـانة بلديـات ومدارس ومستشفيـات الخ . . . وهـذه الأرقام هي الأرقـام الرسميـة التي تـذيعهـا حكومة الجمهورية اللبنانية ، وتنشرها في كل عام .

ثـالثاً ـ رغـماً عن أن أبناء البـلاد المضمومـة الى جبل لبنـان هم الذين يدفعون ٨٣ في المئة من الضرائب كما ذكر ، فـإن الادارة الفعلية لمقـدرات الجمهـورية اللبنـانية ، والمنـاصب العـاليـة ، أصبحت في يـد أبنـاء لبنـان القديم ، بقطع النظر عن مبادىء العدل والمساواة ، وعن نصوص الدستور اللبناني نفسه .

فالدستور المذكور ينص صراحة على التعيين الطائفي ، فإذا حققتم في جداول موظفي الجمهورية اللبنانية ، لوجدتم أن معـظم هؤلاء ، هم من أبناء لبنان القديم ، وبالأخص في الـوظائف المـالية ، ولا تجـدون من أبناء البلاد الملحقة ، ولا من طائفة من الطوائف إلا أفراداً قلائل ، وحتى بعض هؤلاء الأفـراد أنفسهم ، قلما يتمتعون بثقـة تامـة من طـوائفهم ، أو غـير طوائفهم .

وإذا رجعتم ، يا فخامة العميد ، الى الاحصاء الأخير ، لثبت لديكم ، أن الأكثرية الساحقة ، هي من أبناء بلادنا نحن ، التي ضمت الى لبنان ، على الرغم منها ، فهذا الاجحاف الجائر ، وعدم المساواة في توزيع الحقوق المشروعة ، وسلب الحريات السياسية ، يزيد نفورنا من هذا الوضع الشاذ ، وعدم إمكان الامتزاج معه بشكل من الأشكال ، ويجعلنا ان لا نرضى بحالة يترتب معها علينا دفع معظم الضرائب والأموال ، لينعم بها أبناء لبنان القديم وأشياعهم .

رابعا ـ ان الحكومة اللبنانية ، على ما يظهر ، لا هم لها الا توسيع نطاق الضرائب ، وخلق الأبواب لصرفها على موظفيها ومحاسيبها ، غير حافلة بالأزمة الاقتصادية القاتلة ، النازلة في البلاد ، والمنهكة لموارد رزقها ، غير شاعرة بالفقر الشامل ، غير ملتفتة الى واجبها الأول ، من إيجاد توازن بين الدخل والخرج ، ووجوب الاهتمام باحداث المشاريع الزراعية والصناعية ، وتنمية موارد البلاد الاقتصادية الخ . . . حالة طالما ضجت منها العامة قبل الخاصة ، ولم يعد بمقدور أحد السكوت عنها ، أو الصبر عليها .

خامساً ـ إن الطائفة المحمدية تشكل نصف سكان الجمهوريةاللبنانية ، مع ذلك هي عنوة عن جميع الطوائف مغصوبة على أمرها ، في صميم تقاليدها وتشكيلاتها الدينية ، تجبر إجباراً أن تقبل وتقر بأوضاع تفرض عليها فرضاً في ذلك من قبل السلطة الحاكمة ، فجميع الطوائف تتصرف بأوقافها وأحوالها الشخصية ومحاكمها الشرعية ، وتعيين رؤسائها الروحيين ، تصرفاً حراً طليقاً ، الا الطائفة الاسلامية ، فإنها محرومة من ذلك ، رغماً عن استنكارها الأمر بشدة وتوالي صرخاتنا من حرمانها ، هذا الحق المشروع ، واستئثار السلطة بإدارة أوقافها ، وتعيين قضاتها الشرعيين ومفتيها ، حتى أصغر موظف في إدارتها الدينية .

فهذه الحال عدا عن أنها مخالفة صراحة لشريعتها الاسلامية فهي مناقضة تماماً لما تعامل به بقية الطوائف من هذه الناحية . فكأن هذه المعاملة إذن مقصودة ، لتحدي الطائفة الاسلامية ، لغير ما سبب معقول ، وحسب فخامتكم ـ كي تقدّروا مدى تألم المسلمين من هذه الحالة الشاذة ـ أن تتصوَّروا أن الطائفة الاسلامية تريد أن تتدخل في شؤون تعيين مطران أو بطريرك لإحدى الطوائف المسيحية .

لذا ترون أن الطائفة الاسلامية متحملة أكثر مما ينتظر من أحد الصبر عليه ، مع العلم أن ذلك لن يؤثر على عزيمتها بشيء ، بل يزيدها تمسكاً بحقها ، وكرهاً للادارة الحالية ، وانها تطالب دوماً بحقوقها في الطرق المشروعة .

سادساً ـ إن قبض السلطة على إدارة الجمارك العامة ومواردها ، التي هي أهم موارد البلاد الأساسية ، والتصرف بها كما تريد السلطة ، أدَّى الى قتل التجارة والصناعة ، وعرقلة الأسباب المؤيدية للانتعاش الاقتصادي ، وعملت بطريقة غير مباشرة ، على تنمية موارد البلاد المجاورة كفلسطين ، وجعلت التجارة تتحول الى تلك البلاد ، فتحرم بلادنا من مواردها الرئيسية .

فسوريا ، يا فخامة العميد ، كانت قبل الحرب ، مُالكة زمام التجارة ، في سائر بلدان الشرق الأدنى ، المنسلخة عن تركيا ، ومتفوقة عليها في إزدهارها ونموها ، أما الآن وعلى هذه الخطة الحاضرة ، فالبلاد سائرة من سيء إلى أسوأ .

سابعاً ـ إن حماية الشركات الأجنبية وتشجيعها على التمادي في مطامعها ، التي لا حد لها ، وبالتالي التعويض عليها من أموالنا عما تدعيه من الخسائر ، كل هذا ، يا فخامة العميد ، زاد في الضيق النازل بالبلاد ، وعمل على أن تضج البلاد من أقصاها الى أقصاها ، من هذه الشواذات ، وهذا الإرهاق .

ثامناً ـ قد يجوز أن تكونوا ، يا فخامة العميد ، مخدوعين بآراء وأقوال بعض من يتشرفون بمقابلتكم من أهل البلاد ، وترون تناقضاً بيننا وبينهم ، إذ أنهم يصورون لكم ان البلاد هي بنعيم من العيش ورغد عميم ، وانها تدار بعدالة ومساواة ، مع أن بحثاً سطحياً ، وتحقيقاً بسيطاً من فخامتكم ، في الحالة العامة ، يكشف لكم حقيقة الأمور كما هي ، ويقنعكم لماذا أراد هؤلاء أن يخدعوا فخامتكم بما نقلوه ، ولماذا يأنف أهل البلاد أن يولوا ثقتهم وتمثيلهم أشخاصاً كهؤلاء ، وكما لا يخفاكم أن هؤلاء موجودون في كل زمان ومكان ، تبتلي بهم أممهم وأوطانهم .

تاسعاً ـ إن الضغط على الحرية الفكرية عامة ، والصحفية خاصة ، وإرهاق أحرار البلاد ، وتشتيتهم عن مواطنهم ، وعدم السماح لهم بالعودة اليها لا يقصد منه سوى الحيلولة دون وصول الحقيقة الى مسامعكم وإيجادها سداً منيعاً بينكم وبين أحرار البلاد ، المتشبعة نفوسهم بمبادىء أبناء الثورة الفرنسية لكي لا يكون هناك تفاهم نزيه بينكم وبين البلاد ، ولا حلول تطمئن لها النفوس وتحفظ بها مصالح الجميع .

فبناءً على ما ذكر ، يا فخامة العميد ، وتجاه الأحوال التي استفحل أمرها ، والتي يضيق نطاق عريضتنا هذه عن إيراد الأمثال عليها ، جئنا بهذه العريضة معلنين أن رضوخ مواطنينا للوضع الحاضر ، لم يكن عن رضى واختيار ، وان ما عانوه من الاختيارات في الخمس عشرة سنة الأخيرة ، من ضروب الحكم ما بين مباشر واستشاري ونيابي وفردي ، جعلهم يتألمون ، ويفقدون كل ثقة في نجاح هذه التجارب ، ويتطلعون بقلق شديد الى مستقبلهم ، وان كنتم في ريب مما نقول ، فما عليكم إلا أن تقوموا باستفتاء عام نزيه حر ، لتتجلى لكم الحقيقة كما هي ، ويثبت لكم صدق حجتنا وشكوانا .

لذلك فنحن نطلب من فخامتكم ، باسم الأكثرية الساحقة من أبناء

البلاد التي ضمت الى لبنان ، والذين يتألمون في شعورهم الوطني والديني ، وفي حياتهم الاقتصادية ، أن تنصفوا مطالب هذه البلاد ، فتعيدوا اليها حقوقها كاملة غير منقوصة ، والتي لا استقرار ، ولا انتعاش حقيقي بدونها ، وهي ملخصة بما يلي :

١ ـ وحدة البلاد السورية الشاملة ، وإنشاء حكومة وطنية ، على أساس السيادة القومية ، تمثل البلاد تمثيلاً صحيحاً ، وتديرها على رغبات أهل البلاد .

٢ ـ تسليم إدارة الجمارك العامة الى هذه الحكومة الوطنية .

٣ ـ السماح للمبعدين السياسيين بالعودة الى بلادهم ، للاشتراك بمقدراتها اشتراكاً فعلياً .

وتفضلوا يا فخامة العميد بقبول أوفر احتراماتنا ، مع رجاء فخامتكم ، رفع النسخة المربوطة بهذه العريضة ، الى جمعية الأمم والسلام .

الفصل السادس

مواقف عاملية سبقت المفاوضات الفرنسية السورية ١٩٣٦

كان للنهوض الوطني في جبل عامل عام ١٩٣٣ تأثير في ظهور حركة وطنية في العام التالي راحت تتصدى علانية لسياسة الانتداب الفرنسي. وكان أبرز قادتها علي بزي وموسى الزين شرارة، عندها سارعت فرنسا بتعيين المستشار بتشكوف حاكماً على جنوب لبنان حيث واجه بالعنف المد الوطني واعتقل عدداً من قادة الرأي فيه. ومع هذا استمر هؤلاء القادة في تحدي سياسة الانتداب. ويقول سلام الراسي «وفي ذلك الوقت شغر أحد المقاعد النيابية في الجنوب بوفاة النائب فضل بك الفضل، فبادر نسيبه بهيج الفضل الى تقديم ترشيحه خلفاً له.

وكان سيد دار الطيبة عبد اللطيف الأسعد الذي لم تكن السلطة الفرنسية راضية عنه، فقدم ترشحه للمقعد الشاغر، بعد أن شجعته الحركات الوطنية المشار اليها على ترشيح نفسه للنيابة، تحت شعارات وطنية وضد مرشح السلطة متحدياً بذلك وللمرة الأولى في تاريخ الجنوب سلطات المستشار الفرنسي»[١]. ومع أن النتيجة كانت لصالح مرشح الانتداب أثبتت المواجهة مع الفرنسيين أن سياستهم المنحازة لصالح فئة على حساب

١ ـ سلام الراسي: لئلا تضيع، مؤسسة نوفل طبعة ثانية ١٩٧٧، ص ٥٥.

وزارة الخارجية الفرنسية مذكرة تتضمن نتائج مؤتمر رؤساء الطوائف المسيحية في ٦ شباط ١٩٣٦ يخلو من طلب الحماية الفرنسية التقليدية على لبنان بل المطالبة باستقلاله ضمن حدوده التاريخية .

في مطلع عام ١٩٣٦ انعكس النهوض الوطني والتحرري في المنطقة العربية بشكل إيجابي على الساحتين السورية واللبنانية مما أعطى التشجيع للقوى الوطنية فيهما لرفع نفس المطالب . خلال العام المذكور شهدت العراق ومصر موجة من الاضرابات تطالب باستقلال البلدين وانضمامهما الى عصبة الأمم . في ١٠ كانون الثاني وأثناء الاحتفال بذكرى وفاة ابراهيم هانانو أكدت الكتلة الوطنية في دمشق على عزمها لتحقيق برنامجها في الاستقلال والوحدة . وقد تجاوب الشعب السوري مع مطالب الكتلة واشترك في مظاهرات دعت اليها حيث سقط فيها أكثر من ٦٠ قتيلاً . لم تكن الأحداث السورية وحدها عاملاً مؤثراً على جبل عامل ، ان الانتفاضة المسلحة الفلسطينية عام ١٩٣٦ حظيت بدعم سكانه ، وحسب مجلة أسيا الفرنسية ترجمة حركة الدعم بالمظاهرات المؤيدة للانتفاضة وبالاحتجاج لدى ممثل بريطانيا في بيروت وبسيل من البرقيات من مدن بيروت ـ طرابلس ـ صيدا والنبطية تستنكر الهيمنة الصهيونية على فلسطين فضلاً عن المنشورات التي تدعو المواطنين للإضراب تعبيراً عن تضامنهم مع الشعب الفلسطيني . وتشكلت في لبنان حركة منظمة بهدف مقاطعة تصدير الخضر الى فلسطين . كثيراً من الكميونات المحملة بالبضائع أتلفت بين بيروت والحدود الفلسطينية رغم مرافقة دوريات لقوى الأمن لتوفير الحماية لها(٥) . لم يعبأ بعض تجار بيروت المصدرين بقرار اللجنة العربية العليا في فلسطين بمنع تصدير الخضر والفاكهة اللبنانية الى يهود فلسطين بل راحوا يهربونها بطرق مختلفة عبر الحدود اللبنانية الفلسطينية وغيرها وقد وصفتهم جريدة

---

٥ ـ Revue Asie Française Juin 1936 p 193- Paris

« بيروت » بالتجار الذين ضربوا الأماني الوطنية عرض الحائط وحولوا بضائعهم الى الاسكندرون وشحنوها الى حيفا وتل أبيب[٦] .

تزعم معروف سعد القوى العاملية التي تصدت للمهربين وللشاحنات العابرة صيدا ـ صور ـ النبطية ـ مرجعيون وتل النحاس . فكانوا ينزلون السائق من الشاحنة ويلقون بالصناديق الملأى بالخضرة والفاكهة على الأرض رأساً على عقب ويأمرون السائق بعدها بالعودة من حيث أتى .

وفي ١٢ تموز ١٩٣٦ انطلقت تظاهرة سلمية في صيدا دعماً للثورة الفلسطينية واستنكاراً لتصرفات سلطات الانتداب بتسهيل مرور التموين عبر الأراضي اللبنانية للمستعمرات اليهودية في فلسطين . وما كان من سلطات الانتداب الا أن واجهت المظاهرة باطلاق النار فوقع عدد من القتلى والجرحى ومنهم معروف سعد وكل ذلك لم يثن الجمهور العاملي عن إظهار استنكاره عبر المشاركة الحاشدة في تشييع أحد ضحايا المظاهرة الشهيد محمد مرعي النعماني .

وفد بيروت تألف من السادة : الدكتور فوزي الداعوق ـ صلاح الدين بيهم ـ علي ناصر الدين ـ فؤاد نكد ـ علي سلام ـ محي الدين بيهم .

وفد طرابلس : عبد الحميد كرامي ـ أشرف بك شريف ـ الدكتور غالب زوده ـ عبد الرحمن عدرة .

وفد النبطية : الشيخ أحمد رضا ـ الشيخ سليمان ظاهر ـ الشيخ علي الزين ـ محمد الفقيه ـ الدكتور بهجت ميرزا ـ بشير جابر ـ محمد بدر الدين ـ حبيب كحيل ـ حسن البيطار ـ علي الزبد .

وفد صور : سليم أبو جمرة ـ رائف حلاوي ـ محمد صفي الدين ـ رائف بيطار ـ بشير الددا ـ أحمد بزي . . .

---

٦ ـ جريدة بيروت ٧ تموز ١٩٣٦ .

وفد مرجعيون : الفرد أبو سمرا وغيره . . (٧) .

ترتب على استمرار الأحداث المتعلقة بالقضية الفلسطينية أن تم تشكيل لجنة لجمع التبرعات للثوار الفلسطينيين ولاستمرار المقاطعة بين لبنان وفلسطين وضمت السادة : توفيق الجوهري ـ معروف سعد ـ أحمد عارف الزين ـ بدوي النابلسي ـ عبد الله البزري ـ حسني الصباغ . ونتيجة الجهود المضنية التي ترتبت على قادة الرأي في جبل عامل في مساندتهم للانتفاضة الفلسطينية بعثت اللجنة العربية في القدس بالرسالة التالية الى بعضهم وذلك في ٨ حزيران ١٩٣٦ جاء فيها :

« حضرات الأفاضل أصحاب الفضيلة والشهامة الاساتذة الشيخ أحمد أفندي رضا والشيخ سليمان ظاهر ورائف أفندي الحر حفظهم الله ـ النبطية .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فقد تلقينا برقيتكم الكريمة المؤرخة في ٦ حزيران ١٩٣٦ واننا لنشكركم وأهالي النبطية الكرام على جميل الشعور وشريف العواطف التي أبديتموها تجاه قضية فلسطين وعلى ما قمتم به من جهود طيبة نحو هذه البلاد المقدسة الصابرة المجاهدة .

ولقد تلقى الرأي العام في فلسطين هذه الجهود بمنتهى التقدير واننا ندعو الله أن يجزيكم على أعمالكم المبرورة ، وأن يقرب يوم الفرج على جميع المسلمين والعرب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

رئيس اللجنة العربية العليا »

في الوقت الذي بلغت فيه المواجهة على أشدها بين الوطنيين في بلدان

---

٧ ـ شفيق الأرناؤوط : معروف سعد نضال وثورة ١٩٨١ المؤسسة اللبنانية للنشر والخدمات ص ٧٨ .

٨ ـ أنظر الملحق رقم ٥ .

المشرق من جهة والفرنسيين من جهة أخرى ، شهدت الساحة اللبنانية حالة تراجع عن مواقف متخذة سابقاً .

تراجع أنصار الكيان اللبناني وعلى رأسهم البطريرك الماروني عن موقفهم المستجد في أعقاب اعلان احتكار التبغ . إذ وجدوا أن التعارض بين مصالحهم والمصالح الفرنسية أحياناً لم تستأهل الطلب الجدي بانتهاء الانتداب وبالتالي تصبح دعوتهم السابقة برفض الانتداب والتنسيق مع الكتلة الوطنية في دمشق حالة عابرة في العلاقات بين فرنسا وبينهم . كان ذلك انطباع المندوب الدائم لفرنسا في عصبة الأمم الذي علق على التقارب السوري مع البطريرك الماروني وجاء فيه : « أنا أفترض بأنها حالة مؤقتة أكثر من كونها لها صفة الاستمرارية ويجب الأخذ بعين الاعتبار الظروف والمعطيات التي أملتها تلك اللقاءات »(٩) . في الواقع ان حصول فتور في العلاقات بين المفوضية الفرنسية ومؤيديها من اللبنانيين أمراً متوقعاً في كل مناسبة لأن الانتداب الفرنسي كان يتجاهل أحياناً رغبات أنصاره على كثرتها لتعارضها مع مصالحه .

أما التراجع الآخر فكان في مواقف بعض الوجهاء المسلمين في بيروت من مسألة الرفض للكيان اللبناني وذلك تبعاً لمصالح اقتصادية . فهؤلاء الوجهاء قد أصابوا قدراً من البحبوحة الاقتصادية واستمروا على تنافسهم على الوجاهة السياسية زمن الانتداب الفرنسي باعتبار أن التقرب من صاحب السلطة يؤمن الجاه والمال . وما ساهم في ترويض مواقفهم لصالح الكيان اللبناني هو النهج الفرنسي العام الذي أنعم عليهم بفتات استغلاله للمشرق دون أن يتبع ذلك بقمع سياسي لموقفهم من الوحدة السورية . فبمراجعة بسيطة لممارسات الانتداب الفرنسي على لبنان نجدها مغايرة لصورة الاستعمار

---

٩ ـ L'Orient 2 fevrier 1936 Beyrouth

الفرنسي في بقية المستعمرات التابعة له . إن لبنان الفقير بموارده الطبيعية لم يثر شهية الاستعمار الفرنسي إلا ليجعله قاعدة متقدمة في المشرق مجهزاً بما تتطلبه الاستراتيجية من موانىء وطرق مواصلات واتصالات لاسلكية وبرقية متقدمة تتمركز أكثر ما يكون في عاصمته . إن البحبوحة الاقتصادية التي أصابت بيروت وضعت البورجوازية الاسلامية فيها ، بخلاف المناطق الأخرى التي ألحقت بلبنان الصغير ، فقد وقعت تحت خسائر اقتصادية نتيجة انفصالها عن سوريا .

على كل ، لم يكن التقاء البورجوازيتين الاسلامية والمسيحية سهلاً بل بقي رهناً بانتظار ما ستسفر عنه المفاوضات الفرنسية السورية التي كانت ستبدأ في باريس وكذلك بمدى ردة الفعل الجماهيرية عند كلا الفريقين من مجرى الأحداث . لهذا ، نشطت التجمعات السياسية اللبنانية على اختلاف ميولها لمعرفة النيات السورية من مسألة الوحدة والكيان اللبناني . فقد ساور أنصار الكيان اللبناني الخوف من اعتراف فرنسي بالوحدة السورية ، لذلك تحركوا لرفض كل شكل من أشكال العلاقات الوحدوية مع دمشق . بالمقابل شارك أنصار الوحدة السورية من اللبنانيين (مسلمين - أرثوذكس - شيوعيين - قوميين سوريين) بقوة في أحداث الستين يوماً التي شملت المناطق السورية ضد الوجود الفرنسي في المشرق .

مع استعداد الوفد المفاوض للسفر الى باريس ، صُعِّد من وتيرة التجاذب السياسي بين اللبنانيين كل يريد دعم موقفه . وتجدد بالتالي إرسال البرقيات والعرائض الى اللجنة الدائمة للانتداب في جنيف تحمل وجهة نظر كل فريق . كذلك شهدت تلك الفترة انعقاد أكثر من مؤتمر ولقاء يهدف الضغط على سير المحادثات في باريس .

في ١٠ آذار ١٩٣٦ ، بعثت مدينة النبطية ببرقية الى المندوب السامي الفرنسي جاء فيها : « نكرر طلبنا بالوحدة لتشمل جبل عامل . استفتاء

شعبي حر يظهر مصداقية طلبنا الذي نرجوك رفعه الى عصبة الأمم ووزارة الخارجية الفرنسية »[١٠] .

التواقيع : محمد علي رضا ـ بشير جابر ـ حسان حمادي ـ كامل ظاهر ـ محمد علي ظاهر ـ محمد فقيه ـ نزار رضا ـ رئيف الحن ـ محمد بدير ـ (شيوعي) بهاء الدين بو خدود (شيوعي) .

في ١٢ آذار ١٩٣٦ ، رفعت بنت جبيل العريضة التالية : « تدعم الشبيبة العاملية الكتلة الوطنية ولا تقبل ببديل عن مطلب الوحدة السورية ، استفتاء حر وعام سيثبت أحقية مطلبنا » . التواقيع : موسى الزين شرارة ـ علي بزي الى جانب ٢١ توقيعاً[١١] .

في ١٣ آذار تلقت المفوضية الفرنسية في بيروت من صور برقية تحمل تواقيع ستة من وجهائها ورد فيها : « نحن شباب صور نرجوكم رفع أمانينا المعلنة بإلحاقنا بسوريا التي لأجلها ضحينا ، الى وزارة الخارجية الفرنسية وعصبة الأمم »[١٢] .

توّجت المطالبة بالوحدة مع سوريا والتي شملت المناطق التي ألحقت بجبل لبنان عام ١٩٢٠ بعقد مؤتمر الساحل في ١٠ آذار بمنزل سليم علي سلام وحضره الى جانب وفود المناطق المنسلخة عن سوريا وفد من جبل لبنان برئاسة صلاح لبكي .

أما عن ظروف انعقاد المؤتمر أشار اليها رئيسه سليم علي سلام في كلمة الافتتاح : « . . . تعلمون أيها السادة أننا في ظروف خطيرة ففي دمشق العزيزة التي بذلت أغلى ما تبذله الشعوب لتحقيق حريتها واستقلالها

---

١٠ ـ C.P.M. 1776 le 10 Mars 1936. S.D.N.

١١ ـ C.P.M. 6A - 4892- 1469. le 2 Mars 1936. S.D.N.

١٢ ـ Idem le 13 Mars 1936

سيتألف وفد لمفاوضة الحكومة في مصير البلاد السورية ولما كنتم من مفكري هذه الأمة ومن مجاهديها المخلصين فقد دعوناكم لعقد مؤتمر نقرر فيه موقفنا نحن أبناء الأقضية والمدن المنسلخة عن أمنا سوريا . فأرجو أن يتفضل كل منكم بأن يدلي برأيه السديد في هذه القضية »[١٣] .

برز في المؤتمر اتجاهان الأول متشدد بشأن مطلب الوحدة السورية والآخر وهو يعكس الى حد ما موقف الكتلة الوطنية السورية والذي يطرح حلاً على مراحل ينطلق من طلب استقلال كل من لبنان وسوريا بوضعهما الانفصالي القائم وتأجيل أمد الوحدة الى وقت مناسب .

تمثل الاتجاه الأول بالمداخلات التي قدمها ممثلوا جبل عامل وصلاح لبكي ومندوب زحلة فوزي بردويل . أما الاتجاه الثاني تمثل بمداخلة يوسف يزبك وامتناع كاظم الصلح ، عادل عسيران وشفيق لطفي التصويت على مقررات المؤتمر المؤيدة للوحدة السورية . هذا وقد عزز كاظم الصلح وجهة نظره من مقررات المؤتمر بالمقال الذي نشرته الصحف تحت عنوان « مشكلة الانفصال والاتصال » . أما مداخلات ممثلي جبل عامل أثناء انعقاد المؤتمر كانت على التالي :

- الشيخ أحمد عارف الزين ـ صيدا : « إن هذا المؤتمر ليس الأول من نوعه فقد عقدنا مؤتمرات كثيرة مثله أذكر منها مؤتمر دمشق سنة ١٩٢٨ والمؤتمر الأخير سنة ١٩٣٣ وفي كل مرة كنا نحتج على الحاقنا بالرغم منا بجبل لبنان وفصلنا عن سوريا . إن الوحدة السورية أيها السادة هي حيوية لنا ونحن مهما جرى لا نرضى عنها بديلاً « تصفيق » وإذا كنا نطالب بها فإنما نسعى ونعمل لها لأنها الخطوة الأولى للوحدة العربية التي ننشدها

١٣ ـ محضر جلسات مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٠ آذار ١٩٣٦ مطبعة الاتحاد بيروت ص ٣ و٤ .

« تصفيق طويل » بقيت لي ملاحظة : لقد ورد في مشروع المذكرة التي سمعناها الآن ذكر نواب جبل لبنان فأنا أعترض على ذكرهم لأننا لم نعترف يوماً بهذه النيابة في لبنان الكبير « تصفيق » .

- السيد أحمد رضا النبطية : « اطلب أن تضاف كلمة شاملة الى كل وحدة »(١٤) .

- الشيخ سليمان ظاهر : النبطية : « إننا أيها السادة على باب انقلابات عظيمة وإذا كنا لا ننظم صفوفنا ونعمل لتحقيق رغباتنا فإننا نضيع هذه الفرصة السانحة الآن . إذا كان المؤتمر قد انعقد لتقرير مصير الملحقات وحدها فكان يجب أن لا يدعى اليه اللبنانيون ، وإذا كان المؤتمر لجميع البلاد في الجمهورية اللبنانية فيجب أن يشترك الجميع في مقرراته ، نحن رجال دين نطلب الوحدة القومية وكما حاربنا التفرقة بين السني والشيعي فكذلك نحارب التفرقة في القومية بين المسلم والمسيحي . إن الوطن لجميع أبنائه « تصفيق » في سوريا الآن استعداد لعقد معاهدة مع فرنسا تضمن للبلاد حقوقها وحريتها فإذا كانت هذه المعاهدة قائمة على أساس الوحدة السورية فمن الواجب أن ينضم أفراد في المنطقة الساحلية الى الوفد السوري المفاوض ليكون الوفد ممثلاً البلاد بأسرها ، وإذا كان لبنان بوضعه الحالي ، سيعقد هو أيضاً معاهدة مع فرنسا فيجب أن يشترك مع اللبنانيين في المفاوضة »(١٥) .

- أحمد عارف الزين : « اننا كنا نكره لبنان أيها السادة لا بغضاً بهوائه وسكانه ولكن لأنه كان انفصالياً يحب المستعمرين ويرتمي في أحضانهم ، أما وقد بدل موقفه ، ومشى غبطة البطريرك المبجل بتدشين سياسة وطنية

---

١٤ - نفس المصدر ص ٥ و٦ .

١٥ - نفس المصدر ص ٢٣ و٢٤ .

رشيدة فإني أحيي معكم لبنان وأحرار لبنان ونحييهم تحية الأ
الصادق وأهتف من صميم القلب فليعش لبنان وسوريا »[16]

يستنتج مما طرحه بعض قادة جبل عامل كم أنهم بعيدين كل التعصب والتشنج في المواقف وكم تتطابق طروحاتهم مع أبسط وهي حق الشعوب بتقرير مصيرها والتي تتلخص بالنقاط التالية :

١ ـ الاستفتاء الشعبي الحر وهذا مطلب ديمقراطي .
٢ ـ الدعوة الى وحدة شاملة قومية لا تقتصر على سوريا ولبنان ا الطريق على المحاولات الاستعمارية الفرنسية والانكليزية بالهيمنة على بلاد الشام عبر طرحهم لمشاريع وحدوية مشبوه الكبرى الذي كان يعمل لها الأمير عبد الله في شرق الأردن .
٣ ـ لا ينطلق العداء للبنان الكبير من موقف طائفي بل ض السياسي العام العربي المعادي للإستعمار والتجزئة ولكل طائفية .

الموقف العاملي أثناء المفاوضات الفرنسية السورية

في ٤ نيسان ١٩٣٦ افتتحت المباحثات بين الوفدين السوري و في مقر وزارة الخارجية الفرنسية بباريس. في البداية لم يتوصل الوف اتفاق نتيجة تمسك كل طرف بموقفه . وتقرّر في نهاية الأمر تعليق المف لحين انتهاء الفرنسيين من الانتخابات التشريعية في بلادهم .

انعكس خلاف المفاوضين الفرنسي والسوري الى مساجلات على الساحة اللبنانية . في ١٠ نيسان نظم أنصار الوحدة السورية جبيل مظاهرة رفعت مطلب الغاء الاحتكار الى جانب الاصرار على

---

١٦ ـ نفس المصدر ص ٣٦ و٣٧ .

الوحدة السورية . حصل من نتيجة ذلك صدامات مع الدرك أوقعت عدداً من القتلى والجرحى واعتقال اعداد كبيرة من الوطنيين ، على الأثر عقد مؤتمر للعاملين في الطيبة لدعم موقف بنت جبيل وليظهروا فيه الأهداف السامية التي يرونها أجدر بالعناية وأحرى بالتقديس من كل شيء ، وهذه الأهداف التي ما زال جبل عامل يجاهد لاجلها قبل الحرب وبعده ، ويعتقد من صميم وجوده أنها هي وحدها تضمن للبلاد العزة والكرامة وتنحصر في ثلاث :

١ ـ السيادة والحرية والاستقلال لسورية الموحدة مع لبنان .
٢ ـ النظر بعين العطف والأمل الى المساعي القائمة في سائر بلاد العرب لتأييد استقلال العرب وحريتهم ولتمجيد الحرية العربية وإباحة حرية الكلام والكتابة . . .
٣ ـ التأييد والتحية للهيئات والأشخاص الساعية لهذه الغاية في البلاد[١٧] .

في الختام شكل المؤتمرون وفداً منهم يحمل هذه القرارات الى الحكومة الرئيسية والهيئات الوطنية بمناسبة حلول الأزمة السياسية في البلاد والدور الانتقالي التي كانت تجتازه سوريا . فبدلاً أن تأخذ المفوضية الفرنسية مطالب العاملين بالاهتمام عمدت الى الاعتقالات والاضطهادات وأودعت في السجن فريقاً من الشباب بينهم عادل عسيران الذي تكلم في مهرجان النبطية بمناسبة اسبوع شهداء مظاهرة بنت جبيل . كان من جراء ذلك أن اشتد الموقف خطورة وحصلت مصادمات دامية بين الجنود والأهالي . وما المظاهرات التي جرت في صيدا والنبطية وبنت جبيل الا نتيجة لهذه التدابير الشاذة . وقد سرت موجة التأييد من قبل الكتلة الوطنية في دمشق واحتجت للمراجع الفرنسية ورفعت صوتها للوفد السوري المفاوض في باريس ،

١٧ ـ جريدة الطريق ٣ أيار ١٩٣٦ ، بغداد .

وحملت صحافة بيروت على المسببين لهذه الشدة وطلبت معاقبة المسؤولين عنها .

لم تنجح سياسة القمع الفرنسية في ثني العامليين عن مواقفهم بل شملت موجة الاستنكار كل العامليين أينما كانوا وأبرقوا الى المفوضية الفرنسية في بيروت يستنكرون سياستها واعتقالهم للوطنيين في جبل عامل .

في ١٦ نيسان ١٩٣٦ بعث مواطنون باسم لبنان الجنوبي ببرقية الى المندوب السامي الفرنسي يستنكرون القمع التي تعرض لها فلاحي بنت جبيل واعتقال عادل عسيران لأنه أراد إيصال صوت الشعب الى الحكومة .

الموقعون : أحمد ظاهر ـ لويس الحاج ـ عبد اللطيف حمادي مع ٤١ توقيعاً[١٨] .

في ١٧ نيسان تلقى المفوض السامي الفرنسي برقية من العامليين في بيروت يحتجون على قمع الحريات في جبل عامل ويطالبون بإطلاق سراح المعتقلين .

الموقعون : علي يعقوب ـ محمود صفا ـ محمد يوسف قبيسي ـ عبد الله حمادي ـ لطفي بدر الدين ـ علي صفا[١٩] .

في ١٧ نيسان بعثت مدينة صور ببرقية مماثلة الى المفوض السامي الفرنسي وتحتج بشكل رئيسي على اعتقال عادل عسيران والصحفي سليم أبو جمرة .

الموقفون : سليمان الددا ـ عارف خليل ـ مصطفى عرب ـ نجيب خليل ـ سليمان صفي الدين ـ حسن الأمين ـ عبد الله الرز ـ ابراهيم حسن ـ رائف بيطار[٢٠] .

---

١٨ ـ C.P.M. 6 A- 4892 - 1469 VIII le 16 Avril 1936. S.D.N.

١٩ ـ Idem le 17 Avril 1936

٢٠ ـ Idem le 17 Avril 1936

أسفرت الانتخابات التشريعية الفرنسية عن فوز تحالف الاشتراكيين والشيوعيين المعروفين بمواقفهم المؤيدة للوحدة السورية أثناء وجودهم خارج الحكم . وعندما افتتحت المفاوضات مجدداً بين الوفدين السوري والفرنسي كان موضوع جبل عامل في صلب المواضيع التي استأثرت بالنقاش وذلك عندما تقدم الوفد السوري بعدد من المطالب بينها مطلب إعادة ميناء صيدا ومنطقتها وكذلك طرابلس الى سوريا بحجة المستلزمات الضرورية للاقتصاد السوري عبر إيجاد منفذ على البحر . وكان الوفد السوري يأمل رداً إيجابياً فرنسياً على مطالبه نتيجة التغيرات السياسية من انتقال السلطة من اليمين الى اليسار . لم يكن ذلك انطباع الوفد السوري بل القوى الوحدوية في سوريا ولبنان التي استبشرت خيراً في هذا التغيير الذي حصل في باريس . فانهالت عليهم سيلاً من برقيات التهنئة من كل مناطق بلاد المشرق ابتهاجاً بهذا النصر . في ١٨ حزيران ١٩٣٦ كتبت جريدة « القبس » « في سبيل الأماني القومية جبل عامل يهنىء الجبهة الشعبية ويؤيد الوحدة السورية والوفد المفاوض الأمين » .

أما في التفصيل فكتبت « أبرق أهالي لبنان الجنوبي الى الرئيس بلوم والى نواب فرنسا ووزرائها يهنئون بفوز الجبهة الشعبية في الانتخابات ويؤيدون الأماني الوطنية ووفد سوريا الأمين العامل على وحدة الوطن الممزق ببرقية هذا نصها .

« فوز الجبهة الشعبية فوز مبين للأمم والشعوب المغلوب على أمرها واعلاء لمجد فرنسة الأدبي التي أخذت على عاتقها مناصرة الحرية والاستقلال ونحن مع اظهار ابتهاجنا بهذه الحكومة الحرة نؤيد الوفد السوري الأمين موقنين بعوده الينا قريباً حاملاً أماني الأمة السورية التي تربطها في فرنسا الحرة روابط الصداقة المتبادلة معلنين رغبتنا في توحيد البلاد السورية راجين قبول أحر تهانينا الصميمة وأرق عواطفنا الفياضة » ١١ حزيران ١٩٣٦ .

عن صيدا : الشيخ أحمد عارف الزين ـ الشيخ رشيد سليم ـ توفيق الجوهري ـ الاستاذ محمود الشماع ـ أحمد محمود المجذوب ـ أحمد فؤاد زنتوت ـ كرم عطا الله ـ رامز البعاصيري ـ أحمد اسماعيل القطب ـ معروف سعد ـ عبد الرحمن بدوي نصار ـ إبراهيم الجوهري ـ محمد النقيب ـ محمد سليم الصباغ ـ سليم حلاق ـ نقولا حريص داغر ـ أحمد هاشم البزري ـ محمود الناتوت .

عن النبطية : الشيخ أحمد رضا ـ الشيخ سليمان ظاهر ـ الشيخ علي الزين ـ الشيخ عبد الله نعمة ـ الشيخ سعيد صباح ـ حسن حمدان ـ الدكتور بهجت ميرزا ـ الدكتور غندور ـ محمد الفضل ـ مصطفى بدر الدين ـ محمد جابر ـ علي فخر الدين .

عن صور : عبد الله الرز ـ أحمد بزي ـ رائف حلاوي ـ سليم أبو جمرة ـ صالح عرب ـ ابراهيم حسن ـ سليمان دادا ـ يوسف شرف ـ مصطفى نقوزي ـ محمود نعمة ـ رائف بيطار .

عن جديدة مرجعيون : الدكتور رحال ـ سعيد الخوري ـ نقولا أبو جمرة ـ ميشال أبو سمرا ـ رزوق رزوق ـ جورج فرهود .

عن بنت جبيل : عبد اللطيف بيضون ـ الدكتور علي بزي ـ حسن سليم مصطفى ـ نمر سعد ـ محمود شرارة ـ ابراهيم عبد الله ـ نجيب بزي ـ محمد أمين الصباغ ـ عبد الحميد طرفة ـ علي بيضون ـ نعمة هيدوس ـ عبد الأمير بيضون ـ أبو أمين حمود(٢١) .

أما بشأن المطلب السوري بالحاق صيدا ومنطقتها الى سوريا لم تكن القيادات المارونية متجانسة في الرأي . فقد أعلن الموفد البطريركي الى

---

٢١ ـ جريدة القبس ١٨ حزيران ١٩٣٦ .

باريس المطران مبارك عن رفض لبنان التخلي عن ميناء طرابلس . أما بخصوص صيدا فقال « اعتقد بأننا مهتمين بالحاق صيدا الى سوريا وهذا أكثر احتمالاً لأنها كانت تشكل ميناء لسوريا »[٢٢] . في حين أعلن البطريرك الماروني خلال استقبال أعده على شرف مجموعة من الزعامات اللبنانية « ستدافع عن سلامة الأراضي اللبنانية ولن تتخلى كلياً أو جزئياً عن لبنان الجنوبي لاعطائه لسوريا كمنفذ الى البحر . تتلخص احتياجات سوريا بمنفذ بحري لتجارتها ، فإن ميناء بيروت واسع بما فيه الكفاية ليلبي حاجاتنا وكذلك حاجات سوريا . نحن نعرف دائماً أن المصلحة الاقتصادية للبنان وسوريا كانت قوية ولا شيء يحول دون صيغة اتفاق مع جيراننا لتأكيد الحرية لتجارتهم بواسطة ميناء بيروت »[٢٣] .

في الواقع ان رفض الطلب السوري بعدم الحاق صيدا ومنطقتها الى سوريا يعود في أساسه الى رغبة فرنسية صهيونية . كان الصهاينة يحرصون كل الحرص على وجود حدود مشتركة بين دولتهم التي سيقيمونها في فلسطين وبين لبنان للمحافظة على النظام الطائفي فيه الذي يبرر سبب مطالبتهم بدولة ولأن القائمين على حكم لبنان كانوا يحرصون على التعاون مع الصهاينة على التقرب من العرب . ويمكن القول أن القوى المؤثرة في الحزب الاشتراكي الفرنسي برئاسة ليون بلوم كانت واقعة تحت تأثير الحركة الصهيونية ومخططاتها الشرق أوسطية . من هذا المنطلق رفضت حكومة بلوم الطلب السوري بإعادة وحدة مناطق سوريا التي جزأها الجنرال غورو عام ١٩٢٠ ، خلال هذا الظرف ازداد التنسيق القائم بين قادة الموارنة والحركة الصهيونية وحصلت لقاءات متعددة بينها ، وارتفعت أصوات في لبنان تنكر كل صلة للبنانيين بالعروبة . وتدليلاً على هذا المنحى المعادي للعروبة

---

٢٢ - L'Orient le 9- 6 - 1936 Beyrouth

٢٣ - Revue du Liban et de l'Orient Mediterranéen N° 62 Juillet 1936.

خفض إميل إده في عهد حكومته شأن اللغة العربية وخصوصاً القضاء حيث جعل المقام الأول للغة الفرنسي الجناح اللبناني في باريس عام ١٩٣٦ تحدث إده « نحن من البحر المتوسط التي كانت ذات تأثير في نهضات البشر الفينيقيين الذين جابوا بحار العالم ومن أرض لبنان حيث ت الأسيوية واليونانية واللاتينية ستنشأ ثقافة غربية »[٢٤] .

ويمكن القول أن حكومة إده كانت تجد في نشوء دولة ؛ حليفة طبيعية للدولة الفينيقية التي يراد إحياءها في لبنان ف أظهر إميل إده ميله الى الصهيونيين في أكثر من مناسبة منها اللبنانية في معرض تل أبيب الذي قاطعه العرب عام ٣٦ أرسلها الى إدارة المعرض يوم افتتاحه يهنئها باسم لبنان .

توج الاتفاق (الصهيوني ـ الانعزالي اللبناني) باتفاق نقلاً عن المفوض السامي الفرنسي دي مارتيل يعلن فيه م يهودية الى سوريا ولبنان شرط أن يحمل القادمون الجد لتأسيس مصالح أو بهدف استثمارات أخرى باستطاعتها ؛ محلية واستبعاد كل خليفة صهيونية في التمركز المكثف[٢٥] .

وافق البطريرك الماروني على هذا الاتفاق عبر تصريح « البلاد » بتاريخ ٣ آب يعرب فيه عن تأييده بإقامة اليهود في بشروط محدودة[٢٦] . وقد ذكرت الشركات البرقية شيئاً ،

---

٢٤ ـ الاستاذ اده بقلم خير الدين الأحدب مستقاة من مجموعة أبحاث قديمة مطبعة دار الفنون . بدون تاريخ مصر ص ٦ .

٢٥ ـ Revue internationale du Travail Mai 1936- Geneve

٢٦ ـ bath- E: Unité Syrienne et devenir arabe, Paris 1937. p. 359.

بإتفاق سري عقد بين إده وزعيم الحركة الصهيونية الدكتور ويزمن فلم يكذبها إده ولا حكومته . وكان إده يرمي من إدخال اليهود الى لبنان بهدف غرضين معاً أحدهما إضعاف العنصر العربي وتدميره والثاني تأمين الربح لشركة يساهم هو فيها وقد تأسست بغرض بيع الأراضي لليهود في جهات صور وعلى الحدود اللبنانية الفلسطينية . وكانت هذه الشركة قد تألفت منذ زمن واشترك فيها خير الدين الأحدب وكان يومئذٍ نائباً على أن يقدم الشركاء المال ويتعهد هو بتسجيل الأراضي التي تباع ويكون نصيبه من الربح أربعين في المائة .

ومهمة الأحدب لم تكن يومئذٍ بسيطة لأن هنالك قرار أصدرته الحكومة الفرنسية بواسطة المفوض السامي بمنع بيع الأراضي لليهود أو لغير اللبنانيين في المنطقة المتاخمة لفلسطين إلا بإذن من الحكومة[٢٧] . خلال هذه الفترة ، أخذت تنحسر الدعوة للوحدة السورية بين أوساط الزعامة الاسلامية في بيروت الذين راحوا يفتشون عن مخرج يضمن إجماع اسلامي للتعايش مع النظام الطائفي في لبنان . لكن العامليين وقادة المناطق الأخرى التي ألحقت بلبنان عام ١٩٢٠ حافظوا على التزامهم الوحدوي .

في ٥ تموز ١٩٣٦ التقوا في مؤتمر وطني عقد في صيدا ، وقاطعه ممثلين لمسلمي بيروت ، للتأكيد على الثوابت التي طالما طالب بها العامليون . في هذا المؤتمر وضعت المقررات التالية : « إن تجربة ثمانية عشر عاماً قامت بها السياسة بتجزئة البلاد أتت بأسوأ النتائج وقضت على اقتصاديات البلاد وتجارتها . وبما أن عامة البلاد السورية بكافة طبقاتها ومذاهبها قد شعرت بضرورة هذه التجزئة وخاصة البلاد المنسلخة عن سوريا الملحقة بلبنان على غير رغبة منها . وبما أن تقرير مصير الشعوب والبلاد موقوف على أخذ رأيها

٢٧ ـ الاستاذ إده بقلم خير الدين الأحدب ، مصدر مذكور ص ١٠ و١١ .

وهذا الذي تقضي به الحقوق الدولية ومبادىء عصبة الأمم ووعود الحلفاء لذلك فإن المؤتمر المنعقد في صيدا بتاريخ ٥ تموز ١٩٣٦ الموافق ١٥ ربيع الثاني ١٣٥٥ الممثل لمدينة طرابلس ومدن صيدا وصور ومرجعيون والنبطية وبنت جبيل وغيره المعروفة بجبل عامل تنكر هذه التجزئة الواقعة كما أنكرت ذلك في مختلف الوسائل من عرائض وبرقيات رفعت للمراجع الايجابية منذ تقرير التجزئة حتى اليوم . والآن بمناسبة المفاوضة القائمة في باريس بين الجانبين السوري والفرنسي لذلك فالمجتمعون يطلبون من فرنسا الحرة وحكومتها الشعبية بدافع القومية العربية والمصلحة الاقتصادية والاجتماعية ما يأتي :

١ ـ تحقيق أمانيهم الحقة بالوحدة السورية والسيادة القومية ويعتبرون أن كل حل لا يأتي متفقاً مع هذه الأماني لا يحمله على القبول به .

٢ ـ إذا كان المفاوض الفرنسي يشك في صحة هذه الرغبات نطلب الاستفتاء النزيه .

٣ ـ تفويض الوفد السوري بالمدافعة والملاحقة وتحقيق أمانينا »[٢٨] .

تعرض هذا المؤتمر لانتقاد من قبل جريدة بيروت لصاحبها محي الدين النصولي إلى أن جاء الرد من أحمد عارف الزين في مجلته العرفان الذي ورد فيه : « أن زعماء المسلمين في بيروت ووجهائها هم المسؤولون في الدرجة الأولى عن هذه التجزئة لأنهم تخلوا عن قيادة الحركة الوطنية في المطالبة بالوحدة وتركوا أهل طرابلس وحدهم يطالبون بها كما تجاهلوا الحركة الأخيرة في صيدا وجبل عامل حتى أنهم لم يحضروا مؤتمر صيدا الأخير الذي حضره عبد الحميد كرامي وبعض أخوانه وهم على مقربة من مكان المؤتمر . قلت

٢٨ ـ مجلة العرفان مجلد ٣٢ جزء ٥ نيسان ١٩٤٦ ص ٤٠٤ و٤٠٥ .

ذلك ولا أزال أقول بأن بيروت بالنسبة للبنان كدمشق بالنسبة الى سوريا »[٢٩] .

حملت مقررات مؤتمر صيدا التواقيع التالية : عبد الحميد كرامي رئيس المؤتمر ، أحمد رضا نائب الرئيس ـ أحمد عارف الزين وألفرد أبو سمرا أمناء سر ـ سليمان ظاهر ـ توفيق الجوهري ـ علي مصباح البزري ـ صالح حسن القبرصلي ـ عبد اللطيف بيضون ـ محمد رائف حلاوي ـ أحمد محي الدين القطب ـ عبد الرحمن البدوي نصار ـ علي الزين ـ عبد الله البزري ـ إبراهيم السنيورة ـ المحامي محمود الشماع ـ أديب زيدان ـ أحمد محمد المجذوب ـ عبد الله الرز ـ رائف بيطار ـ مصطفى عبد السلام مجذوب ـ معين الشريف ـ جميل كوسا ـ حسني أبو ظهر ـ عز الدين الزين ـ كميل خلاط ـ حسن الزين ـ الدكتور رياض شهاب ـ عثمان سنو ـ علي بيضون ـ بشير الددا ـ سليمان الددا ـ عبد الرؤوف الأمين ـ نزيه الأسعد ـ أحمد اسماعيل القطب ـ علي الزعتري ـ محمد بديع ـ جرجس الخوري ـ علي فياض العلي ـ حسن أبو زيد ـ شريف الأنصاري ـ حبيب نحولي ـ رامز بعاصيري ـ كامل الكردي ـ رامز الشماع ـ رفيق حنيني ـ عبد الكريم عميس ـ أحمد هاشم البزري ـ سامي كالو ـ علي بزي ـ موسى الزين شرارة ـ نجيب حسن عبد الله . معروف سعد ـ سعد الدين الدالي بالطة ـ أحمد فؤاد زنتوت ـ موسى لاوي ـ محمود بلولي ـ كامل الصباغ ـ سليم حلاق ـ عبد الغني القطب ـ خلوصي لطفي ـ أديب بيضاوي ـ عبد الهادي الصلح ـ سعيد نجيب عسيران ـ شفيق الصباغ ـ عباس الحر ـ محمد المجذوب ـ جمال البيضاوي ـ اسماعيل حقي .

كانت البرجوازية المسيحية والمفوضية الفرنسية على معرفة تامة بحالة

---

٢٩ ـ نفس المصدر نيسان ١٩٤٦ ص ٤٠٧ .

التردد التي تمر بها القوى الاسلامية من مسألة الوحدة فراحوا يعززون العلاقات معهم دون مطالبتهم بتقديم تنازلات مباشرة للإنخراط في النظام اللبناني الطائفي تاركين الأمر لعامل الزمن ولصلابة المفاوض الفرنسي أمام المطالبة السورية بتعديل حدود لبنان الكبير .

في ٩ أيلول ١٩٣٦ ، قبل الوفد السوري بالطروحات الفرنسية ووقع معاهدة حلت مكان الانتداب ، بعدها شهد لبنان مرحلة جديدة من الاتفاق الاسلامي المسيحي على العيش المشترك ، وفتحت مفاوضات فرنسية لبنانية تستوحي من مضمون المعاهدة السورية الفرنسية . لكن بقيت مسألة أمام قيادات الطوائف وهي تكوين قناعات جماهيرية تؤيد المنحى الجديد في العيش المشترك كبديل للعروبة في لبنان .

الفصل السابع

موقف العامليين من المعاهدة اللبنانية الفرنسية ١٩٣٦

سبق افتتاح المفاوضات اللبنانية السوزية جملة من المواقف للبورجوازية الاسلامية في بيروت لتكييف قناعاتها السياسية مع متطلبات المرحلة القادمة في ١٥ تموز ١٩٣٦ تأسس المجلس القومي الاسلامي وانتخب سليم علي سلام رئيساً له . وبينما كانت أخبار باريس تشير الى توقيع المعاهدة الفرنسية السورية ومعالجة قضية لبنان على غرار سوريا ، راحت القيادات الاسلامية في بيروت تطرح صيغة جديدة للتعايش الاسلامي المسيحي في لبنان . ففتحت جريدة بيروت صفحاتها للحوار المسيحي الاسلامي وذلك بسلسلة من المقالات للدكتور رئيف أبي اللمع واشترك فيها محمد جميل بيهم الذي طرح صيغة لإتحاد فدرالي بين سوريا ولبنان .

بدورهم نشط الاقطاعيون العامليون مع أكثر من طرق في منطقتهم لحثهم على القبول بإفرازات لبنان الكبير وبعدما وجدوا أن القائمين على السلطة في لبنان حصروا منافع الدولة في جبل عامل بهم وبأزلامهم . من هنا ، ازداد عدد العامليين وخاصة من رجال الدين من مختلف الطوائف على الاعلان صراحة عن موقفهم بتأييد لبنان منفصلاً عن سوريا وبحدوده المعلنة . في ١٢ تشرين الأول ١٩٣٦ ، بعث رجال الدين المسيحيون في صور البرقية التالية الى المفوض السامي الفرنسي في بيروت جاء فيها :

« بإسم طوائفنا نؤكد ثقتنا بفرنسا العظيمة وبفخامتكم للحفاظ على لبنان

بحدوده الحالية والتي أعلنت رسمياً . نرجو رفع مطالبنا الى وزارة الخارجية الفرنسية وعصبة الأمم » .

الموقعون : ـ أغوبوا نعوم متروبوليت الروم الكاثوليك

ـ Choreveque Francis وكيل بطريركي عام للموارنة .

ـ Mikaeil Nofal ممثل متروبوليت الروم الأرثوذكس .

ـ Mechouma Zaarab وكيل الطائفة البروتستانتية(١) .

في ١٣ تشرين الأول ، تلقى المفوض السامي الفرنسي برقية تحمل توقيع مفتي صور محمد جواد شرف الدين والعديد من التواقيع وقد تضمنت التالي : « نحن سكان جبل عامل ندعم وجود لبنان بحدوده الحالية ونرفض تدخل رياض الصلح في شؤونه الداخلية ونضع ثقتنا بفخامتكم للحفاظ على وجوده »(٢) .

كان من الممكن إضعاف القوى المؤيدة للبنان الكبير على حساب الوحدة السورية في جبل عامل لو أن القيادات الاسلامية في بيروت كانت صادقةفي رفع مطلب الوحدةوالمساواةالى جانب أن الكتلة الوطنية في سوريا لم تكن تملك تصوراً واضحاً للصراع مع الانتداب الفرنسي بل كانت على العكس من ذلك تعيش حالة انقسام بعد توقيع المعاهدة الفرنسية السورية وظهور حزبين على انقاضها هما: حزب الشعب وقاعدته حلب والحزب الوطني النافذ في دمشق. تلك كانت حالةكل التجمعات التقليديةذات الرداء العصري ، إذ لم تكن على قدر من التماسك الفكري والتنظيمي . وتلك كانت ملاحظة المستشرق جاك برك بأن الاندفاعية الوطنية الأولى في أي بلد عربي تميل الى إيجاد تجمع عريق غير متجانس (الكتلة الوطنية في سوريا ،

---

١ ـ C.P.M. - 1935- Le 12 Octobre 1936- S.D.N. Geneve

٢ ـ Idem Le 13 Octobre 1936

الوفد في مصر ، الاستقلال في الجزائر ، الدستور في تونس) حيث تتكون من عناصر متباينة متناقضة هدفها الوحيد الجامع تحقيق الاستقلال السياسي ، ولكن سواء جاء الاستقلال عن طريق المفاوضة أو الثورة ، فإن هذه التجمعات سرعان ما تتصدع وتحل الانشقاقات الفكرية والشخصية محل الشعور الوطني العفوي الشامل[٣] .

في ظل الانقسام الذي كانت تعيشه الحركة الوطنية في سوريا وفي ظل التصلب الفرنسي في رفضه للوحدة بين سوريا ولبنان ، نظمت القيادات الاسلامية في بيروت مؤتمراً في ٢٣ تشرين الأول وبحضور ٤٠٠ شخص تمثل معظم المناطق اللبنانية باستثناء ممثلي طرابلس الذين تغيبوا عن الاجتماع .

بعد المداولات ، توصل المؤتمرون لصياغة مقررات معتدلة عن مقررات المؤتمرات السابقة يرفضون كل أشكال العنف ويحثون على العمل بالطرق المشروعة لتحقيق الوحدة السورية مع المطالبة باللامركزية الادارية بين المحافظات في لبنان بما يضمن المساواة . رفعت مقررات المؤتمر الى المندوب السامي الفرنسي لتؤخذ بعين الاعتبار أثناء المفاوضات الفرنسية اللبنانية التي افتتحت في ٢٠ تشرين الأول ١٩٣٦ ، وقد جاء فيها :

١ ـ ان المسلمين الذين يشكلون الأكثرية من الشعب اللبناني لا ينفكوا منذ بداية الانتداب يعلنون مواقفهم لسلطات الانتداب ولعصبة الأمم ، عن ارتباطهم العميق بالوحدة السورية من وجهة نظر سياسية كما هي من وجهة نظر اقتصادية مع غيرهم من فئات الشعب اللبناني طالبوا بالسيادة الوطنية ، والاستقلال التام للبلاد والوحدة السورية .

---

٣ ـ د. محمد جابر الأنصاري : تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي ١٩٣٠ ـ ١٩٧٠ . مجلة عالم المعرفة ـ الكويت ـ ص ٩٩ ـ ١٩٨٠ .

هـذه الوحـدة مرتكـزة على وحـدة شاملة لأجـزاء سوريـة أولاً انتظاراً لتحقيق وحـدة شاملة للبلدان العـربيـة لاحقـاً . وهم يتخـذون هـذه المبادىء كبرنامج لهم يعملون في سبيل تحقيقه بكل الوسائل المشروعة .

٢ ـ لما كان فريق من أبناء الوطن لا يرون تحقيق الوحدة اليوم فإن المسلمين حباً منهم بإيجاد روح الألفة والتقارب بين أبناء الوطن الواحد ، وتأميناً لرفاه الوطن ومجده ، ورغبة منهم بتأكيد ارتباطهم بالسيادة الوطنية ، لا يرون مانعاً من كونفدرالية توحد بين البلاد الموضوعة تحت الانتداب . يتوجه المسلمون بنداء حار الى من يشاركهم رأيهم من أبنـاء الطوائف الأخرى الى تبني موقفهم كخطوة أولى نحو تحقيق تطلعاتهم الـوطنية ، على أن تؤخذ المواثيق منذ الآن من الإنفصاليين إعلاناً بإعتناقهم هذه المبادىء ، وعلى أن يُبدأ بالمفاوضات لتحقيق هذه الفدرالية فور تـوقيع المعاهدة اللبنـانية الفـرنسية . مـع العلم أن هذه المعـاهدة يجب أن لا تكون دون مضمون المعاهدة الفرنسية السورية .

٣ ـ المؤسف أن كل التجارب لمنح البلاد شكـلاً ادارياً ثـابتاً أضفت تحيـزاً لصالح فئة من الشعب اللبناني على حساب الأخرى ، ما أجـج الحقد بين الطوائف ، فإن المسلمين يطلبون بوضع فصل صريح في المعاهدة اللبنانية الفـرنسية يقـر اللامـركزيـة الأدارية بـين المحافـظات في لبنان ويضمن المساواة بين مختلف الطوائف في ممارسة حقوقهم وواجباتهم .

٤ ـ إن المؤتمرين مع احترامهم لأفراد الوفد اللبناني المفاوض لا يسعهم إلا أن يعلنـوا احتجاجهم عـلى الطريقـة التي اتبعت في تشكيل الـوفـد ، فأقصي طلاب الوحدة عن الاشتراك في المفاوضات .

٥ ـ يعهد الى اللجنة التنفيـذية التي انتخبت تنفيـذ هذه المقـررات وتقريـر الوسائل التي تراهـا مناسبـة إذا لم تأخـذ المعاهـدة بعين الاعتبـار هذه المقررات .

٦ ـ تُبلغ هذه المقررات الى المراجع الصالحة في باريس وجنيف والى المفوض السامي ورئيس الجمهورية اللبنانية والوفد المفاوض .

٧ ـ تكليف اللجنة التنفيذية الاتصال ببقية الطوائف لتحقيق اتفاق على كل وجهات النظر المطروحة في المقررات وعقد مؤتمر وطني عام إذا كان ثمة حاجة له . . »[٤] .

انتخبت اللجنة التنفيذية من السادة سليم علي سلام ـ عمر بيهم ـ رياض الصلح ـ سليم طيارة ـ عبد الحميد كرامي ـ الدكتور بيسار ـ بهيج الجوهري ـ يوسف أبو ظهر ـ الشيخ عارف الزين ـ الشيخ أحمد رضا ـ الأمير أمين ارسلان ـ فؤاد نكد ـ علي بزي ـ الشيخ ابراهيم الخطيب ـ فريد حيدر ـ عوض فاضل ـ توفيق حلاوي ـ الحاج نجيب بكار ـ خالد عبد القادر ـ محمود أبو عرب ـ الحاج علي بيضون ـ الأمير اسماعيل شهاب ـ الشيخ سعد قيس ـ السيد محمد مرتضى ـ الدكتور عز الدين الرفاعي .

إذن ، جاء توقيت المؤتمر مع فتح مفاوضات بين وفد لبناني ودي مارتيل من أجل وضع معاهدة بين لبنان وفرنسا وقد تمثل الجانب المسلم في الوفد اللبناني من خالد شهاب ـ محمد عبود عبد الرزاق ـ حكمت جنبلاط ـ نجيب عسيران ، حينئذٍ ، كان قد حصل أكثر من لقاء في بيروت وطرابلس وجبل عامل تقرر فيها تشكيل هيئة من جميع الفئات المؤيدة للوحدة السورية لمقابلة المندوب السامي الفرنسي والاحتجاج اليه على تشكيل الوفد المفاوض اللبناني الى المحادثات معه . وحسب جريدة بيروت أخذت تتقاطر الوفود الى منزل رياض الصلح في بيروت وفي مقدمتها وفد صيدا برئاسة الشيخ

---

٤ ـ C.P.M. - 1935- Le 23 Octobre 1936 . S.D.N. Geneve

ملاحظة ـ المقررات المذكورة تختلف عن النص الوارد في جريدة النهار ٢٥ و٢٦ تشرين الأول ١٩٣٦ .

أحمد عارف الزين وبعدها وفود الجنوب يتقدمهم الزعيم أحمد الأسعد ، الشيخ أحمد رضا ـ الشيخ سليمان ظاهر ـ السيد علي بزي ـ موسى الزين شرارة ـ الحاج توفيق حلاوي . وجاء بعدهم وفد من زعماء الدروز يتقدمهم الأمير أمين أرسلان وتلا هذه الوفود وفد المجلس القومي الاسلامي برئاسة الزعيمين سليم سلام وعمر بيهم ووفد طرابلس برئاسة عبد الحميد كرامي والدكتور بيسار والنائب المقدم . ثم عقد اجتماع حضره الزعماء المذكورون وتقرر في نهايته الاحتجاج على الخطة التي اتبعتها الحكومة في تشكيل الوفد المفاوض . وانتخب بعد ذلك هيئة من الحضور لمقابلة المفوض السامي والطلب منه وقف المفاوضات مع الوفد اللبناني حتى يُصار الى إدخال عناصر تمثل الفريق الاتحادي من سكان الجمهورية اللبنانية. على اثر انفضاض الاجتماع توجهت الهيئة المنتخبة الى السراي الكبير وقابلت العميد دي مارتيل فعرضت المطالب التالية :

١ ـ تحقيق الوحدة السورية لأسباب سياسية واجتماعية واقتصادية .
٢ ـ الاحتجاج على الوفد المفاوض .
٣ ـ عدم الاعتراف بالوضع الراهن الذي وزع الوظائف توزيعاً غير عادل ووزع الضرائب على وجه لا يقره الانصاف .

وتستطرد جريدة بيروت بأنه عقب خروج الوفد قابل أحمد الأسعد المفوض السامي وبسط له قضية الجنوب ولم يخرج في مطالبه عن مطالب بقية الزعماء .

وفي نفس العدد كتبت الجريدة بأن زعماء الجنوب علي بزي ـ عبد اللطيف بيضون وأحمد الأسعد قد شاركوا في حفل إقامة شباب محلة (الحرج) على شرف رياض الصلح[٥] .

---

٥ ـ جريدة بيروت ٢٠ تشرين الأول ١٩٣٦ .

بالمقابل بعث فريقاً من صور ، ٢٩ تشرين الثاني ١٩٣٦ ، ببـرقية الى المندوب السامي الفرنسي يستنكرون تصرف كل زعيم عاملي يعتـرض على لبنان الكبير وقد جاء فيها :

« نحن الأكثرية الساحقة نعرض رغبات سكـان جبل عـامل لا نقبـل ببديل عن لبنان بحدوده القائمة . وكذلك نستنكر تدخـلات أبنائـه الذين تنقصهـم الجرأة ومدفوع لهم ليتكلموا باسم جبل عـامل . نـرجوكم تحقيق مطالبنا ورفعها الى وزارة الخارجية الفرنسية وعصبة الأمم »(٦) .

التواقيع : محمد جواد شرف الدين مفتي صـور ـ سليم خطار ثـابت ـ درويش أبو خليل ـ نائب رئيس بلدية صور محمد أسعد أبو خليـل ـ عادل أحمد أبو خليل .

تصدى سليمان ظـاهر تلميحـاً لموقعي البـرقية أعـلاه وكذلـك لنشاط السلطة اللبنانية التي أوعزت لمؤيديها على الابراق من مختلف المناطق تأييداً للوفد المفاوض فضلاً عن إرسال الوفود لهذا الغرض . فقد نشرت جـريدة « القبس » مقـالاً له تحت عنـوان « الى دعاة الانفصـال وأعداء الـوحـدة . الكيان اللبناني لا يقوم على الدعايات المصطنعة » . وجاء فيه « لم نكن وايم الله أعداء للبنان ولا خصوماً لأبنائه في وقت من الأوقات . . . نريد له سيادة واستقلال ونطلب له عزة ومتعة وننشد له حقيقة لا خيالاً وهو في اعتقـادنا جزء لا يتجزأ من وطننا السوري الكبير . . . » .

وفي إشـارة الى الهدف من التنـازل الذي ورد في مقـررات مؤتمـر ٢٣ تشرين الأول قال « تنازلنا لكم عن المطالبة بـالوحـدة هدفنـا الاسمى حباً بتآلف القلوب المتنافرة وأملاً بالعمل المشترك على التماس السيادة للبنان ،

٦ ـ C.P.M- 1955- Le 29 Octobre 1936. S.D.N. Geneve

ورجاء بالتلاقي عند نقطة توفق بين نظريتنا ونظريتكم ألا وهي : الاتحاد بدل الوحدة . . .

طالبنا بهذا الاتحاد على أساس استقلال مناطقنا التي كبر بها لبنانكم استقلالاً لا مركزياً إدارياً ومالياً على مثال استقلال جبل الدروز وجبل العلويين »[7] .

فضلاً عن موقف سليمان ظاهر أظهرت الأكثرية العاملية ، خلال فترة المحادثات اللبنانية الفرنسية ، تمسكها بمواقفها في طلب الوحدة والمساواة في لبنان الكبير عبر برقيات أرسلوها الى المسؤولين الفرنسيين لهذا الغرض ودعماً لطرابلس التي سقط فيها أكثر من جريح وقتيل بسبب سلخها عن سوريا .

في ٦ تشرين الثاني بعث قادة صيدا بالبرقية التالية الى المندوب السامي الفرنسي « يستنكر سكان صيدا إراقة الدماء الطرابلسية ان ممارسة الضغط على أحرار الساحل لا يزيدهم الا قوة ، فلا استقرار قبل تحقيق مطالب الأكثرية » .

التواقيع : حسان بدوي البساط ـ عبد الهادي الصلح ـ محمد حشيشو ـ محمد بكار ـ محمد النقيب ـ ممدوح الجوهري ـ عارف الزين ـ ابراهيم يني ـ أديب زيدان ـ شفيق المجذوب ـ حسن مروة ـ مدام محمود شماع ـ عبد الرحمن البدوي ـ محمد لطفي ـ حبيب نحولي ـ حسن الخولي ـ عبد البزري ـ سعد الدين البزري ـ فؤاد زنتوت ـ عز الدين الزين ـ محمود بكري ـ محمود الناتوت ـ محمد حبلي ـ محي الدين كالو ـ عبد الباسط السنيورة[8] .

تصدرت بنت جبيل المناطق العاملية في تسيير المظاهرات وإرسال

---

٧ ـ جريدة القبس ٣ تشرين الثاني ١٩٣٦ دمشق .

٨ ـ C.P.M. - 1955- Le 6 Novembre 1936. S.D.N. Geneve

برقيات الاحتجاج ضد السياسة الفرنسية الاستعمارية ورداً على موقف مفتي صور .

في ٧ تشرين الثاني بعثت بنت جبيل ببرقية الى المفوض السامي جاء فيها « باسم آلاف المزارعين نستنكر احتكار التبغ الذي انتزع من أفواهنا لقمة عيشنا الأخيرة . نحن لا نعترف بأية معاهدة لا تضمن استقلالنا السياسي والاقتصادي . نؤيد مذكرة البطريرك الماروني ونرفع صوتنا بواسطة فخامتكم الى وزارة الخارجية الفرنسية وعصبة الأمم » .

التواقيع : محمد سليم بزي ـ عبد الكريم سليمان بزي ـ محمد علي اسماعيل بزي ـ علي حسن بزي ـ محمد إبراهيم جابر ـ محمد علي سعيد ـ موسى الزين شرارة ـ موسى ابراهيم بيضون(٩) .

في ١٢ تشرين الثاني وردت برقية من بنت جبيل الى المفوض السامي الفرنسي رداً على نشاط بعض القوى الاقطاعية العاملية بالتنسيق مع السلطة اللبنانية . « كل سلطة إقطاعية أو دينية متخلفة مدفوع لها للمجيء الى بيروت لا تمثل أبداً أحرار جبل عامل ، المؤتمر الاسلامي والزعيم المصلح يمثلونا ، لا نقبل الا باللامركزية والفيدرالية . نطلب استفتاء شعبياً حراً ونقل احتجاجنا الى عصبة الأمم » .

الامضاء : ستة تواقيع(١٠)

أما الجمعيات والأندية في نفس المدينة فقد أوضحت في مذكرة الى المفوض السامي حقيقة الرفض للكيان اللبناني من خلال التجربة التي عايشوها منذ عام ١٩٢٠ الى العام ١٩٣٦ والتي لم تكن مشجعة على الاعتراف لأن حصيلة هذه الفترة كانت الادارة السيئة وخاصة في جبل

٩ ـ Idem le 7 Novembre 1936

١٠ ـ Idem Le 12 Novembre 1936

عامل. إذ لم يحظى باهتمام السلطة فلا يوجد فيه طرقات ولا مدارس ولا مشاريع ذات نفع عام كجر المياه وغيرها . وتضيف الأندية في مذكرتها « ان الدولة اللبنانية في هذه المنطقة لا تعترف الا في قصور الاقطاع . فلا تتدخل لتنظيم العلاقة بينها وبين المواطنين في وقت تتركز اهتمامات الحكومة على إزدهار لبنان الصغير من توسيع المشاريع السياحية وما شابه ذلك » .

وفي معرض الرد على الأصوات العاملية التي تعترف بلبنان الكبير وخاصة من رجال الدين ورد في المذكرة : « اذا كان بعض العلماء المتخلفين يطالبون ببقاء جبل عامل مرتبطاً بلبنان ننصحهم بالتفرغ الخاص للعبادة وترك الشباب يهتمون بالسياسة لأن السياسة والدين لا يتفقان ولا يتحدان . إن عقلية العلماء والتي تعود الى نشوء الاسلام لا تستطيع أن تقارن أو تخفي عقلية عصرية . لهذه الأسباب نؤيد الحاق منطقة جبل عامل بسوريا ، ونعتبر هذا الاجراء ضرورياً لصيانته وازدهاره الاقتصادي . كذلك نعلن للبنانيين بأننا لا ندعم هذا المطلب على أساس تعصب طائفي بل على أساس وطني يتوق للحرية والاستقلال وعاملاً لرفع المعنويات واقتصاد المواطنين »
التواقيع :

- شباب جبل عامل - عبد الله بري
- النهضة العربية الهاشمية - توقيع الرئيس - السكرتير علي .
- النادي الوطني العربي الاميركي - توقيع الرئيس - السكرتير نعمان .
- جمعية الاتحاد الوطني - توقيع الرئيس - نعيم هرمود - سكرتير محمد علي .
- حزب الشباب الوطني - توقيع الرئيس عبد الله بري .
- جمعية الوحدة العربية الاميركية - توقيع الرئيس - السكرتير(١١) .

---

١١ - Idem

بالمقابل نشطت المفوضية الفرنسية في التفتيش على اتباع لها في جبل عامل لإحداث انقسام بواسطتهم بين العامليين من أجل بقاء سيطرتها . في ١٢ تشرين الثاني بعث بعض مواطني قرى إقليم التفاح في قضاء جزين ببرقية الى المندوب السامي الفرنسي جاء فيها : « نضع ثقتنا في فخامتكم وفخامة رئيسنا اللبناني للحفاظ على لبنان بحدوده الحالية . ونحتج بكل قوانا ضد كل تحرك يهدد وجود لبنان » .

عن سكان قرية كفر حونة : محمد صالح ، محمود حرب ، طالب عجروش ، محمد نعمة ، محمود علي .

عن سكان الريحان : سعيد حيدر ، عبد الله حسن ، حسن ادريس ، محمود بري .

عن سكان عرمتى : محمد الحاج ، علي ابراهيم ، سعيد جواد ، محمد علي .

عن سكان مليخ : محمد سعيد بو ملحم ، سامي سعيد ، علي حسان ، سيد نجيب[١٢] .

رغم الحملة الجماهيرية الواسعة المؤيدة للوحدة السورية وخاصة في الأوساط الاسلامية ، كانت كل الظروف مهيأة لتوقيع معاهدة لبنانية فرنسية منها :

- جاء توقيع معاهدة فرنسية سورية كإعتراف ضمني بوجود كيان لبناني مستقل .
- التزام الكتلة الوطنية في دمشق للفرنسيين بلجم كل معارضة للكيان اللبناني فضلاً عن أن البورجوازية الاسلامية في بيروت كانت قد قطعت خطوات في التعايش في النظام اللبناني الطائفي .
- قبول فريق مسيحي كبير بما تمليه فرنسا عليهم من التزامات .

---

١٢ - Idem

في ١٣ تشرين الثاني ١٩٣٦ ، وقعت المعاهدة اللبنانية الفرنسية حسب رغبات الانتداب الفرنسي وأنصار الكيان اللبناني . حقق الجانب الفرنسي مكاسب في هذه المعاهدة على عكس مضمون المعاهدة الفرنسية السورية . أبقت المعاهدة اللبنانية الفرنسية على التواجد العسكري الفرنسي لمدة ٢٥ سنة قابلة للتجديد دون تحديد عدد القواعد العسكرية ولا أمكنة تواجدها على الأراضي اللبنانية . في حين رأى الجنرال ويغان في المعاهدة اللبنانية « ضمانة للتوسع ودعماً للإحتلال العسكري الفرنسي ولمبدأ الحماية . ويمكن القول بإحتمال أن يصبح لبنان في الظروف الصعبة ملجأ للمسيحيين في الداخل »(١٣) . أما المكاسب التي أعطيت للمسلمين مقابل التعايش في لبنان الكبير تضمنتها الرسائل المتبادلة بين الحكومة اللبنانية والمفوض السامي . وقد تضمنت ضمان المساواة في الحقوق الدينية والسياسية بين جميع اللبنانيين وتمثيلاً عادلاً لمختلف عناصر البلاد في مجموع وظائف الدولة ونسبة عادلة بين مختلف المناطق في توزيع المصاريف التي تنفق للمنفعة العامة . فيما أشارت رسائل أخرى بتوحيد نظام الضرائب وتطبيق برنامج إصلاحات إدارية مناسبة تشمل كل مناطق لبنان .

بعد توقيع المعاهدة اللبنانية الفرنسية ، انحسرت بشكل قوي الدعوة للوحدة السورية عند القادة المسلمين وان بقيت كمادة للمعارضة من قبلهم وخاصة عندما لم يأخذ النظام اللبناني بعين الاعتبار مصالحهم الشخصية ولم يدعمهم في موسم الانتخابات . وكثيرة هي المذكرات التي رفعت الى رئيس الجمهورية اللبنانية من قادة المسلمين تطالب برفع الغبن اللاحق بالمسلمين والمناطق ذات الأكثرية الاسلامية وخاصة في جبل عامل والبقاع وعكار . بالتالي ، يمكن تصنيف هذه المذكرات الاسلامية كمحاولة لقطع الطريق على كل المحاولات الهادفة لتأليف جبهة أو حزب تنضوي تحت لوائه الفئات

١٣ ـ Revue des deux mondes. Avril 1937 Paris, p. 521.

اللبنانية المختلفة صاحبة المصلحة في التغيير . وما يعزز هذا الرأي رعاية النظام اللبناني والانتداب الفرنسي لولادة أحزاب طائفية ، حزب الوحدة اللبنانية ، الكتائب ، النجادة ، بهدف إطالة عمر كنفدرالية الطوائف في السلطة اللبنانية . مع هذا بقيت الأكثرية اللبنانية تنحاز لكل مطلب وطني تحرري ووحدوي . وبقي العامليون خزاناً لا ينضب يغذي الأحزاب الوطنية بخيرة الشباب ، وقد أثبتت الوقائع التاريخية في تاريخ لبنان كم كان جمهور جبل عامل أميناً للوطنية والوحدة العربية .

خاتمة

في ضوء ما تقدم ، نستنتج أن الواقع الاقتصادي والاجتماعي لجبل عامل كان واقعاً متخلفاً لاعتماده بشكل أساسي على إمكانيات أبنائه الذاتية البسيطة والتي في أكثر الأحيان كانت تُصادر لصالح المجهود الحربي في الدولة العثمانية . وكان لتتالي الحروب على أراضيه أن أجهضت كل امكانية في النهوض من هذا الوضع المتخلف . إن انتقال السلطة في جبل عامل من السيطرة التركية الى الانتداب الفرنسي لم يحدث تغييراً جوهرياً من طبيعة العلاقة مع السلطة مع أنه أدرج في التشكيلة الاقتصادية والاجتماعية للبنان الكبير حيث أبقى على طابع النظام الاقطاعي السياسي فيه . وبقيت حالة الجهل تخيم عليه . واستمر قادة الرأي من مثقفين ورجال دين يضطلعون بالدور الكبير في تثقيف العامليين بمتطلبات ذلك العصر من العلوم . فضلاً عن قيام رجال الدين بدور القاضي في فض المنازعات بين المواطنين نظراً لثقة هؤلاء بهم واحترامهم لهم . برز كثير من المثقفين ورجال الدين في مجال العلوم وأضاءت مدارس كثيرة شموع المعرفة في ليل جبل عامل بمبادرة من هؤلاء حتى يمكن القول أن أسس النهضة الأدبية التي نعيشها اليوم قد أرسى أسسها رجال العلم في الأمس . والملاحظ أن التمرس بالعلوم الدينية أضحى سمة من سمات بعض العائلات في جبل عامل مثل الأمين ـ مهدي ـ فضل الله ـ شمس الدين ـ مغنية ـ الزين . وقد كان التنافس على أشده بين هذه العائلات في كثرة ما تخرج من رجال دين .

إن التقسيمات الاقطاعيـة لبلاد الشـام زمن العثمانيـين أتاحت للوالي حرية التصرف كما يشاء في ولايته . وكان لسياسة التمييز الطائفي التي اتبعها العثمانيون عبر الولاة بتوحيد كل المسلمين على المذهب السني ان الـزمت العامليين ، وأكثريتهم من الشيعة بتحمل أوزار هذه السيـاسة التي كـانت تتصف بالعنف وإراقة الدماء ، للإلتفاف حول قادتهم الاقطاعيين لدرء هذه الأخطار وتوالي أيضاً وراثة الأبناء للآباء في تحمل هذه المسؤولية . واستمر التفاف العامليين حول قادتهم ما استمرت طبيعة الـظروف التي استوجبت هؤلاء القادة .

لم يكن تصدي الاقطاعيين للولاة العثمانيين جدياً الا عندما كانت تطال مصالحهم بضرر ما ، الأمر الذي أدى الى اهتزاز صورتهم أمام مواطنيهم في الدفاع عنهم وتأمين استقرارهم وممارسة شعائرهم الدينية بحرية . وفي زمن السلم . كان هؤلاء القادة الاقطاعيون بمـا يملكون من أراض شـاسعة هم الحكام لقدرتهم على شراء المنصب من السلطان وعبر المنصب كانوا ينعمون على كبار العائلات بالوظائف والحماية من السلطة . لبقاء القيـادة وهيبتها كان القائد يحرص على التفاف أعـداد كبيرة من العـائلات المؤيـدة له عبـر وجهائها الذين يقومون بدور الـوسيط بين القـائد والعـائلة . فيطلبـون من الأول الخدمات للعائلة ومن الثانية تأييد موقف القائد وامداده بالـرجال في مواجهة خصومه .

وبإنهيار الـدولة العثمـانية والتفتيش عن بـديل خـلال فترة الانتـداب الفرنسي استمر دور الاقطاعيين على ما هو عليه لأنهم كـانوا القـوة المؤهلة الوحيدة للعمل السياسي في جبل عامل . تزامن ذلك مع انفتاح اقتصادي للعرب على الغرب المتطور في نظمه السياسية والاقتصـادية والاجتمـاعية . وكانت أخبار الثورة الفرنسية ومطالبتها بالمساواة لكل المواطنين قد ترامت الى أسماع العرب ولاقت استحساناً . ومهما قيل في دور الغرب بالتعجيل بإنهيار

الدولة العثمانية إلا أنه لا يمكن ربط مواقف الرفض عند العرب من هذه الدولة بدور الغرب بقدر ما كان لسياسة التجاهل العثمانية لمصالح العرب القومية من أثر قوي في رفضها ، بل يمكن القول أن تآمر الغرب الاستعماري منع كل تفاهم عثماني عربي من خلال عرقلة كل اصلاح في الدولة العثمانية .

إن مواجهة العرب للعثمانيين من منطلق قومي تمثلت في اول تحرك عربي سري وفي الجمعيات العربية العلنية والسرية . وقد اتضح من دراستنا أن قادة الرأي في جبل عامل لم يكونوا بمعزل عن حركة الوعي القومي بل شاركوا في بداية التحرك العربي . ويعود الفضل لهؤلاء القادة بربط العامليين بالنضال العربي وتجاوز الحواجز المصطنعة التي وضعها الولاة العثمانيون لمنع كل تحرك جماعي خارج إطار هيمنتهم . ومهما قيل في قادة الرأي في جبل عامل فإنهم كانوا مخلصين لعروبتهم ورفضوا كل المغريات الطائفية التي أرسى عليها الفرنسيون سياستهم في الشرق . وهكذا أضحى العمل القومي عند العامليين يطغى على الشعور الديني .

وبعد أن أصبح وضع جبل عامل أمراً واقعاً ضمن الكيان اللبناني وتحت السيطرة الفرنسية أخذت تهتز صورة القادة الاقطاعيين أمام مواطنيهم وذلك نتيجة متغيرات طالت البنية الاقتصادية والاجتماعية اضافة الى ذلك وجد القادة العامليون أنفسهم أمام قوتين تتصارعان وعليهم أن يختاروا إحداها : مملكة عربية بقيادة فيصل ابن الحسين تحظى بدعم بريطاني وانتداب فرنسي على أرضهم مدعوم بقوة عسكرية وبشرعية دولية ممثلة بعصبة الأمم . فضلاً عن أن الصورة السياسية لم تكن جلية عند القادة العامليين في إدراك مدى التآمر نظراً لتلون السياسات الاستعمارية وتعددها . الى أن طبيعة الاقطاعي تهلل لكل من يؤمن استمرار سيطرتها . لهذا أيد الزعماء الاقطاعيون في جبل عامل الملك فيصل لأنه حارب العثمانيين بتأييد من الحلفاء وبوعد بتسلم السلطة على بلاد الشام . ولما

كشفت معركة ميسلون الاحباط العربي في مواجهة المستعمر الفرنسي أخـذ هؤلاء الاقـطاعيون بمـد الجسور معـه وبطلب الغفـران لعلهم يفـوزون . حينئذٍ ، أخذت تبرز مظاهر التذبذب في المواقف من مسألة الوحدة وكذلك الارتبـاك في اتخاذ مـوقف خوفاً من الجمـاهـير العـاملية . فتـارة ينخـرط الاقطاعيون في أجهزة النظام اللبناني وهو دليل اعتراف بـه . وتارة أخـرى يشتركون في مؤتمرات وحدوية لتحسين صـورتهم أمام مـواطنيهم . وأخيراً توصل الاقطاعيون لربط بعض رجال الدين بسياستهم ومجـارات التعصب الـطائفي القائم في لبنـان وذلك بـالمطالبـة بكيان مـذهبي وهم في الحقيقـة يطالبون بمغانم ذاتية لتأمين استمرار هيمنتهم على مواطنيهم بربط مصـالح المواطنين معهم .

وفي وجه تعاظم الهجمة الطائفية في لبنان وتراجع القادة الاقطاعيون في جبل عامل عن قيادة العمل الوطني وجدنا خلال البحث استمرار مـواجهة السياسة الفرنسية وإفرازاتها في لبنان وذلك من خلال انتفاضة مسلحة أحياناً وبالاحتجاج الى عصبة الأمم ووزارة الخارجية الفرنسية أحياناً أخرى . وقد شملت المـواجهة ضـد الفرنسيـين معظم الفئـات العامليـة الـدنيـا . فمن استعراض لأسماء الموقعين للعرائض والبرقيات ، نجد موقعيها من المثقفين ووجوه صاعدة لا تنطق بإسم عائلة أو طائفة . وفي نهاية المطاف ، شكلت هـذه الأسماء نـواة لخلايـا الأحزاب العلمـانية لاحقـاً . يبقى أن نذكـر أن التراجع النضالي عند قادة الكتلة الوطنية في دمشق والبورجوازية الاسلامية في بيروت ضد الفرنسيين قد ساهم الى حد كبير في وقف تدهور موقع القادة الاقطاعيين في جبل عامل بإعتبار أن حركة الوعي القومي العربي في الجبل كانت واقعة تحت تأثير قادة الحركة الوطنية في بيروت ودمشق .

من ناحية أخرى ، ألحق ضم جبل عامل بلبنان الكبير تبـدلاً بعلاقتـه بمحيطه العربي وخـاصة في فلسـطين ، فيما حصـل التقاء مصلحي فـرنسي

بريطاني صهيوني على شل المد القومي في جبل عامل . من هنا يمكن أن نفسر سبب تنازل فرنسا عن بعض القرى العاملية المعروفة بعدائها لوجودها لصالح الحركة الصهيونية . وتشير مجلة العرفان الى أن شركات فرنسية ساهمت الى حد كبير ببيع أراضي من جبل عامل لليهود[1] .

إذن كانت آمال العامليين كبيرة في تحقيق مطالبهم في الوحدة والمساواة . إن الآمال شيء وتحقيقها شيء آخر . جاء توقيع المعاهدة اللبنانية الفرنسية لتكريس النظام الطائفي في لبنان بما يتعارض وتطلعات الأكثرية اللبنانية ومنها العاملية . بالتالي بقي جبل عامل يعيش حالة حرمان وبقي أبنائه يتطلعون الى اليوم الذي تسود المساواة في لبنان بين أبنائه ومناطقه ويصبح الشأن الوطني مسؤولية كل اللبنانيين .

---

(١) مجلة العرفان ، مجلد ٨ ، جزء ١ ، آذار ١٩٣٨ ص ٩٨ .

الملاحق

- مذكرات عبد الحسين شرف الدين رقم بخط يده .
- مساعدات الحكومة اللبنانية للمدارس الخاصة رقم
- مجلة النبطية لصاحبها كاظم الحاج علي ومحمد بدير .
- حول مشروع المفوض السامي بشأن جبل عامل .
- رسالة اللجنة العربية العليا في القدس .

ملحق رقم (١) مذكرات السيد عبد الحسين شرف الدين بخط يده

في صور

أتيناها منتصف ذي الحجة سنة ١٣٢٥ وألقينا فيها العصا متوكلين على الله عز وجل ، وقد انزلنا بعض المؤمنين المخلصين (١) داره ، وكان قد أخلاها لنا ، فاذا هي وادي الندى ، ومجمعة المكارم ، ثم تحولنا بعدها الى الدار التي لا تزال في ايدينا (٢) .

أثر مجيئنا

وبحلولنا انتظمت ألفة المؤمنين ، فاذا هم كأنجم الثريا ، وكانوا قبل كبنات نعش ، قد سعى بينهم متزعموهم عملاً بالقاعدة الاقطاعية - فرّق تسد - لكن الله سبحانه لم يشعرهم ملتفين بي اخواناً ، يتعاونون على البر والتقوى وطاعة الله سبحانه فيما امرهم به ونهاهم عنه .

لم يكن في صور مسجد يخولهم عقد الجماعة فيه (٣) ولا محل معد لاجتماع عند الاقتضاء ، فكنا نعقد الجماعة في الفرائض اليومية ، ونلقي الدروس العلمية وما اليها في الباحات من بيوت بعض المؤمنين ، وكان أولو الباحات يتنافسون في دعوتنا ويتشاحون حتى تشادوا ، فكان الفصل بينهم أن نستقصيهم مبتدئين بالاقرب منهم فالاقرب ، ففعلنا ذلك في دورات عديدة ، فاشتد الوئام ، وكثر الازدحام ، حتى اكتظت الاندية بالمحتشدين فلا تسعهم النوادي .

---

(١) هو العبد الصالح الحاج محمد بحسون عليه الرحمة

(٢) وذلك يوم الغدير سنة ١٣٣٢ فاذا هي دار رحيبة الارجاء محكمة البناء مرتبة في وضعها ومحاسنها على أكمل هندسة تحوطها جنينة من جميع نواحيها تجري المياه في خلالها . اشتغل بهذه المحسنة نفر يسير من مخلصي المؤمنين اشتركوا بها متنافسين فيها من غير أن يشعر بهم أحد حتى تحولنا اليها على بركة الله تعالى جزاهم الله عنا خير جزاء المحسنين .

(٣) لم يكن في صور من قبل سوى مسجد واحد من آثار المتاولة زعماء الشيعة في جبل عاملة كانوا أنشؤه ووقفوا له اوقافاً تقوم بمهماته ولوازمه ، لكن الحكومة العثمانية ضمته بعد ذلك باوقافه الى ادارة الاوقاف وعينت له من غير الشيعة اماماً وخطيباً ومؤذناً وخادماً وانقطعت عنه الشيعة فكانوا مسلوبي الحرية المذهبية فيه إن صلوا أو توضؤوا هناك وكثيراً ما كانوا يؤذون ويطردون

ـباتهم بالأثبات أن نتعرف إلى أهل المحصنين من رجالهم وجيرانهم بطرق شتى
ـلي بتوفيق الله تعالى بخدمات أخرى رفعتها عن بعض الأبرياء وأتمام
ـمن الكوارث ذلك العهد، وأنقذ الله بفضله من أشداق الموت نفراً (١)
ـد بأيدي آخرين فأخرجهم من ظلمات السجون (٢)،

في فترة الاحتلال

في أعقاب تلك الحرب والجيوش تلقي أوزارها، انتهت فلسطين
ـن الاحتلال الانكليزي، وانتهت دمشق إلى الإمارة الهاشمية برئاسة
ـحها الأمير فيصل.

وكان نصيبنا من التقسيم يومئذ نصيباً لم تجر فيه الرياح كما كنا
ـشتهي، وكما كنا نقدر.. ولكن ابتدأ نشاطنا على كل حال وفق آمالنا
ـي كنا نعلقها على ما بعد الحرب.

وبدأ العمل في هذه البلاد بإنشاء حكومات مؤقتة تحفظ الأمن
ـم الملك حسين (٣) فكان الحاكم في بيروت شكري الأيوبي وكان في صيدا
ـاض الصلح وأنشأنا في صور يومئذ حكومة على هذا الغرار تحتفظ بالزمام
للخير بعد تسليمه إلى الأمير فيصل حين تتوج مساعينا بالنجح.

ولكن الانكليز أبطلت هذا التدبير الذي رجوناه لمستقبل عربي
مستقل إذ اجتاحت في مرورها ما بنيناه من هذا الكيان الناشئ،
لم تعترف بشيء من هذا الجهد المؤمل، وبذلك شطبت على الخطوة الأولى،
ـهد لفرنسا أن تسيطر وتحتل باتفاق مع ((عصبة الأمم)) التي كانت
وحيدة المسيطرة العالمية يومئذ.. ولكن ما كان لنا ولسائر المخلصين
ـلدين ذوي القومية والوطنية أن نستكين للقوة مستخذين.

موقفنا مع فرنسا

فكان استقبالنا للاحتلال الافرنسي من أجل ذلك استقبالاً [illegible]

---

(١) منهم المرحوم الشيخ عبد الله مروة من هاريص وفياض قسن
ـب من كفرا وعلي ماضي من الرمادية وغيرهم ممن
ـتي لإعدامهم من قبل رئيس مصلحة التجنيد في صور زكي جماعة
ـلى آفرا سمه محمد شاويش من أورفه في تركيا فأنقذهم الله تعالى
شهد وعتاب.

~~... ولا ... بل كانت ...~~ ماضياً محتجاً ، يواجهها بالرفض والمصارحة ويُبلغ عنها ميلاً ... غير ملائم .

وأوكل إلينا أن نمثّل الأمة العاملية في جماعة ممن يلابسون السياسة ، ويعملون في حقولها . واجتمعت لدينا أختام العلماء والوجوه والمختارين من مختلف البلاد العاملية ، تعترف بكل ما نقوله باسمهم ، واعترافاً بصحة ما نعمله في سبيل مصلحتهم .

وطيّرنا يومئذ برقيات ، وأرسلنا عرائض عبّرت عن آمال البلاد وأمانيها في جلاء فرنسا عنها ، واعتزالها الحكم فينا .. وكان الأمير فيصل يومئذٍ في جنيف وباريس يسعى سعيه الجميل ، ويتصل بذوي الأمر في شأن الحكومة العربية المستقلة التي كنا نظاهره على إنشائها .

ولم نقتصر من السعي على العرائض والبرقيات في جهادنا السلمي يومئذٍ ، بل كانت لنا أصوات عريضة أذاعتها عنا صحف بيروت أولاً ، ثم تولت إذاعتها صحف دمشق بعد أن كمّها الاستعمار الفرنسي في بيروت .

ثم كانت لنا مواجهات مع المسيطرين من الفرنسيين . كبيكو . وغورو وشربنتييه . ودلبستر . ونيجر . وقد حضر بعض هؤلاء إلى صور وفاوضنا فيه أن تكون لنا الإرادة المطلقة في التعيينات وأسس الحكم المحلي وما إلى ذلك ، ولكنا رفضنا هذه المساومة ورددناها ~~عبد لنا الأملي الذي ... بأنفسنا بارتحاض ... التقرير والعير~~ .

وقد شهد الكثير من هؤلاء وغيرهم في صور وشحور (1) احتشادات الجماهير الهابطة من الجبل بأعلامها الخافقة النبيلة ، وهتافاتها الصاخبة ، فكان لذلك وقع في نفوسهم ، وعلموا أن الشكيمة التي يحاولونها شكيمة شديدة لا ترضى .

استفتاء اللجنة الأميركية

وازداد موقفنا تعقداً بنتيجة استفتاء اللجنة الأميركية التي طافت في أنحاء سوريا ولبنان تستطلع الآراء وتختبر الميول في الحكم في البلاد .

(1) حيث كان مشتانا في مدينة صور ومصيفنا في شحور .

دفعه الى أن يعلن عن نفسه عدم الكفاية لما ينشده من التحرر والانعتاق ،
بزت المسيحيين بالاسلحة بدعوى تمكينهم من حماية حوزتهم . ثم تغافلت
الثوار تغافلاً اضطر المصلحين من هذه الأمة أن يطالبوا الحكومة
بعا الثورعند حد .. فماذا فعلت الحكومة ؟ .
انها بذلت السلاح للمسلمين ايضا بحجة أنها تدع لهم تأديب العصاة
طاردتهم ، ولكن الحقيقة التي رمت اليها من وراء ذلك أن يثوروا
نصارى ليتسع الفتق ، وتثبت ما قصدت اليه من التدليل على عدم كفايتنا
ستقلال ، فتقيم عندئذ حكمها على قاعدة من هذا التدليل كما اقام
ثالها حكمهم على قاعدة مثله .

وكان النامون النفعيون من اذناب الفرنسيين - اثناء ذلك —
رون حماسة الفتيان العرب من جهة أخرى ويطمعونهم ويغرونهم
طلبهم ليتلاقى طرفا الحيلة الاستعمارية ، ويبرم أمر التدبير .

وكان لهؤلاء الاقطاعيين المذبذبين شأن في هذا العصيان كما كان
شأن في السابقة بالمخلصين ، يلبسون منها وجوهاً صفيقة عديدة ،
معنا بوجه ، ومع الفرنسيين بوجوه أخرين ، ومع
ميرفيصل بوجوه غير هذين .

وبهذا الدرس الذي طبعوا عليه أذكوا حماسة المتحمسين ، واستغلوا
طلتهم ، فانقاد من انقاد للغرور ومضوا يؤذون المواطنين نهباً
قتلاً وتجريحاً .

وكنا ممن أعذر وأبلى بلاء حسناً في النصح للثائرين بالتزام السكينة
يثار الهدوء . لنعمل في جو صالح للعمل ، غير أن الفتنة قد تجمعت عناصرها ،
هبت ريحها تنذر بالخطر ، وتنفخ بوادرها في أطراف البلاد . فكان ما كان
نزوات شوشت الأمن . واشتغلت الافكار بأخبار الغزوات والوقائع التي كا
ع من ناس موقع البشرى والايناس ، وتقع من آخرين موقع الهم والبؤس .

رغبة عن أثر المنطقة الشرقية

وكنا اثناء ذلك بمعزل عن هذا منصرفين الى جهادنا بناء على الخطة
سلمية التي رأيناها لقضيتنا . وفي هذه الفترة وقد غلت مراجل الغيظ .
النجاح

واضطربت المحلي، جاءت رسل الرؤساء ومن عشائر الفضل في المنطقة الشرقية يحملون لكامل بك الاسعد رسائل الثورة، ويدعونه الى خوض المعركة، ويخيرونه بين اثنتين: إما أن ينضم اليهم بجبل عامل فيكونوا معهم حرباً على فرنسا، وإما أن يعتزل فيكون غرضاً لحربهم قبل فرنسا.

ولم يجد هذا البلاغ استعداداً من كامل بك لأنه لم يكن متهيئاً، فاستمهل الرسل وحمّلهم الى اصحابهم رسالته: انه ليس المنفرد بالرأي في عاملة دون العلماء، من أولي الشأن، ودون الزعماء من امثاله الذين لهم كلمتهم ولهم اتباعهم، فلا بد له من أجل ان يضرب لميعاد يجتمع فيه العلماء والزعماء، ويبحثون هذه القضية على ضوء التفكير والتأمل. وهكذا كان.

مؤتمر الحجير (١)

وكان هذا الطلب من الأمور المهمة ذوات البال التي دعت الى عقد مؤتمر الحجير التاريخي. فان المفكرين في عاملة أخذوا هذا الطلب على انه حدث قد من طرفيه. فهم ان أجابوه ففرنسا دولة غنية مجهزة لا قبل لهم بها، وان امتنعوا عنه فهذه جبهة وطنية تدعوهم الى جهاد وطني، وذلك ما لا قبل لهم بالامتناع عنه ايضاً.

اضف الى هذه الحيرة ان سياسة البلاد المضطربة كانت تدعوهم للاجتماع. وللنظر في تقرير مصيرهم على نحو تطمئن اليه الجماعة العاملية.

وفي اليوم الموعود كان وادي الحجير (٢) يستقبل ضيوفه وكان ضيوفه الاكثرية من صفوة الجبل واسوده ووجهائه واعيانه، وكان يضيق بالرايات، ويضج بالهتافات، ويدوي بالمفرقعات والتهليل. وكأن عاملة نشرت فيه ببعث جديد.

وأقبلنا والجمع كامل مستتب، فما أشرفنا على الجمع حتى جلجل الوادي

---

(١) وكان يوم السبت ٥ شعبان سنة ١٣٣٨ الموافق ٢٤ نيسان سنة ١٩٢٠

(٢) انما اختاروا وادي الحجير لتوسطه بين البلاد العاملية بشارتها وشقيفها ولوجود الماء ثمة والكلأ.

ملحق رقم (٢) مساعدات الحكومة اللبنانية للمدارس الخاصة

A N N E X E

SUBVENTION AUX ECOLES PRIVEES

Annexe à la lettre du Gouvernement Français (1)
Décret n° 1460/EC
(Sous-Directeur de la Société des Nations Unies, signé P. ARNAL)

Le Président de la République Libanaise,

Vu la Constitution Libanaise du 23 mai 1962, modifie par les lois constitutionnelles des 17 octobre 1927 et 8 mai 1929 ;

Vu la loi du 10 mars 1926, réglementant l'octroi des subventions aux écoles privées locales ;

Sur la proposition du Ministère de l'Education National,

DECRETE :

Article Premier : Des subventions aux écoles privées, sont allouées, pour l'année 1937, en cours, qu'il suit :

		Livres libanaises syriennes
S.B. Mgr. Antoine ARIDA,	Patriarche Maronite	2 700
S.B. Mgr. TAPPOUNI,	pour les Syriens catholiques Patriarche des Arméniens catholiques	400
S.G. Mgr. MOBARAC,	Archevêque Maronite de Beyrouth	3 350
S.G. Mgr. AOUAD,	Archevêque Maronite de Chypre	750
S.G. Mgr. BOUSTANI,	Archevêque Maronite de Saida	1 600
S.G. Mgr. Antoine ABD,	Archevêque Maronite de Tripoli	500
S.G. Mgr. NICHA,	Archevêque Maronite de Baalbek	850
S.G. Mgr. MEOUCHI,	Archevêque Maronite de Tyr	150

(1) La Société des Nations, Comité Permanent du Mandat, n° 2037.

S.G. Mgr. HAJJE,	Archevêque Maronite de Damas	150
S.G. Mgr. Elia KARAM,	Métropolite Grec Orthodoxe du Mt Liban	1 000
S.G. Mgr. ABOURJEILI,	Métropolite Grec Orthodoxe de Merjaoun	750
S.G. Mgr. Nifon SABA,	Métropolite Grec Orthodoxe de Zahlé	750
S.G. Mgr. JEHA,	Métropolite Grec Orthodoxe de Tripoli	650
S.G. Mgr. GAROYAN,	Archevêque des Arméniens Orthodoxes	750
S.G. Mgr. Elia SALIBA,	Métropolite Grec Orthodoxe de Beyrouth	125
S.G. Mgr. l'archevêque des Syriens	orthodoxes de Beyrouth	150
S.G. Mgr. YOUAKIM,	Métropolite Grec Catholique de Zahlé	1 400
S.G. Mgr. NABAA,	Métropolite Grec Catholique de Saida	1 250
S.G. Mgr. SAYEGH,	Métropolite Grec Catholique de Beyrouth	700
	Métropolite Grec Catholique de Baalbek	500
S.G. Mgr. Joseph MAALOUF,	Métropolite Grec Catholique de Merdjayoun	300
S.G. Mgr. NAOUM,	Métropolite Grec Catholique de Tyr	400
S.G. Mgr. KALLAS,	Métropolite Grec Catholique de Tripoli	300
S.G. Joséphine HOEYK,	Supérieure des Soeurs Maronites de la Ste Famille	700
S.G. Emilie SURSOK,	Présidente de l'Association de Bienfaisance de Zahrat el Ihsen	400
	Présidente de l'Association de Bienfaisance Orthodoxe de Beyrouth	650
S.G. Mgr. AFDOUKIA,	Supérieure de l'Ecole Tahzib el Fatat	150
Père Martinos TORBEY,	Supérieur des Moines Baladites	150
Mgr. HOBEIKA,	à Baskinta	50
Père Sammaan AKLE,	Supérieur de l'Ecole Zghorta	150
Soeur ANDRE,	Orphelinat St Joseph à Beyrouth	200
Cheikh Habib el Ibrahim,	Ecoles Chiites de la Békaa	500
Cheikh Rachid MICATI,	Orphelinat de l'Association de Bienfaisance	200
Ecoles chiites de Kesrouan,		
MM. Omar DAOUK,	Association de Bienfaisance Musulmane de Beyrouth	1 500
Khaireddine ADRA,	Association Musulmane de Bienfaisance de Tripoli	250
Rachid BEYDOUN,	Association chiite "Al Amilié" de Beyrouth	600
Abdul Kader TABBARA,	Orphelinat Musulman à Beyrouth	150

Directeur des Wakfs Daouidié		300
Farid El HAJJE,	Ecole de Kaitaloué	150
Hussein Sari el Dine,	Président des Ecoles druzes à Maten	200
Salim HARARI,	Président du Conseil Communal Israélite	300
HADIDIAN,	Ecoles arméniennes protestantes	75
Père CONSTANTINIAN,	Ecoles des Arméniens Grecs Catholiques de Zahlé	100
Gobran MAKARI,	Ecole El Moussawat à Anfé	100
Pasteur Moufid Abdul Karim,	Ecoles Protestantes	100
Said el Dine el Solh,	Président de l'Association Musulmane de Bienfaisance	300
Mahmoud BAZI,	Econome de l'Ecole de Tyr	200
Cheikh Sleiman DAHER,	Président de l'Association de Bienfaisance à Nabatieh	100
Cheikh Nagib KEISS,	Kadi Mazhab el Druzes à Hasbaya	50
Père Georgi SAID,	Président de l'Ecole Yahchouche	50
Adib KHALIFE,	Président de l'Association Chiite de Bienfaisance	50
	Président de l'Ecole Sakieth et Misque	75
Emile BICHALINI,	Président de l'Ecole Salima	75
Youssef el HAYEK,	Président de l'Ecole Saidate el Bahar	75
	Directeur de l'Ecole de Djezzine	100
Fouad Freim BOUSTANI,	Ecoles artaz el Harbouna	50

Article II : Le présent décret sera publié ou communiqué partout où besoin sera.

Beyrouth, le 17 novembre 1937
(signé) Emile EDDE

Par le Président de la République
Au Président du Conseil des Ministres
(signé) Khaireddine AHDAB

Le Ministre de l'Education Nationale
(signé) Georges TABET

ملحق رقم (٣) مجلة النبطية لصاحبها كاظمة الحاج علي ومحمد بدير

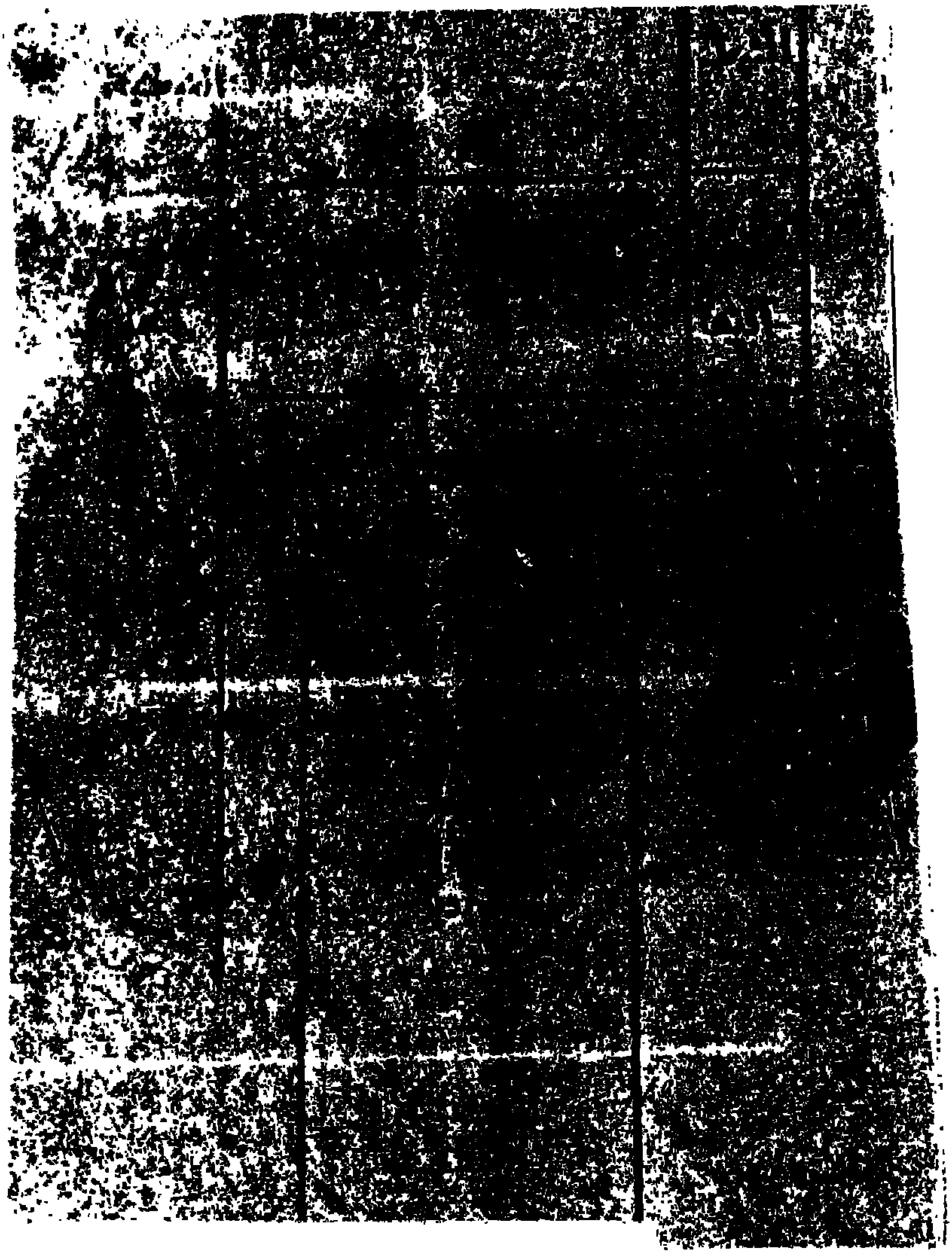

عدد ٣ في ١٨ اب سنة ١٩٣٦ — السنة الاولى

-النبطيه-
مجله علميه
ادبيه

-النبطيه-
مجلة تصدر في النبطيه
اصاحبيها حاج علي و بدير

-النبطيه-
اشتراكها الشهري
٥ غروش سوريه

بسم الله الرحمن الرحيم

ايها الاخوان

تقدم ادارة مجلة النبطيه

شكرها الجزيل لما ابديتموه

من المساعدة والغيرة نحوها

يا شباب النهضة العامليه

صدرت صيحات [illegible]
الفلسطينية [illegible]
من المحيط [illegible]
المستعمر في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] وسلام العروبة
[illegible] المستحب
[illegible] ابطالا
[illegible] اعما
[illegible] وشتات
في جولة [illegible] يوم صلاحهم
الاعداء نارا حامية لذل
شرفك الساذج.
فاستعملوا البيض واخذوا
[illegible] سيفا صم

"… ان الحرية تؤخذ ولا تعطى"
وصدقوا قول الشاعر
وطني يا روح افدي
انا عربي خطب جلا
اجمل الآمال عندي
موته الجود
زحف الى ارضه شعبا
فاذا الاستعمار زوال
لكنه شعب نجيبة الاصل اذ فدا
في ربوعه شبابا يذود
الضيم
فالى الجهاد ايها البلاد
المشرفة لتعيدي مجدك
الغابر.
ان الامة العربية جمعاء
تتطلع بذكرك وثنائك
جهادك المستميت في سبيل
الاسلام والعروبة

يا فلسطين اسلمي [illegible] روحي ودمي
وحي قلبي [illegible] بالبأس حمي
[illegible]

يا فلسطين شابكت [illegible] نفدا
[illegible]

لست ارضاً انت بل انت [illegible]
[illegible]

يا [illegible] النضال [illegible]
ونقيت [illegible]
في متون الخيل [illegible] القتام
ليس زنات القنا [illegible]
يبنت المجد [illegible] الكرام
توأم ا[illegible]
يا [illegible] الثاني انا الانضمام
ان نضم [illegible] جميع العرب

ملحق رقم (٤) حول مشروع المفوض السامي بشأن جبل عامل

أخبار محلية

سلامة عقل صاحب القبس

[illegible] المفوض السامي [illegible] جبل عامل

منطقة ذات استقلال إداري

[illegible]

ملحق رقم (٥) رسالة اللجنة العربية العليا في القدس

اللجنة العربية العليا
القدس

القدس في ١٨ ربيع الانور سنة ١٣٥٥
٨ حزيـــــران سنة ١٩٣٦

حضرات الأفاضل أصحاب الفضيلة والشهامة الاساتذة الشيخ احمد افندى رضا والشيخ سليمان افندى ظاهر ، ورائف افندى النحر حفظهم الله

النبطيــة

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعـد فقد تلقينا برقيتكم الكريمة المؤرخة في ٦ حزيران سنة ١٩٣٦ واننا لنشكركم واهالي النبطية الكرام على جميـل الشعـــور وشريف العـواطف التي أبديتموها تجاه قضية فلسطين وعلى ما قمتم بـه من جهـــود طيبة نحو هذه البلاد المقدسة الصابرة المجاهدة .

ولقد تلقى الرأى العـام في فلسطين هذه الجهود بمنتهى التقدير ، واننا نـدعو الله ان يجزيكم على اعمالكم المبرورة ، وان يقرب يوم الفرج على جميع المسلمين والعـرب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتــه .

رئيس اللجنة العـربية العـليا

مراجع باللغة العربية

- السباعي بدر الدين : أضواء على الرسمال الأجنبي في سوريا ١٨٥٠ - ١٩٥٨ دار الجماهير - دمشق ١٩٦٧ .
- الزين نزار : جبل عامل في ربع قرن ١٩١٣ - ١٩٣٨ . مطبعة العرفان - صيدا ١٩٣٨ .
- الزين أحمد عارف : تاريخ صيدا - مطبعة العرفان صيدا ١٩١٣ م - ١٣٣١ هـ.
- الأمين عدنان : التعليم والتفاوت الاجتماعي في صيدا ١٩٨١ .
- العورة ابراهيم : تاريخ ولاية سليمان باشا العادل - نشره وعلق عليه قسطنطين الباشا المخلصي . مطبعة دير المخلص - صيدا ١٩٣٦ .
- الكيالي عبد الوهاب : تاريخ فلسطين الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٣ الطبعة السادسة .
- الكيالي عبد الرحمن : مراحل الانتداب الفرنسي ونضالنا الوطني ١٩٣٦ - ١٩٣٩ - سوريا ١٩٦٠ .
- الباشا قسطنطين : لمحة تاريخية في أعمال الرهبنة المخلصية خلال الحرب العامة . عني بطبعها الخوري باسيليوس نحاس . المطبعة التجارية لورانس فاس الولايات المتحدة ١٩٢٠ .

- السعيد أمين : الثورة العربية الكبرى - مطبعة عيسى البابي الحلبي - مصر .
- الريس فايز : القرى الجنوبية السبع - مؤسسة الوفاء - بيروت ١٩٨٥ .
- الراسي سلام : لئلا تضيع - مؤسسة نوفل ١٩٧٧ - طبعة ثانية .
- أرناؤوط شفيق : معروف سعد . نضال وثورة - المؤسسة اللبنانية للنشر والخدمات ١٩٨١ .
- الأنصاري محمد جابر : تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي ١٩٣٠ - ١٩٧٠ ، مجلة عالم المعرفة - الكويت ١٩٨٠ .
- الدوري عبد العزيز : التكوين التاريخي للأمة العربية دراسة في الهوية والوعي . مركز دراسات الوحدة العربية بيروت ١٩٨٤ .
- آل صفا محمد جابر: تاريخ جبل عامل، دار النهار للنشر بيروت ١٩٨١ .
- الأمين - محسن : خطط جبل عامل ، تحقيق حسن الأمين الجزء الأول مطبعة الانصاف ١٩٦١ .
- إيضاحات من المسائل السياسية التي جرى تدقيقها بديوان الحرب العرفي في عاليه (مقررات ديوان الحرب العرفي في عاليه) نشرت هذه الايضاحات من قبل القائد العام للجيش الرابع - جمال باشا . مطبعة الطنين - اسطنبول سنة ١٣٣٤ هـ.
- الاستاذ إده بقلم خير الدين الأحدب - مستقاة من مجموعة أبحاث قديمة في العهد الجديد - مطبعة دار الفنون - مصر. بدون تاريخ وبدون اسم المؤلف .
- د. بسام محمد : الاتجاهات السياسية في جبل عامل ١٩١٨ - ١٩٢٦ . أطروحة دكتوراه في التاريخ - جامعة القديس يوسف بيروت ١٩٨٣ غير منشورة .
- روبنسون إدوارد : مباحث أجنبية في تاريخ لبنان . ترجمة أسد شيخاني .

الجزء الأول . منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة بيروت . ١٩٤٩ .
- صايغ أنيس : الهاشميون والقضية الفلسطينية . منشورات المكتبة العصرية - صيدا . ١٩٦٦ .
- حتي فيليب : لبنان في التاريخ - ترجمة د. أنيس فريحة - راجعه د. نقولا زيادة - دار الثقافة - بيروت ١٩٥٩ .
- حلاق حسان : موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧ - ١٩٠٩ بيروت دار الأحد ١٩٧٨ .
- خوري - منير : صيدا عبر حقب التاريخ - المكتب التجاري ١٩٦٦ .
- ظاهر مسعود : الجذور التاريخية للمسألة الزراعية ١٩٠٠ - ١٩٥٠ . منشورات الجامعة اللبنانية ١٩٨٣ .
- ظاهر سليمان : صلة العلم بين دمشق وجبل عامل - مجلة المجمع العلمي في دمشق .
- عازوري نجيب : يقظة الأمة العربية - ترجمة د. أحمد بو ملحم - المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨ .
- عزيز بك : سوريا ولبنان في الحرب العالمية . ترجمة فؤاد ميدان - بيروت ١٩٣٣ .
- كوثراني وجيه : وثائق المؤتمر العربي الأول - دار الحداثة بيروت ١٩٨٠ .
- كوثراني وجيه : بلاد الشام - معهد الانماء العربي - ١٩٨٠ بيروت .
- كردعلي - محمد : خطط الشام - ٦ أجزاء الطبعة الثانية - دار العلم للملايين ١٩٦٩ .
- جنوب لبنان : مأساة وصمود . دراسة وثائقية - بيروت ١٩٨١ .
- عماد الصلح : سطور من الرسالة : تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي سنة ١٨٧٧ بيروت ١٩٦٦ .

(٢) جرائد عربية

- جريدة النهار ، لبنان .
- جريدة بيروت ، لبنان .
- جريدة البيرق ، لبنان .
- جريدة المقتطف ، مصر .
- جريدة الدفاع ، سوريا .
- جريدة البشير ، بيروت .
- جريدة القبس ، سوريا .
- جريدة لسان الحال ، لبنان .
- جريدة زحلة الفتاة ، زحلة (لبنان) .
- جريدة القلم الصريح ، مرجعيون (لبنان) .
- جريدة المرج ، مرجعيون (لبنان) .
- جريدة جبل عامل ، صيدا (لبنان) .
- جريدة فلسطين ، القدس .
- جريدة الطريق ، بغداد .
- جريدة الأرز ، بيروت .

(٣) مجلات عربية

- مجلة العرفان ، صيدا ـ لبنان .
- مجلة صدى لبنان ، جونية ـ لبنان .
- مجلة لبنان ، بيروت ـ لبنان .
- مجلة العروبة ، بيروت ـ لبنان .
- مجلة عالم المعرفة ، الكويت .
- مجلة المجمع العلمي ، دمشق .
- مجلة النبطية ، النبطية (لبنان) .

(٤) بيانات صادرة عن جمعيات

- بيان أعمال جمعية المدرسة العلوية الاسلامية ١٩٣٦ ـ ١٩٣٧ . مطبعة زيدان دمشق .
- الشيعة والمنار ـ كراس ملحق بالجزء السابع من مجلة العرفان ـ المطبعة العصرية ـ بيروت ، ١٣٢٨ هـ.
- القانون الأساسي المعدل لجمعية المقاصد الخيرية في النبطية ـ مطبعة العرفان .
- قانون الجمعية الخيرية العاملية ـ مطبعة العرفان ـ صيدا ١٣٤١ هـ.
- قانون جمعية العلماء العاملية الأساسي ـ صيدا ١٩٣٠ ـ مطبعة العرفان .
- مقررات المؤتمر الاسلامي العام في دورته الأولى ١٩٣٠ ـ مطبعة دار الأيتام الاسلامية الصناعية بالقدس .
- تقرير اللجنة التنفيذية للمؤتمر السوري الفلسطيني بمصر الى جمعية الأمم عن الحالة السياسية والاقتصادية في سوريا سنة ١٩٣٣ مطبعة الشباب ـ مصر .
- محضر جلسات مؤتمر الساحل والأقضية الأربعة ١٠ آذار ١٩٣٦ ، مطبعة الاتحاد ـ بيروت .
- سليمان ظاهر ـ مفكرات (لم تنشر) .
- السيد عبد الحسين شرف الدين . مذكرات .

(٣) مراجع أجنبية

1- Bounoure - Gabriel: «L'œuvre intellectuelle et sociale» dans «l'Europe nouvelle» 16 Mars N° sur «L'œuvre Française en Syrie» 1927.

2- Deuxieme semaine sociale de Beyrouth! L'école et l'éducation nationale 27 Avril - 3 Mai 1941 imprimerie catholique. Beyrouth.

3- Kassab- Farid: Le nouvel empire arabe. La curie romaine et le pretenduperil juif universel reponse à M.N .Azoury. 1906 . Paris

4- Lammens . P.H.: Les perses du Liban et l'origine de Metoualis imprimerie catholique Beyrouth 1929.

5- Montagne-Robert: L'Union arabe. Revue politique étrangère. Avril 1946. Paris.

6- Rabbat - E: Unité syrienne et devenir arabe paris 1937.

مراجع أجنبية رسمية

1- Archive de ministère des affaires étrangères française .

2- Archive la societé des Nations.
3 Secrétariat d'Etat à la presidence du conseil et à l'informa tion paris le 2 Juillet 1946. Notes Documentaires et études N 342. «Les pays arabes et l'Union arabe».

جرائد أجنبية

1- L'orient 1936 Liban
2- La syrie 1933. Liban.

مجلات أجنبية

1- Politique étrangère 1946 Paris.
2- Correspondance d'orient 1926 Paris.
3- Asie Française 1936 Paris.
4- Revue des deux mondes 1937 Paris.
5- Revue internationale du travail 1936 Geneve.
6- Revue du Liban et l'Orient mediterranéen 1936 Paris.

مواضيع البحث

الموضوع — الصفحة

مقدمة ٧
الفصل الأول : الحالة الاقتصادية والعلمية في جبل عامل ١١
الفصل الثاني : جبل عامل ـ الموقع ـ الصلة التاريخية ٤٣
الفصل الثالث : جبل عامل خلال الحرب العالمية الأولى ٥٩
الفصل الرابع : مواقف العامليين من دولة لبنان الكبير ودستوره ٨٧
الفصل الخامس : المؤتمرات العاملية لطلب المساواة والوحدة عام ١٩٣٣ ١١١
الفصل السادس : مواقف عاملية سبقت المفاوضات الفرنسية السورية
١٩٣٦ .... ١٢٩
الفصل السابع : مواقف العامليين من المعاهدة اللبنانية الفرنسية
١٩٣٦ .... ١٥١
خاتمة ١٦٥
ملاحق ١٧١

٢٥٨ / ٤ / ١٩٨٧

هذا الكتاب

في خضم الحرب الأهلية الدائرة اليوم والتي اختلطت صورتها لدى الكثيرين من اللبنانيين من حيث توجهها ومفاهيمها فضلاً عن رسم حدود جغرافية للطوائف الدينية بعد الفرز السكاني نشطت الأبحاث والدراسات التي تتناول مناطق أخذت أسماء كبيرة إبان العهد التركي (جبل لبنان . . .) سيما لجهة إعادة كتابة التاريخ الخاص لتلك المناطق وكأنها وحدات سياسية .

بخلاف ذلك يأتي هذا البحث لتوضيح حقيقة أساسية لمنطقة لم يتناولها المؤرخون في كتاباتهم لتاريخ لبنان الحديث إلا بقدر ما تخدم التوجه العام للنظام السياسي الطائفي في أحداث جبل لبنان وبقدر ما همش النظام اللبناني المناطق التي ألحقت بهذا الجبل عام ١٩٢٠ كان تهميش تاريخها . إذن ما نتوخى في هذا البحث الولوج الى الخلفية الحقيقية لحالة الاستنهاض العام الثوري في جبل عامل اليوم ضد الاسرائيلي .

المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع